

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190897

UNIVERSAL
LIBRARY

رواية

انسان الغاب

الملقّب

بريب الذئاب



تعريب الفتى النجيب روفائيل

زاكي كوهن



طبع في بيروت بمطبعة القديس جاورجيوس سنة ١٨٨٦

تقدمة الكتاب

 لحضرة الوالد الغيور

الولد الحكيم بسرّ أباه

هذه حفظك الله باكورة الاعمال التي اعتقد انها تكون عبارة عن اوائل اثار
 انعابك وغيرتك التي شملني بلا فتور ولا تزال دليل هدايتي في السبيل الذي
 تطيب نفسك بسلوكي اياه . واني على يقين ان هذا الاثر غير لائق بمقامك
 ولا بالغ سمو مداركك غير اني افندي بتليد ذلك الفيلسوف الذي كان ينجعل
 من ان يعرض على استاذة اوائل انشائه فقال له لست اطلب منك اكثر مما
 تقدر . فهكذا ايها الوالد الاعزّ ليس ابنك مؤاخذاً بقصوره في تقديمه هذه عما
 تستوجب حقوق امثالك ولكنني انزعى بكوني جددت واجتهدت رغبة في
 رضاك لاظهر لك اول نتائج اجتهادي غير مدّعٍ اني تقدمت التقدّم الذي
 سيطلع اليه خاطرك بل آخذ في صعود سلم النجاح درجة فدرجة ولي الرجاء الوطيد
 اني اكون اخيراً حائزاً رضاك التام من هذا القليل

هذا واسأل الله تعالى ان يمدّ لنا في عمرك الجليل المنافع لأولادك وابناء
 طائفتك وكل من لاذ بمحاك المصون وينعم علينا بالبقاء تحت لواء غيرتك المحرّى
 وهنك المأيلة لتكون لك قرة عين وتنال السعادة في الدارين . آمين

الابن المطيع

روفايل كوهن

دياجة

—

جناية سرية

—

الفصل الاول

الكمين

قبل فجر اليوم الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ كان رجلاان
عليهما زي فلاحي بلاد فوجه من فرنسا يتحدثان سرا قرب محطة البريد في بلدة
ورنجل وكان الليل حالكا ايس ثم نور الا ما ينبعث من نافذة بيت البريد حيث
كان الوكيل يرتب الرسائل المزمع ارسالها الى بلدة ورزول. ولما كانت الساعة
الحادية عشرة وقف الرجلان في منتصف الطريق. وقال احدهما للآخر كمن
له سلطان

ويك يا بريص هذا وقت وصول العجالة فما عاقبتها. فقال الآخر
لم يفت الوقت يا مولاي فكن براحة بال
ولبنا برهة يتحدثن بشان رد الليل. ثم سمعا صوت نفي ورجلاجل ووقع
حواضر الخيل فقال الاول: بشراي فقد دنت ساعة الظفر
— فليطب خاطرك ولنشرح صدرك
— على ان يكون غرضنا بها

— لا بد من وجودها اذ لم يطلع احد على سرنا ومن يعرف من تحت اللثام انك بليل الشهير بالدسائس واني بريص خادمك الامين
— ما من هذا خوفي لكن لعل المرأة في شهرها وحان وقت ولادتها فتعذر قدومها

— بل يجب ان لا يتاخر الان هذا البريد لا ياتي في مدات متتالية الى هذه الاماكن فاذا كانا دخلا رمزون فلا بد انهما في هذه العجلة ولا سبيل الى غير هذه الطريق الى بلنكور

— عسى ان تكون ساعة مباركة علينا ومشومة عليهما

— لا بد من الفوز فلست كعبرك من لا يندسرون الامور فنذ عاشرتكم تخففت انك رجل عجب الشان نافذ السلطان . يطعمك من تستخدمهم بامانة ونشاط فلا تباشر عملاً الا نجحت فحباً بك يا سيدي الوقور نفتم اشد الاهوال ونبذل نفوسنا فداء عنكم في قلوبنا اسراركم

فهرقت عينا بليل نيباً وانفخاراً وكشر عن ايباء منبها وقال ان المستقبل كاشف الخبايا فاخبرني كم راكباً تسع هذه المركبة

— ثلاثة في جوفها واخر بجانب السائق

— حسن فاني اكون معها واشغلها بالحديث

— وانا الاخر اشغل السائق عن استماع حديثكم

— ما هذا التاخير ما عدت اسمع صوت العجلة

— سبب ذلك سيدي هو التل الموجود امام البلدة فلا يسع الخيل

الاسراع . . . ها هي قد ظهرت

وما انبى بريص كلامه الا وبات العجلة وهي تتقدم مسرعة فصرخ بايل قائلاً يا للبشرى يا للظفر

ولما وصلت العجلة صاح السائق برفيقه في المحطة تعال لوقا معي راكبان فخرج كاتب المحطة لاستلام الرسائل الواردة وتسليم المراد ارسالها وعند

ذلك سال السائق رجلاً داخل العجلة : امانا تترلان قال نعم
 ففتح له باب العجلة فظهر رجل معتدل القوام اسمر اللون يناهز الاربعين
 وخرجت على اثره امرأة لا تتجاوز العشرين من سننها وهي في شهرها التاسع وكانت
 لطيفة الحركات حسنة الخلق صافية اللون مستديرة النم دقيقة الانف سوداء
 الشعر ويظهر من ملامحها انها غريبة عن البلاد

وكانت مشقة الطريق قد اثرت في قوتها فاخذ رفيقها بيدها وسالها بلغة
 اجنبية قائلاً : كيف انت يا عزيزتي سلمي

ف نظرت اليه بعين حوراء واجابته بكل خير يا عزيزي
 - لا يخفاني انك تقاسين صعوبات السفر العديدة ونجمل المشاق ومع اننا
 اقننا بضعة ايام لاخذ الراحة اراك واهية النوى هذه المرة فاخشى ان تسقطي عياء
 - لا تخش بأساً فاني مع كل ذلك شديدة

- نعم ولكن الزيادة يعقبها نقصان وكان الاخرى بي ان ابقيك في باريس
 متمتعة براحتك

- كيف يمكن هذا انظن اني اعيش ساعة وانت عني بعيد
 - فاعلمي ان علينا سير ثلاث ساعات بعد الان اما تخارين ان نمكث هنا
 بضعة ايام ريثما تسرحين

- لا وجه لهذا التأخر فاني قادرة الان ان اسير معك اكثر من ثلاثة ايام
 - لكن جسمك نحيف يا سلمي واخشى ان واصلت المسير ان نسوء العاقبة
 وان قلبي يجدثني انه سيعمل باحد منا مصاب يذهب بحياته فحياتك اسمي ان
 نبقى هنا غداً فقط ولا يفوتنا المطلوب

- لا بل يجب ان نسرع المسير فند فرغ صبري .. آه اريد ان اعرف ما

جرى

- سنعرف يا عزيزتي . افتخالين اني احب الدواني في البحث بعد ان قطعنا
 المراحل ونعبنا الليل والنهار وتركنا بلادك المعطرة بافاويها والمتلاثة بشمسها

البهية لنعود خائبين ولا نركب الاهوال للوقوف على حال امراء المحسن اليما
حييتك لوسيا وولدها الرضيع الفاقدة في لمح الجمار زوجها مولاي المركيز الذي
لا انسى فضله فيجب على كل حال ان نبليغ بالنكود لان الاميرة اقامت في قصر
هذه البلدة نضع سنوات وهناك ولدت ابنتها على ما اظن

- اه يا عزيزتي لوسيا ابنتها المركيزة المنكودة الحظ ... هل هي في الحياة ...
نعم قلبي يبني انهم لم تمت ولكنها نقامي عذابات البنة وهي مستظرتنا لخلاصها .
يا لفرحي عند رويتها فلنذهب في اسرع وقت فهل استطيع قعودا عن خلاص
حبية فوادي وهي لي بالانتظار فلا بد من الذهاب الساعة الى بانكوروولو على

تلق

- وهل اطاولك على مرامك بعد ما تحملت من مشاق السفر ما يكل
عن وصفو اللسان فلنسرحها هنا ولنوجد سفرنا الى الغد
- قد اتعشت ووجدت قوة جديدة بمجرد افتكاري بها فلا يحسن ان
نطى عنها ساعة واحدة وهي في خطر مبین وخلاصها على يدنا
- فالامرك ولست اخالفك

وكان بليل وخادمة قريبين منها بحيث سمعا الحديث لكن لم ينهيا كلمة
لجهلها تلك اللغة الاجنبية ولبيل بود ان يفهم شيئاً ولو خسر خسارة جسيمة
وكان هذا الرجل من ابالة جهنم ملهم البدن ضخم الراس كبير الشفتين
عريض المنكين قصير العنق اصابع منبسط الجدين مستدير الخدين طويل
الانف احده وبالجمل فجميل هيئتة شوانية وشهونه الوحيدة كانت المال بلغ من
العرار ربعاً وثلاثين سنة وهو يتعاطى الصوصية والعبارة واقام في باريس متظاهراً
ببعض الحرف لكن علمه الصحيح الدسائس والمكايد ونصب اشراك الخداع والفظائع
يوقع شره على الناس طمعاً في السلب ممن يكلفه بذلك ولهذا كان يركب الاخطار
ويغتم الاهوال ولا يبالي بالندابا لاحراز المال على انه كان لا يخون من يسعى
لاجله فاشتهر بهذه الحرفة وصار اصحاب المكايد يفسدونه . وكثرة شر الناس

كان دائماً في سعة لنجاحه في اعماله الابليسية ويبدل لمن يستخدمهم لنضاه
حاجاته ما يرضيهم فيها بونه وينقادون اليه صاغرين

الفصل الثاني

المخاتلة

ولما نضاحى النهار قرع جرس التنبيه للمسافرين وكان عددهم اربعة . بليل
وخادمه بريص وسليبي وزوجها وعند وصول الغريب وامراته الى العجلة سالة
السائق قائلاً هل هذه زوجتك ومسافرة معك قال نعم
-- تباً لهذه الصدفة

— مالك

— لا تسع العجلة الا ثلاثة انفس . وهذان الرجلان استاجرا مكانين من
اول الليل فهل لك ان تجلس بجانبى

— هذا لا يكون ابدآ كيف اترك امراتي مع رجلين اجنبيين

وعند ذلك تقدم بريص الى السائق باشارة بليل وقال له : انا احسم الخلاف
واجلس بجانبك اذ ليس من اللائق ان ينفصل الرجل عن امراته ثم قال للغريب
سيدي خذ موضعي اذا شئت فاننا لا اخاف وقوع المطر القريب لاني متعود
المشقات

فشكر الرجل فعله واثني عليه جيلاً وجاء الامر طين مرام بلبل وجرت
العجلة جرياً حثيثاً

وكان بلبل ملتما قصد الاستخفاء وجلس صامتاً مخفياً عن رفيقيه وهو يريهما
ثم قال هل حضرة السيدة مستريحة قال الغريب نعم

- لكن الاحسن ان تدنو مني يا اخي وتوسع لها المكان . تباً لهذه العجلات
الضيقة الوسخة التي لا تليق بامثالكم

- غمرتني بجيالك يا سيدي

- العفو يا مولاي . فهل انت من هذه البلاد

- لا يا سيدي ولست اعرفها قبل اليوم

- وهل انت انت من بلاد بعيدة

- نعم بعيدة جداً

- ولكن يظهر لي من تكلمك انك فرنسوي الاصل

- نعم ولدت في فرنسا في ارباض باريس الا اني تركت بلادتي صغيراً

- فلا بد انك سررت برجوعك الى الوطن

- بلا شك لكن لا بد دون الشهد من امر التحل

- وابن نيتك

- بلنكور

- فاهلاً بالضيف فهي وطني

- افيمكنك ان تخبرني هل بالقرب منها قصر قديم العهد

- نعم هو في الجهة الشرقية اكثره منهدم بأوي اليه اليوم ولبعده عن البلدة

لا يذهب اليه احد الا الحاجة خاصة

- فليس فيه احد الان

- ليس الا حارس قصير الجثة اسمه الشيخ عرييد وهو يعرف كل ما جرى

هناك من الحوادث الغريبة الا انه لا يفوه بكلمة

فارتعش بدن الغريب وخفق فؤاده وقال افلا تمكن مواجهته

- امرٌ عسير جداً لانه عندما يرى البشر بخنفي عن ابصارهم ومنذ سنين حدث في القصر عدة اشياء مُرعبة احرمت الناس لذيق المنام والعبور من هنالك صار الان محذوراً الا انه لا يمكنني ان اثبت لك صحة ما يقال وكثير من هذه الحوادث بقي مجهولاً لا يعرف له احد مجرى الا الحارس المذكور المتوطن في القصر منذ امد مديد وله اطلاع على كل الامور التي جرت هنالك الا انه لا يفوه بكلمة ما يعلمه ولو ذاق امر العذابات واشد الاهوال وهو وحيد فريد لا اهل له ولا مؤنس ترمل منذ سنين عديدة فبات في القصر وحده لا يزور ولا يزار ولا يكلم احد مليحاً ولا قبيحاً. غير انه ودود بحب المفضل عليه اذ انه قبل ما دخل القصر جرت له دعوى مهمة خدمته بها بعد ما كاد يجسرهما ولذلك يودني جداً واقضي بعض ايام في قصره ولا شك انه يوترني على سائر الناس ...

المعذرة سويدي فقد شغلت فكرك بامور لا تعلق لك بها

- لا بل سرني حديثك واذلك تراني اصغي اليك اصغاء تاماً

- يغلب ظني انك تزيل احد اقرائك في تلك البلدة

- ليس لي هناك من اعرفه وسانزل بعض الضادق

- عسى ان تشرفني بخدمة او افادة

- لا افدر ان اخفي عنك قصدي يا اخي فاني آتٍ لاستنصي بعض

الاخبار واعلمك تقدر ان تساعدني

- اني رهيب او امرك في كل حين واعد نفسي من اسعد البشر عندما

اتمكن من خدمة تعود على صاحبها بالنجاح

لا نعيب اذا انطلقت على هذا الغريب حيلة بليل الشقي الخائيل لانه اظهر

كل براعته واصطفاه صديقاً له بما وعده من الخدمة. وظن هذا الغريب ان

الله عوض عليه مشاق السفر الطويل الذي تحمله وحيلته برّاً وبحراً بتعرفه

بهذا الشاب الكامل المروءة الذي يعرف مواطن الاسرار ويوصله الى مقاصده.

جهل ان السم في الدسم . ويجب على الانسان ان يحذر تلاقى من لا يعرفه لئلا يقع في شرك ينصبه له فقال له الغريب ان كلمتك الاخيرة عن القصر وساكنيه وحوادثه السرية قد اهتز لها بدني
— فالمعذرة سيدي عن هذه الاساءة

— لابل اشكر معروفك لانك اطلعني على اخبار لي بها فائدة عظيمة واني مستمعين بهمتك في بحثي المدقق عن اشياء اطعمك عليها فيما بعد
— كل ما اطعمت عليه آتيك بوحرفا بحرف

— منذ بضع سنوات سكنت هذا القصر امراة . . .
— نعم منذ اربع سنوات سكنت هذا القصر امراة في ريعان شبابها غريبة الدار حسنة الصورة تجلآ العينين سوداوها فاحمة الشعر
— هي التي سالتك عنها بعنفا . فهل رايتها

— نعم مرة واحدة عندما ذهبت لمواجهة الحارس صديقي
— وهل كلمتها

— لا يا سيدي لانها عندما شعرت بي هربت من امامي
— على ما رايت من حسن افعالك انك رجل ذو مناقب حميدة تمكن الانسان من الاتكال عليك . فاعلم ان جل مقصودي البحث عن هذه المرأة .
واشكر المولى لمصادفتك . وهل في باقية بالقصر

— لا يا سيدي
— وهل يعرف ابن مفرها الان

— لا يعرف احدا ابن مضت ولا متى ولا كيف
فاخني الغريب راسه اسفا وقال لعل الحارس ينبئني عن ذلك

— ربما فعل لان الشيخ عريد له اطلاع على اشياء كثيرة تجهلها العامة
— فاذا لا بد ان يكون له الملم بذلك

— طمعا لانه هناك منذ اثني عشر سنة

— وهل تعرف انت شيئاً من تلك الحوادث
 — اظن انها خزعيلات لا يسلم بها العقل
 — كيفاً كانت احب ان نطالعني عليها
 — من المعلوم ان الناس اراجيف كثيرة يصعب تصديقها لكن اكراماً
 لخاطرك احدثك بما سمعت

وللحال دنا منه وهمس في اذنه قائلاً هل تنهم السيدة لغتنا قال لا تنهم كلمة
 فقل ولا تبال فقال

كانت هذه المرأة من عائلة شريفة غنية حتى قيل انها ابنة احد الامراء
 الكبار الا انها نكحت شرف عائلتها ولم تراع حرمة مقامها . فاحبت احد خدمها
 واقترنت به خفية . فلما شعر والداهما حقاً جداً وكبلاباً بالنيود واوسعاها
 شتما حتى آل امرها الي ضربها بصرامة . ثم احضرها سراً الى فرنسا خيفة احتقار
 الناس لها واضطرا لابعادها بالكلية عن البشر عندما قربت ولادتها . فبحث
 والداهما وانفق مبلغاً وافيراً . فوجد محلاً مجهولاً اتخذ له ليجمها به . وهو قصر
 بلنكور وارسل بهيمتها خادماً وخادمة . فما لبثت ان اختل عقلها وبعد مدة ولدت
 طفلاً لست اعلم اذكر اكان ام انثى . وبعد ولادتها بقليل جنت وعملت اعمالاً
 فظيعة لم يسع بها احد . وذلك انها اخذت برجلي ولدها وهو في مهك وضربت
 به الطاولة فشمع راسه ومات لساعته

— يا الليهتان ان هذا الخوض كذب وافترآه

— اني اخبرتك بما سمعت واطلعتك على ما عرفت . وثبت عند الخاص
 والعام ان حادثاً غريباً جرى في النصر واكبر دليل هو عدم البحث عن
 القضية . واخيراً اشاع البعض ان المرأة لم تكن ذات بعل وانها لم تلد طفلاً
 — قد ظهر كذب المنافقين فانها كانت ذات بعل وولدت طفلاً فانلقوا
 الام واخفوا الولد

— ربما كان ذلك واما لا اكذب قولك كما اني لا اصدق اراجيف الناس

وحينئذٍ اشرق جبين هذا المخائل لانطلاء حيلته على هذا الغريب

الفصل الثالث

نصب الشرك

وبعد مضي بضعة ثوانٍ قال بلبل بصوت التعجب

- حقاً انك ادرى مني بالقصة

- نعم فقد تروملت المرأة منذ ثمانية عشر شهراً فقط . قضى زوجها نحبه

غرفاً

- عجباً وما تحدثت به الناس

- كذبٌ واقتراً

- واختلال عقلها

- ربما كان هذا صحيحاً

- ولم ائلافها

- لاجل اخفاء الولد

- الحق اقول ولا اخشى ان هذه الغاز ما افهم منها شيئاً ولماذا اخفى الولد

- للاستيلاء على ملائحته العديدة

- يا للعجب وكيف تمكنوا من الوصول الى آبارهم

- اتركوا كل الفضائع واقنعوا كل ابواب السرفند زعموا اولاً ان

المرأة عشيقته الفريد لازوجته غيراني اثبت كونها زوجته ببراهين قاطعة فلا بد لي من رفع دعواي الى المحكمة

- بكفي صك الزواج

- هو عندي وغيره من الاوراق اللازمة

- وكيف يصح ان نعملها في اسنارك

- لست احملها ولكنها مودعة في باريس الى وقت اللزوم

فقال بليل في نفسه هذه فائدة حسنة ثم قال

- ولم اخرت دعواك الى الان الا تدري انه من الحق ان تلحق باهدائك

في كل مكان وتتبع اثارهم في كل واد

- جلُّ مرامي اولاً وجود المرأة وولدها في الحماية ومن ثم ادبر اموري . فاني

مززع بعد وصولنا الى بلنكوران واجه الحارس لعلة يطالعي بما حجه ضميره الى

الآن من الفسائح والرزائل فاعرف اين اسي

- قلت لك انه لا يفيدك عن شيء منها علمت لانه يحسب نفسه مؤتمناً

على اسرار اسبابه لا يحل له المكر بهم . فانهم كسوه واطعموه واعطوه راتباً يفوق

عن احتياجاته . فاحسن تدبيرك ولا تعجل فتندم

- وما تشبر علي ان افعل اذا

- بالحقيقة يغني ان اراك عائداً من حيث اتيت بلا فائدة ولذلك تراني

مستعداً ان اقدم لك كل ما استطيع من المساعدة وهذه احدي صناتي اني

اطلب منفعة كل افراد البشر قبل نفسي . وارى ان هذه الوسطة التي سابد بها

لك الآن هي الوحيدة التي ربما تمكنك من الوصول الى غايتك وهوان الشيخ

عريد كامل الاوصاف الا انه سكب يحجب المسكرات الجيدة النوبة . لكثرة قليل

النقد في هذه الايام . فارى والحالة هذه . ان نقدم له مبلغاً من الدراهم . لعلة

ينطق بالاسرار ويخفف عنك اثقال التفتيش

- وهل يكفي دفع ثلاث مائة فرنك اولاً ليخبرني

- احترز كل الاحتراز ان تدفع له الدراهم قبل ان يتكلم فياخذها وينكرها
اخيراً . وهكذا تكون خسرت المال وتجاهل كمن لا خبر له بهذا الامر مطلقاً .
ولذلك انا ذاهب اليه واخاطبه بشأنك فترى ما يكون

- لقد حملتني من المعروف ما لا انساه ابداً

- واعرفك عما يصادف مساعي من النجاح . فقط المرجوان تخبرني اين
مفرك فارسل اليك الخبر

- سائرل احد الفنادق كما اخبرتك

- وهو الا صوب لانك غريب . ولا يوجد غير فندق في اول اللدة .

فيمكنني ان اجدك بسهولة . فاخبرني ما هو اسمك

فاخرج الشاب محفظته وفتحها . وبابل ينظر اخلاصاً . فما وجد غير
اوراق بنك دون اوراق مذيلة باسمه فطاب قلبه لذلك . وبعد هنيهة قال له
الغريب : لسوء الحظ ليس معي ورقة خاصة باسمي فاقله لك باللسان
- وانا لا انساه

- اسمي شديد الشوري . وانت ما اسمك

- جلوان القرني

وعند ذلك وصلت العجلة الى ورزول فخرجوا منها ودفعوا الاجرة .

وقال بابل الاحسن ان نستغرب الطريق لكي تبلغ بلنكور في نصف ساعة .

ومشى امام رفيقيه . اما بريص فذهب في طريق اخرى

وبعد مضي نصف ساعة او اكثر وقف بابل في اول البيوت وقال

للزوجين :

- سيرا في هذه الطريق على خط مستقيم تصلا الى الفندق . ومن جهتي

كن مطمئن البال . فاني سابدل الجهد الجهد لابلغك ماربك في اقرب حين

وفي هذا المساء بصلك بعض اخباري . واحترس ان تطلع احداً علي مقاصدك

والان اودعك

— بامان الله

فذهب شديد وامراته الى الفندق كما اشار بلبل وطلبا حجرة للمبيت فلماها صاحب الفندق وامراته مريم وأوصلاها الى حجرة خاصة بجانبها حجرة مستأجرها ضابط متقدم في السن

• وطرب صاحب الفندق وامراته بهذين الضيفين الشريفيين لان الاشراف قلما يتزلون عندهما • ولشد فرحتها نسيما ان يسالا الرجل عن اسمه واسم بلده •
واما هو فاتباعاً لمشورة بلبل كنتم امره كنّا تاماً

ووقت الغدا احضرت مريم الطعام فسالها شديد هل تعرف رجلاً اسمه الفرني قالت نعم عندنا رجلان اب وابنه بهذا الاسم وهما من الاغنياء الادباء الودعاء

— كم عمر الاب

— ستون سنة

— والابن

— شاب اديب مذهب الاخلاق اسمه جلوان! يحب عمل الخير ومنفعة

كل الناس

— اكرمت بالافاده • وما مهنته هذا التي

— يتغير في الحوب

فرح شديد بهذا الاتفاق الغريب فسالته امراته عن سبب فرحه هذا فاجابها اني قد تاكدت نجاح شعبنا واعتمدت على رفيقنا ليكشف الاسرار • وبعد ساعة نامت سليبي واستغرقت في النوم لكثرة تعبها اما شديد فبقي ساهراً ساعة اخرى • ثم اتكأ على كرسي وغلب عليه الكرى وبقي نائماً الى ان خيم الظلام وحينئذ انت مريم وقرعت الباب فهب شديد مذعوراً واستيقظت سليبي ايضاً ففتح الباب وراى مريم فبناولته رسالة فائمة هذه من عند جلوان الفرني فتناولها شديد طرباً ونشرها واذا فيها

« قد صدق ظني في صاحبنا . فان المبلغ الذي وعدته به اتفق النتيجة المطلوبة
 « فبادرت الى افادتك لكي تكون على اهبة النقاء في هذه الليلة نفسها عند
 « نصف الليل وساخبرك لاني سبب اخذت هذا الوقت . وانا منتظر في
 « الساحة قرب العين وياك ان يشعر بخروجك احد احذر كل الحذر والسلام
 « جلوان القرني »

وكان الخط في الورقة غير منتظم يعرف من امعن فيه النظرة مزور غير
 ان الفرج اعني بصيرة شديد فلم ينتبه الى ذلك

فسالت علي عن الرسالة فترجمها لما بلغت فصاحت مضطربة

— ما قد اصابك العار الغريب كيف تمضي في نصف الليل

— لاسباب اضطرارية

— يا شديد ما تخيفني ولا اسلم به

— ولا انا مرتضى بذلك لكن كيف العمل يجب ان امضي

— لا يطاوعني قلبي ان اوافئك

— الاتعلمين يا عزيزتي ان جلّ مرامنا من تكبد هذه المشاق والانعاب

هو من اجل المركبة وولدها المنكودي الحظ . فكيف اصبر وقلبي النار فلا يعسر

علي شيء حبا بكشف اخبارها . وانت نفسك قلت لي انه لا يلزم ان نصبح

يوما واحدا ولا ساعة واحدة . نعم لا اكران الذهاب في مثل هذه الساعة من

اعظم المخاطرة في مثل هذا الليل المالك خصوصا لكوننا غريبين . لكن لا بد

من قضاء المصلحة

وعند ذلك احضرت مريم العشا . وكانت سليبي لانهنأ بالطعام لانفاض

قلبي واشغال بالها

الفصل الرابع

المكيدة

ولما جاءت الساعة الخامسة من الليل خفق قلب سليمي جزعاً وصرخت وهي
لا تعي: «الهي». الا انما غاصت في بحار التاملات فتاهب شديد للذهاب
فضمته وقالت

— عدني يا شديد انك لا تطيل غيبتك
— ابي اعود اليك باسرع ما يمكن
— فاعلم ان عيني لا تذوق الكرى قبل رجوعك
— يا عزيزتي اضطجعي في فراشك ونامي فتقصر عندك مدة غيابي
— لا اطلب النوم يا عزيزي قبل حضورك اتقِ المخاطر والاهوال واحذر
على نفسك من المكيدة

— ابن المكابد يا سليمي است احسب لهذا حساباً
— لا علم لي بالغيب . الا ان قلبي ينبئني . ان تكون على حذر من غدرات
الدهر

— سلمي روعك يا عزيزتي دعي عنك هذه الاوهام . وافرحي لاني اعود
حاملاً لك البشرى . هذه ساعة الميعاد . استودعك الله
— وعدتني ان تعود عاجلاً

- نعم

- وانت تعلم اني لك بالانتظار وعند حضورك اسمعني صوت خطوتك

عن بعد

- كوني براحة بال

وعانى زوجته العناق الاخير. وخرج الى ان ادرك العين فتقدم اليه رجل

فنامله فاذا هو بلبل فقال له

-- فلتقدم يا عزيزي هوذا الساعة قرئت

وكانت الطرقات قفرة هناك لا نور ولا انسان . وما كان يسمع سوى مواء

هري ونباح كلب وهزير الريح وجمجمة مطحونة على النهر وهدير المياه المتحدرة

ولما قرب الرجلان من النهر قال بلبل لرفيقه احتبلا

- من الممكن ان نعبث بالنهر على ذلك الجسر الحجري الا اننا لانخطو خمسين

خطوة الا ويغمرنا السيل لكثرة ما هطل من الامطار اس

- الا يوجد طريق اخر

- بلا شك

- من اين

- قرب المطحة فيمكننا اذا ذهبنا من هنا ان نصل ولا اظن انها اطول

من هذه

- اني شاكر لك على هذه الثقة . وعلى الخصوص لتكبدك عنا هذه الساعة

مع اني غريب لا تعرفني

-- دعنا من هذا الكلام

- كيف لا اشعر بتقل فضلك

- الا يلزم تبني ما بدأت به

- اني افكر كثيراً به وانستك لي في الطريق الا يمكنك ان تخبرني عن

سبب انتخاب المحارس هذه الساعة لزيارتني

— كيف لا . السبب هو انه مسافر غداً صباحاً الى سويسرا لمشاهدة اخيه
فانه مشرف على الموت . وكان عازماً على السفر منذ ايام . الا انه توقف لعدم
وجود دراهم تقوم باحتياجاته . اما الان فقد فرح بما قدمته له من النقود ولذلك
قصد ان يجيبك عن كل ما تساله بخصوص المرأة ولدها

وما زالاً يتسامران الى ان اجتازا المطخة بعشرين خطوة فوق بلبل والنفت
يميناً وثماً لا خشية رقيب او عابر طريق . الا انه تبسم اخيراً اطمئناناً وقال
— هوذا الجسر يا سيدي فعليه تعبر النهر

واشار بيده الى معبر خشب ملقى من شاطئ الى اخر

— او ما تمضي معي

— لا

— ولماذا

— هكذا تم الاتفاق

— ولكن ...

— قال لي الحارس انه من المستحيل ان يدعي ارافتك اليه

— ولكي اجهل طريق النصر في هذا الليل لا امس

— سيأتي الحارس ويده فانوس تستضيء به قرب باب النصر ويرجعك

بعد نهاية حديثه . فانتظره قليلاً ها هنا

قال هذا واذا نور قد سطع على الضفة الاخرى على مسافة مائتي قدم .

فصرخ بلبل قائلاً :

الحمد لله ائتد وفي بوعده . هوذا الرجل اقل فلفلترق

فتردد شديداً عن المسير فقال بلبل . لا نخش باساً فاني اقف لك هنا

اذا شئت

— لا ازوم فاذهب بسلام

— استودعك الله

وحينئذٍ شدد شديد قلبه وعبر على الجسر الخشبي وما وصل الى وسطه حتى عرض له شبح اسود في وسط الطريق فتقدم ليخفق آ انسان هذا ام حيوان . واذا بجثنة من الرمل قد لطمت وجهه فصاح قلنًا . ورفع يديه على عينيه وعند ذلك شعريد قبضت على رجله ودفعته فصرخ مناوًا وسقط في النهر

واكنه عاد بعد هنيهة ورفع يديه ليمسك شيئًا ويصعد به من النهر الا انه ما وجد سوى الامواج المتلاطمة . فاضطر ان يسبح الا ان ثقل ثيابه اعباه . فطلب الصعود فما امكنه لان المياه المتحدرة جرته بعنفها الى جهة الدواليب المظلمة . فمحق هلاكه وظهرت على وجهه امارات الموت . فصرخ مستغيثًا . الي ابي يا عزيزتي سلمي لقد صدق ظنك . وقعت في المكيذة وذهبت قتيلا الغدر فيمئذٍ بلغ الدواليب فتعربشدة التيار وما لبث ان غاص في الهاوية وغاب عن البصر

واما الرجل الذي فعل معه ما ذكر فهو بريس الماكر الغادر فلما استراح باله من جهة المسكين قال لبليل قضي الامر — هل بقي منقذ للسلامة

— ابن السلامة بين الدواليب في عنف التيار فتأمل بليل قايلاً وقال ان هذا الرجل كان حاجراً متيناً لافعالنا . فاسترحنا من شره فلا نخف عنه شيئاً . . . فلنذهب الان وتغلغل الشقيان في الظلام بعد ان اطلقوا المانوس

الفصل الخامس .

الغريق

ولما كان الصباح ظهر رجلٌ من اهل بلنكور ماشياً على ضفة النهر قاصداً
المطحنة . وكان ينظر تارة الى النهر وطوراً الى الرمال التي على ضفته الى ان
عرض له شبحٌ ملقى على الارض ما امكته تميزه بعد المسافة فوسع الخطى لمطحنة .
فلما دنا منه صرخ متعباً لانه راي رجلاً مغرراً في الرمال وقد خفي تحت الرمل
نصف راسه واحدى يديه فذهل وارعدت فرائضه وجس يد الرجل فوجدها
كما تلج فاطلق ساقيه للرجح ذعراً لكنه راي من الضرورة ان يخبر الوالي بما راي .
وكان بصبح وهو مهول غريق قرب المطحنة

وما مصت برهة الا وركضت الداس نازكة اشغالها وبيوتها مفتحة قاصدين
عمل الجثة . فاجتمع هناك نحو سنين شخصاً ثم وصل الوالي والغريق في مكانه
ودققوا النظر فيه فعملوا انه غريب . فسكنوا لانهم خافوا قبلاً ان يكون
احد اقرانهم

فكان راي الوالي ان هذا الرجل سقط في النهر ليلاً فجرثه المياه والفتة ميتاً
على الشاطئ . وكثر بين الجماعة الحداث والتهمين . ثم امر الوالي ان تنش ثيابه
لعل فيها اوراقاً تنبي عنه شيئاً فوجدوا مندبلاً دون اسم وسكيناً معدنية صغيرة
وجردانا يحوي على كمية من الذنود . واخبراً محفظة

فنهضها الولي فلم يجد الا تحاويل مصرفية بقيمة خمسمائة فرنك فقال لسوء
الحظ ليس شيء يطلعنا على شان هذا الغريب فاحملوه الى المحكمة

فوضع الغريق على خشبة مغطاة بالثمن وحمل
برجع كلامنا الى سلمي فانها بقيت بعد ذهاب زوجها من الفندق جالسة
على فراشها مفككة بذهايه ثم اضطجعت لعلها تنام الا انها ما لبثت ان نهضت
مرتعشة . وامارات الضنك لاثمة على وجهها
فلما مضت عليها ساعة اشتد قلقها لانطائها . وصارت تنفخ الشباك وتد
عينها في سواد الليل ثم تغلفه لشدة برد الهواء

وكلما قرب الفجر كان قلقها يزداد وهو جسمها تهولها وكان يخال لها انها
وقعت في مصيبة فترتعش . وعند الساعة العاشرة سمع قرب المنزل نباح كلب
فشعرت اذ ذاك بالتحلل قواها وخيل لها ان السماء هبطت عليها . وما انبثق
نور النهار الا وقد لبست ثيابها وهي واهية القوى فبقيت شاخصة هنيهة الى ان
سمعت ضجة في الخارج فهرولت الى الدار ودخلت الناعة فوجدت مريم هنالك
منهكة في تهيئة غداء نزلاتها

فلما رأت سلمي على تلك الحالة قالت لها مالك سيدتي بكرت في الهوض

وما بالك حيرى

فلم تعرف سلمي ان تخبها واستخرطت في الكلام . فارتعبت اذ ذاك مريم
واخذت يدها واتدأت تلاطفها الى ان هدأ بالها قليلاً . فاخذت تكلم مريم
بإشارات فهمت منها ان زوجها غاب قبل نصف الليل وأنه الى الان ما رجع
فقالت لها مريم ولماذا ذهب والى ابن وقاه الله غدرات الليالي . فلهذا
اذن وجدت الباب مفتوحاً وكنت قد اوصيت الغلام ان يبقاه واما سلمي
فبقيت لتعجب ورأسها بين يديها الى ان سمعت ضجة وصراخاً من مسافة قريبة
واذا عددٌ وافر من الرجال كانوا يترأصون الى جهة الفندق فصاحت مريم
قائلة ما بالكم هل احترق احد البوت . واما سلمي فشعرت بخفقان قلب شديد

فنهضت وهي لا تعقل وعزمت على الخروج
ودخل وقتئذ زوج مريم بوجه اصفر تلوح عليه علامات الارتباك وقال
وهو يرتعد مريم مريم
— ماذا

— مصاب عظيم
— كيف ماذا نقول

— وجدوا رجلاً غريب الوطن غريباً قرب المطحنة
فاصفر لون مريم عند سماعها هذا الكلام وخالج قلبها ان الغريق هو بعل
سليمي فقالت لزوجها ان نزيلنا الذي حضر وامرأته امس خرج في نصف
الليل خفية والى الان ما عاد فاذا كان هو الغريق ويلاه فماذا يجمل بنا. اذهب
اذهب وأتني بالاخبار فان قلبي من ذلك كالنار

فنفرف في الحال ليكشف الخبر ووقفت سليمي حينئذ وامسكت يد مريم
وسالنها بالاشارات: ما هذا الصراخ ما الذي احوج هذه النساء والرجال الى
الركض مذعورين. ما الذي قاله لك زوجك. ماذا حدث
فنهت اشاراتها واجابتها: اقسم يا سيدتي اني اجهل سبب ذلك لقد ذهب
بعلي للفحص والآن يرجع بصحة الخبر. فلتنظره... سكتي روعك. خذي
راحتك قليلاً كوني رزينة

ولكن كل هذه الكلمات ذهبت سدى وشعرت مريم انه سيجمل بالغريبة
عارض عصي فصرخت ليت لي من بينهم مفعلي ليهدا روعها. لا بد ان
نصاب برض عضال. ويلاه واذا كان الغريق بعلمها فماذا يجمل بي. اخذنا يا الهي
وحينئذ خطر لها ان تذهب بالمرأة الى حجرتها فاخذت تلاطمها وهي
تسايرها. واما سليمي فشعرت بذلك فتركت يد مريم بسرعة وخرجت من
البيت وركضت الى ان وصلت الى العين وهناك التوت رجلاها عياء فالتزمت
ان تجلس على حافة الطريق لتستريح قليلاً

وكان صاحب الفندق قد مضى حسب اشارة امراته الى المكان الذي به
الغريق فنفرس فيه قليلاً وصرخ يا المصيبة يا المصيبة فساله الوالي أ تعرف هذه
الجثة يا هذا

— واسفاه نعم يا سيدي هو احد نزلائي اتي البارحة برفقة زوجته واني
مناكد ان الاشرار سلبوه ماله والقوة في النهر

— راجع نفسك يا رجل

— هل يخال لك ان هذا الغريق اغرق نفسه عمداً

— لا اقول ذلك الا انه ربما زلت قدمه

— يا سيدي ما اظنها الا مكيدة ما اظنها الا مكيدة

— كيف وقد وجدنا عدة دنائير واوراق مالية تنفي كل الشبهة عن

الصوص

— هذا حق ولكن فلهن النظر في المسالة فلماذا كان خروجه ايملاً ناركا

امراته وحدها . يا مولاي هل قصد بذلك ان يلقى نفسه في النهر فلا اشك
انها مكيدة لا يعلم بها الا الله

— لا يخلو رايك من الاصابة

-- وازيادة الايضاح اخبرك انه ليلة امس أرسل اليو كتاب

— ومن اتي به

— شاب غريب لا معرفة لي به فاعنند ان هذا المسكين دُعي الى شرك

لا لسلب بل لاغراض اخرى

— هذا هو المرجح على ما يظهر فامض بنا الى الفندق لنرى امراته

وكان الذين حملوا الغريق قد وصلوا الى العيين حيث جلست سايبي

فرأوها سادلة شعرها تطلب التخلص من امراة اخرى متمسكة بها ولكنها اخيراً

تخلصت من يد مريم . وهرعت نحو المجازة طائرة القواد

فقال صاحب الفندق هذه امراته

فشعر كل من حضر ذلك المشهد المائل بارتعاش عظيم عندما راوا
 سلمي قد نفرت من النساء اللواتي كنّ يسكنها عن التقدم واختزعت الصفوف
 قرب الدمش ووصلت
 . وحينئذ صاحت كاللبوة الغافدة اشبالها وتغيرت ألوانها والنهبت عيناها
 ونفصت عروقها وارتعدت فرائصها وسقطت بأساً فافدة الرشد

الفصل السادس



البحث

فرفع جسد المرأة الى الفندق مع زوجها ووضعوها في فراشها واقامت
 مريم مع امرأتين يعالجنها حتى تستفيق
 وعاد اباي الى المحكمة وقعد يكتب تفصيل الخبر الى قاضي الصلح ويلتس
 ابو الحضور لتجديد البحث وما انتهى من كتابة الرسالة الا وطرق الباب
 ودخل شيخ طويل القامة في الخامسة والخمسين من عمره قوي البنية وهيبته
 تدل على انه ضابط في العسكر . وكان على صدره وسام احمر يدل على انه نال
 رتبة في مدة خدمته . فبعد السلام استاذنه الوالي بتقييم الرسالة ثم يلتفت الى
 ضيفه فاجاله الضابط برزانة نامة قائلاً

-اني ما اتيت الا بسبب هذه الرسالة سيدي فاظن انك ترسلها الى ورزول
 مع احد السعاة

— نعم وهذا الرجل بالانتظار
 — فالرجو ان تزيد على رسالتك هذه الكلمات . رجاء خصوصي باحضار
 طبيب لامرأة العريق لانها بحالة التلف
 — وهل في في خطر
 — لا يخلو الامر لانها وقعت كمن اصابته الصاعقة ومع كل هذا الاعتناء
 هي الى الان لا تعي على شيء ولا تندي حراكا
 فزاد الوالي كلام الضابط على الرسالة وارسلها مع احد رجاله واوصاه بسرعة
 المسير فقال الضابط
 — يا مولاي لا بد انك تعجب من التفاني الرائد الى هذه المرأة المسكينة
 وحقيقة الامر اني اعجب من نفسي كيف اهتم لشخص لا اعرفه الا منذ قليل لاني
 ما رايتها الا منذ ساعة فقط عندما وقفت قرب جثة زوجها العريق وبلا
 شك ان مصابها يهرك احساسات اي شخص كان بل الصخر الاصم
 — لا شك بذلك
 — اما امي فهو يعقوب ولها ان كنت ضابطا في عسكر الدراغون واسكن
 في ماربل مسقط رأسي
 — فاذا نحن من بلد واحد
 — اما وجودي هنا فاني كست فاد ما من منر طويل فاحسبت ان اري بلنكور
 لاني قدمتها مع اخي وانا صغير فانبت هذا الفندق وكانت حجرتي قرب حجرة
 العريق وامراته وكان بخاطري ان اسافر هذا الصباح لان امراتي بانتظاري
 منذ زمن مديد ومع ذلك فاني باق ولا اذهب قبل ان اتأكد ما ينوب هذه
 المسكينة ولكي اري نتيجة البحث
 — وما افكارك بخصوص هذه الحادثة
 — لا يمكنني اتفه بشيء . ويلزم ان نترك للحكومة هذا الامر واني استحسن
 رايك بدعوتك قاضي الصلح واني متأكد انه يدعو عميد المملكة مع المفتش

— وانت ما رايتك

— ليس لي رأي لانه يرجد ثلاث صعوبات لا يمكن ان تنجلي الا بمعرفة الاسم وهي . هل وقع في النهر على اثر حادث . ام رمى نفسه عمدًا . ام غرقته الاشرار

— لقد اخبرني صاحب الفندق عن كتاب اتى به شاب غريب فاين هذا الكتاب

— لقد اتيتك به وما هو

فنشره الوالي ونظر الى الامضاء فوثب دهشًا وقال . جلوان الفرني . عجبًا لا اصدق ذلك لا يوجد اشرف ولا احسن من هذا الرجل في بلا ذكور وكل من عرفه احبه

— اقرا الرسالة ودع الامضاء

— ففرا الوالي بسرعة وقال

— بان وجه الصحة نعم ان هذا الكتاب لا كبر دليل على ان المسكين التي في شرك الاشرار ولكن كيف يكون امضاء جلوان الفرني — ان الامضاء نفسه اكبر دليل على رآة جلوان والا لما كان يسلم امضاءه الى الحكومة

— اصبت

— فالامضاء مزور لتلقى المسؤولية على صاحبه ويبدو الخائن فدقق النظر في هذا الخط الغليظ المفاد فلا شك ان كاتبه فعل ذلك لينفي الشبهة عن نفسه

— نعم هو الصحيح . ان هذا المسكين قد وقع في فخ حيث رمت به يد الاشرار في الح المياه ولكنهم لم يسرقوا ماله فالظاهر انهم قصدوا هلاكه فقط . والى الان لا نعرف من الفاعل ولا من ابن هو ولا يمكن ان نستعلم شيئًا من امرأة الغريق لانها لا تفهم اللغة

— ربما تجدون بعض اوراق تتبعكم عن
 — ليت لنا ذلك فنكفي مؤونة البحث ولا ينفلك ان الاوراق توضع في
 المحفظه فلو كان عنده شيء لوجدناه مع الدراهم. ولقد اساء صاحب الفندق
 لعدم سؤاله عن اسمه ومحل ولقبه

فنهض الضابط وليان وخرج اذ لم يبق محل للخابرة وعند الساعة الرابعة من
 النهار وصل قاضي الصلح بمعية الطبيب وجنديين فقط
 فمضى صاحب الفندق بالطبيب الى سلبى وتوجه قاضي الصلح الى المحكمة
 لمقابلة الوالي وكان عنده اثنان من اعضاء المجلس البلدي احدهما شيخ راسه
 كالثلج شيبا بيده رسالة يقرأها وهو يرتعش غضبا وكان هذا والد جلوان القرني
 وعند جلوس القاضي سال الوالي ان يقص عليه تفصيل الخبر فاخذ الرسالة
 من يد الشيخ وناولها للقاضي فقرأها هذا وعيس ولما وصل الى الامضاء تعجب
 وقال هذا المشكل يصعب حله ولكن لا بد من البحث المدقق قبل عرض ذلك
 على المجلس الجنائي هل سالتم جلوان القرني
 فقال والده ليس ولدي في بلنكور لانه غائب منذ يومين
 — امر مكرر

— وهل بظن حضرة القاضي ان ولدي ...
 — كن مطمئنا يا صاحبي فاني اعرف خط ولدك وامضاه فليس هو الذي
 كتب هذا ولكن وجوده ربما كان يدلنا على الشرير الذي اتخذ اسما طاهرا
 وسيلة لاعماله الفظيعة

ثم سال القاضي والي بلنكور هل تجهلون اسم الميت
 — نعم فانه لم يذكر اسمه لصاحب الفندق ولا ايضا هذا سألته وهذا المكتوب
 أرسل بمغلف بلا عنوان

— ياله من اتفاق غريب اليس لهذا المسافر ثياب سفر
 — صندوق سفر صغير ليس الا

— وهل فتحته

— لا بأس بي فاني انتظر قدومك فندى ما بوافق اجراؤه

— ساجحت وارى ما في الصندوق لعلمنا نرى من ثيابوشيتا عليه علامته ان

اسمه ولا بد ان يكون تكلم مع صاحب الفندق وامراته فمن الواجب ان نعلم على اي شيء دار حديثهم

وبعد هنيهة عاد القاضي الى حديثه فقال

— لا اشك ان هذا المسكين وقع في شرك اللصوص . ويظهر من الرسالة

ان المكيدة مهيأة من قبل وان الغريق تكلم مع قاتله من قبل وتعاهدا ان يلتفيا

على ضفة النهر وان الذين قتلوه كثيرون وانهم اتخذوا كل احتياطاتهم ليحبطوا

مساعي الحكومة فارى هذا الامر من غوامض الاسرار . لان المسافر ما ذكر

اسمه ولا وجدت اوراق فيها اسمه ولا من اين اتى والى اين ذاهب ولم يعرف احد

ما سبب مجيئه الى بلنكور . وقد اتاه كتاب كان ينتظره على ما يظهر وهذا

الكتاب نفسه اوقعه في الشرك وكان ضمن مغلف ليس عليه اسم المرسل اليه

وليس هذا كله فان امراته لا تعرف اللغة فتكشف لنا السر هذه الامور كلها غريبة

ولعل نظارة العدالية تكشف الاستار ولكن كيف يمكنها معرفة ذلك وهي جاهلة

اسم الغريق لان اسمه فقط يكفي للتوصل الى المجرمين



الفصل السابع

التيمة

وبقيت سلمي أكثر من ثلاث ساعات ملفاة على الفراش لا تبدي حراكاً حتى يئس الكل منها ورجع موتها بعد حين وبقي عدة قليلة من الرجال واقفين على باب الفندق لينتسموا اخبار هذه المرأة الحزينة ويخبروا الذين كانوا يحضرون من وقت الى آخر للسؤال عنها

وعند حضور الطبيب كانت قد استفاقت من غشيتها ورجع الناس وقتئذٍ الامل بخلاصها أكثر من موتها . فبعد ما حركت يديها عرض لها ارتعاش متتابع كمنشف عصبي وفجعت عينها وظهرت فيها الحمى ثم جمدت حدقتها رويداً رويداً ولكن عادت ببقية اعضائها الى الحركة وتنفست فظهر احمرار على وجنتيها وشفتيها دلالة على سير الدم ولكنها بقيت صامته حتى خيل للحاضرين انها خرساء . ولما حضر الطبيب ظهرت اشارات الفرح على وجه كل من حضر لخلوصهم من المسؤولية من جهة المرأة . اما الطبيب فكان خبيراً عالمياً بشيخوخة الامراض مخوباً من الجميع حتى انهم كانوا يتكلمون عليه غالباً

فوقف برهة شاخساً في وجه العليلة كأنه غفل عن مصلحيه الخاصة الا انه من اشارات وجهه ومن تدقيق نظره ظهرت شدة حزنه عند مشاهدته هذا المنظر ولكنه اخرج بعد ذلك قطعة فولاذ وقربها من عين المرأة ثم مس

حدثها فبقي النظر جامدًا فحسَّ بأصبعه الجفون فلم تخرج فتغير وسكت أما
مرم فاحترت بامرأها إلا أنها تشجعت ونقدت نحو الطبيب وقالت
— ما الذي رأيته يا أيها الطبيب

— اني لاحظت وفحص مراقبًا هذا الحادث الغريب

— افتنظن انها في حالة التلف

لا اقول ذلك الا انه حدث في الدماغ حركة قوية سببت توقف بعض
الاعضاء عن الحركة

— فاملك ضعيف

— لا لا . . . ما دام فيها نفس لا اقطع الامل من نجاتها . ثم طلب

اشياء عديدة حضرت باسرع من البرق

فدنا من المريضة واخذ يعالج الاعضاء اعلمها تعود الى حركتها . فخرج في
البعض وعند الظهر شعرت العليانة بالولادة فكانت تصرخ بتالم شديد متقلدة
على فراشها كأنها على التناد .

ولعدم معرفة الطبيب بما سيتوقع نسي احضار آلات الجراحة معه فكتب
على رقعة ما يلزم وقال لاحد الموجودين

— خذ هذه الى الوالي ليرسل احد اتباعه الى بيتي وليحضروا هو مسطر
ضمن هذه الورقة وليرجع حالاً

وكان الوالي قد ارسل اثناءه للاستفخاص فارسل احد سكان بانكور
فعاد بعد ساعة ونصف . فلما حضر الرسول اخذ الطبيب ما احضره وبعد
ساعة ولدت سليبي طفلة فاخذتها مريم بيديها وقالت ما اصغرها وبنا الطنفا
ليتها تعيش . . . فقال الطبيب

— قد تعيش وذلك من العجائب

— ولان ايها الطبيب يجب ان تخلص الوالدة ايضاً

فبقي الطبيب صامتاً برهة ونحدرت دموعه رافعة على هذه البنية لانه ناك

قرب اجل الوالدة ولم يبق دليل على حياتها الا تنفسها فقال لمريم

— بادري لاحضار حاضنة

— عندنا جارة اسمها انجلينا تقارب ان تنظم ابنها فأدعوها

— اذا قبلت فسلي اليها الطفلة هذا المساء

واما سلمي فاسلمت الروح بعد العصر فجزع الحاضرون عليها وخرج

الطبيب وقد ملا الغم فواده . وبعد قليل حضرت انجلينا واخذت الطفلة وقد

رق لها فواده وجرت دموعها سخية لموت امها .

.

وكان قاضي الصلح قد بالغ في استنصاء الاخبار حتى اضطر اخيراً الى

استحضار سائق بريد ورزول وقال له

— لقد وقع اثم عظيم في الليلة البارحة وهو ان احد المسافرين فجهل اسمه اصبح

غريباً في النهر هل انت يا لوقا احضرت هذا المسافر وامراته من ورزول

— وهل امراتو حاملة

— نعم كما تقول

— ركبا معي ليلة امس من ورزول

— ومن اين انيا

— ربما كان حضورهما من رومون لانها انيا مع سائق بريد ورنجل

— ألم يكن معك غيرهما من الركاب

— بلى يا سيدي كان معي اثنان احدهما جلس مع الغريبيين داخل العجلة

والاخر بجانبني

— وهل حضر هذان الرجلان من رومون

— ما اعرف الا انها كانا في ورنجل قبل حضور البريد

— وهو كانا مصطحبين

— لا يا سيدي ولكن ظهر لي انها متعارفان

— وهل ركب احدهما عجائلك غير هذه المرة

— لم تنفع عيني عليهما قبل هذه المرة

— ألم ترها بعد ذلك

— كلا يا سيدي

— اعلم يا لوقا ان اسباباً كثيرة تلجئنا الى التاكيد ان هذين الرجلين صاحبا

الجنانية وانها كانا يتظران هذا الرجل في ورشعل فهل علمت اي طريق سلكا
بعد خروجهما من العجالة

— اما الذي كان بجاني فلا ادري اي سبيل سلك واما الاخر فذهب

برفقة الشاب وامراته في طريق بلنكور وظهر لي انه صار بينهما وداد في الطريق

— وهل يمكنك ان تشرح لنا عن هيئة هذين الرجلين

— ما رايت وجههما لانها كانا ملتئين وعلى راس كل منهما برنيطة قش

طويلة الاهداب

— لعنة الله عليهما . اخفيا هيئتهما ليجهل امرها وهل عندك شي اخر نقوله

لنا يا لوقا

— لا يا سيدي

— عد الى ورزول فقد افدتنا شيئاً كثيراً

وبعد ذلك احضروا الى المجلس صندوق شديد الشوري فوجدوا اوراقاً

مالية بقيمة الف فرنك وقطع من الذهب وثياباً ليس عليها علامة . وبقي السر

مكتوماً اذ ليس على كشفه اقل دليل ولو عرف الاسم لمان الامر وفض المشكل

فيئس قاضي الصلح من الوقوف على الخنيفة . وبما ان عمله انتهى اعلم اهل المحكمة

بذلك ليتدبر الامر لعلها تجد واسطة لكشف الخبأ



الفصل الثامن



الوصي

ولما خرج الطبيب من غرفة سلمي ذهب الى قاضي الصلح واستعد للسفر
واياه الا ان حضور يعقوب وليان اخرها لانه طلب اليها ان يسمعا حديثه وقال
اني ابن حارث في ماربل وكان من نصيبي ان ادخل العسكر جندياً
وترقيت بحسن ادارتي وصدق لساني الى رتبة ضابط في العشرين من عمري ثم
تزوجت وتركت الخدمة منذ مدة وقد صرت قائداً مشهوراً وكنت اسأل الله
ان يرزقني ولداً فلم يستجب طلبي . فلما رايت هذه المسكينة (التيمة التي ولدت
بين جثتي والديها) اخذتني الشفقة عليها وتبعت ان ارببها واحسبها كولدي
فارجوكم ان تهبوني اياها واعدكم وعد الاحرار اني لا اغفل عنها ساعة ولا ادعها
تحتاج الى شي وامراتي تكون كاملاً . وحيث اننا نجهل اسم عائلتها انسيبها الى
عائلي

فقال له قاضي الصلح حبذا صنيعك ايها القائد وهذا اكبر دليل على انك
رجل ذو شهامة واداب الا انه لا يمكنني لانا ولا احد غيري ان نتصرف بهذه
التيمة حسب ارادتنا فربما ظهرت عائلتها غداً او بعد غدة فطلبها
— حسب هذا الحساب سيدي فطلبي يكون على هذا الشرط انه عندما
يطلبها احد من اهلها انزعم بتسليمها اليه

- فلا مانع اذاً من ان تقوم بهذا العمل الخيري
- ولقد ذهبت الى النجيلة واوصيتها بالتيمة وانا دائماً بانتظار تعريف من
اهلها بواسطة صديقي والي بلنكور

- ولا تحسب ان هذه الطفلة فقيرة فلقد ترك لها كمية من النقود فاننا
فضلاً عن الاوراق الموجودة في المحفظة وجدنا في هذا الصندوق قطعتين بقيمة
الف ومائتين واربعين فرنكاً فحيلة ما تملكه ألف وثمانماية واثنان وتسعون
فرنكاً

- وانا اعدكم اني لا امس هذا المبلغ مطلقاً فهذا هو مهرها فانني اقترضه فيصير
بعد مدة مضاعفاً او يزيد

وهكذا تم الاتفاق ما بين اهل المجلس ويعقوب ولبان وعند ذلك حضرت
المركبة فذهب بها القاضي والطبيب

وكان الناس مزدحمين على باب المحكمة فعند سفر القاضي والطبيب
تفرقوا وكان من جملتهم شيخ لا يبالي به فقال بنفسه

ما اطلعوا على شيء ولا يمكنهم ان يعرفوا شيئاً وكان الاخرى بالقاضي
ان يبقى في قصره من ان يخل هذا العناء الباطل بحضوره هنا . فانا وحدي
يمكنني ان افيدته كيف وقع هذا الانسان في النهر فما كنت بعيداً عن الاشرار .
ومع شدة الظلام قدرت ان ارى وعلمت الخبر . وقد عجب من تغفل هذا
الغريب كيف بحث عن حنفه بظلمة . ولقد احسنت بكمم الخبر . فما لي والحكومة
وللمداخلة في ما لا يعني فما انا غير انسان حنير فلتجند الحكومة بالتنقيش .
فسيان عندي عرفت ام لا . . . ولكن لا بد لي من البحث عن ذلك الشخص
الذي اتى بالفانوس من الشاطي الثاني ومنه اكشف حقيقة السر

وكان هذا الرجل الذي تكلم هذه الكلمات في الخامسة والخمسين من
عمره وكان سابقاً فلاحاً متوسط الحال الا انه طمعاً بالمال خسر ثروته وامرانه فبني
بقطعة ارض تركها له اصحاب الديون كوخاً يسكن به وكان يرعى

خمسين عتراً وبقنات من حلبها ويبيع بعضه فيغنيو عن التسول واسمه الحقيقي
 ممنوع ولكن منذ ابتدأه بالرعاية لقب بالشيخ العزبي فلزمه سائر حباؤه
 ومضت ثمانية ايام بعد الحوادث التي مر ذكرها وكثر البحث والتنقيب فلم
 تكن النتيجة مرضية ولما حضر عميد الملك احضر جلوان الفزني وسأله هل يعرف
 اعداء هذا الشخص الذين اتخذوا اسمه وارزكوا هكذا جريمة
 فاجاب انه لا يمكن ان يعرف شيئاً من هذا القليل وما زالت العساكر
 تسعى من مكان الى اخر في الجبال والاحراش وفي جميع المسالك والطرق
 فتبضوا على كثير من عابري الطريق ولكنهم كلوا عن ايجاد ذنبك الشريرين
 اللذين فعلا ذلك الفعل الفظيع وذلك لان برصاً وبليلاً دخلا باريس آمين
 وبعد التفتيش الكلي حضر دفن الجسدين جميع اهل المحكمة والطبيب
 مع كل اهل تلك القرية ومئات من الرجال من قرى مختلفة وعلى الضريح
 خطب الوالي خطاباً حرك به احساسات الجمع فانه تكلم عن اليتمة التي اصببت
 بفقد والديها وانبع كلامه قائلاً ولكن الرب يحرس الايتام الصغار فلا تبني
 هذه دون اهل ولا نحرم من المحبة والمحبة لانها وجدت اباً وأماً . ثم نظر
 حزناً الى الفزني وترحم على الفقيد



الفصل التاسع

اتمام المكيـدة

في احد الايام قبل الظهر وفنت مركبة قرب لوكنـدة هاور في باريس وخرج منها رجل حسن البزة لطيف الري لا يشك من عين النظر في هينته انه نفس بليل الشرير فدخل اللوكنـدة وطلب مواجهة صاحبها فدله الباب على الطريق الموصلة ففتح الباب ودخل فحبي فوقف له صاحب اللوكنـدة بكل احترام فقال له بليل

— هل هنا منزل شديد الشوري وامراته اللذين حضرا من انكثرا
— نعم ولكنها سافرا منذ عشرة ايام واني متعجب من امرها لان الرجل قال لي قبل ذهابه انه سيعود في مدة ثلاثة او اربعة ايام . وقد فات الوقت ولم يحضر

— اني اعلم ذلك فان الرجل صاحبي وقد بارح باريس قصد الرجوع اليها بعد ثلاثة ايام لانه ما اخذ الا اليسير من ثيابه ولكن اتفاقا غريباً الزمة الرجوع الى انكثرا وقد تمضي مدة طويلة قبل ان يتمكن من روينه
— زدني استغرائاً

— ما العمل هكذا تننضي الصدف . فلا يعلم الانسان ما الذي يحدث له في الغد . وانا الان آت من قبل شديد لكي ادفع لك ما يخصك واستلم كل ماله

هنا من الامتعة

فتعجب صاحب اللوكندة ونظر الى بلبل نظر المشتد وقال

— هل تريد ان تخبرني عن اسمك

— « طفيل الليبوني » وهذا اسمي على هذه الورقة فاخذها وقرا

« طفيل الليبوني ناظر المعادن في باريس في الشارع الدمكي نمرة ٩٢ »

فجعل يتأمل في الورقة ويقلبها بين يديه فعرف بلبل فكره فقال

ان صاحبي كتب الي ٠٠٠٠

— معك اذا رسالته

— نعم وبها يخبرني ان آتي اليك

واخذ يفتش جيوبه ثم اخرج رسالة على غلافها علامة بريد لندن وعنوانها

طفيل الليبوني ناظر المعادن في الشارع الدمكي نمرة ٩٢ فقراها اللوكندي وتأكد

صدق مقالته لان امانة طفيل كانت مشهورة

ولفائل يقول كيف اتفق وجود هذه الرسالة المزورة مع بلبل فنجيب ان

هذا الرجل عجيب الدهاء والمكر كما ذكرنا سابقا له علاقات مع كثير من

الناس في مدن شتى فاحتال على تحصيل هذه الرسالة بدسيسة شيطانية

فبعد ما قرا اللوكندي الرسالة قال شيء غريب

— اي شيء

— لا يخبرك شديد ان ناخذ مفتاح صندوق الاوراق التي قال انها

ذات اهمية عظيمة

وكان بلبل يجهل هذا السر غير ان حذقه ارشده فقال : ربما سها ان

يخبرني بذلك او انه راي ان ليس من الضروري ان يخبرني عنه لانه ارسلني

اليك خاصة

— ا فنتعس ان تصعد الى غرفتي

— نعم ولكي ادفع لك قيل ذلك مالك عنده

فجاس اذ ذاك اللوكندي واخذ دفتر الحساب فكان المطلوب مائتين وستين فرنكاً

فوضع بليل على الطاولة ٢٨٠ فرنكاً وقال عشرون فرنكاً للخادم واخذ القائمة ووضعها في جيبه . وصعد الى منزل شديد فكان معه اللوكندي وعلامته فوجد بليل امتعة شديدة وامراته في خرج مع صندوق الاوراق وسنطاً من جلد فيو بعض لوازم سليبي وضمنه علب فيها حلاها . فحمل الغلام الامتعة وقال اذا شاء مولاي ان اوصلها الى المنزل فقال بليل نضعها في المركبة التي بانتظاري على الباب فاضع الخرج امام السائق والسنط والصندوق بجانب فاحد الخادم الامتعة وانزلها الى العجلة . فطلب اللوكندي الى بليل ان يعطيه وصلاً بما استلم فدخل المكتب وسطر ما املاه عليه ذاك وامضى الورقة باسم طفيل الليوني ناظر المعادن

وبعد برهة جرت مركبة بليل اسرع من الطير فقال اللعين بنفسه :
لتبحث الحكومة الان ابن شات في باريس او الجبال فالولد لا يتفوه بشيء
والابوان لا يقومان من القبر وجعل يترنم بهذه الايات

الاهات استغني اليوم المداما لاني ملت يا صاح المراما
خدعت الكل في قولي وفعلي ولست ارى علي بذل ملاما
فن قد لامني جهلا اراه حرياً ان يلام ولا الاما
لذا ارميه في اشارك هولي ابقي من يدي الموت الزواما
ولكن يا العجب كأن ضمير هذا الشقي بقي حياً فتوهم انه سمع صوتاً سريراً يقول له
لا جرم ان للمظلومين نصيراً يأخذ بثأرهم

القسم الاول

غوامض الاسرار

الفصل الاول

المحب الجبان

كان الصباح رائقاً شائناً والشمس طالعة مجلجلاً البهية الساطعة تغلغل اشعتها
 الاشجار الغضة فتنبث شذورها الذهبية على ديباجة من الرياض مرصعة بلاكى
 الندى اللامعة ونسيم الصبا يعبث بالغصون المزهرة والازهار العطرة فيعطر
 الارجا بهو بهو اللطيف . وكان اذ ذاك موسم الحصاد وقد برزت النساء
 والبنات يقولن بين الحصادين يجمعن السنابل كدساً
 وكانت هناك حديقة انيقة قد جمعت اصناف الثمار والرياحين وصدحت

ففيما الطيور بالمخاض الشجية الى جانبها خيمة كثيفة ممدودة الظل كالرواق . وفي وسط الحديقة شبه قبة معقودة من النباتات والرياحين المتعرشة ملئفة بعضها على بعض وزينة بازهارها ومدخل تلك القبة الخضراء مطل على بيت صغير لطيف الشكل بهي المنظر ايض الجدران كأنه بيضة في تلك الروضة

وفي جوف تلك القبة شبه سرير عليه فتاة جالسة بهية الطامة بديعة المنظر كالدر في القبة الخضراء . قد جمعت من محاسن الاوصاف ما لا يجمع الا للقبيل من بنات جنسها الى مثلها يشير الشاعر بقوله

ولو انها في عهد يوسف قطعت قلوب رجال لا أكف نساء

وكانت على ما يظهر في السادسة عشرة من سنينها وهي مشوقة التدلينة الاعطاف حوراء العين طويلة الاهداب بيضاء شارقة الجبين دقيقة الأعضاء مخيلة الانامل قد اسدلت جئال شعرها الاسود اللامع كالافاعي تحي ورد الوجنتين او كجباب من الظلام قد وضع فيه بياض عنقها ووجهها الثنان . لها انف دقيق مستور وشفتان كالفرز لوناً والورد طراوة والدينار رونقاً ورقة والخاتم استدارة وحاجبان دقيقان كنوسين ترمي عنهما سهام تلك اللحاظ الهاروتية رخيمة الصوت مهية الطامة عليها سياء الادب والوقار

وكانت حينئذ ساهية متاملة كأنها ترأف حركات الفراش المتطاير حولها وتضي الى طنين اجنحة الحشرات وتغريد العصافير واناملها الصغيرة اللطيفة منبسطة على طنفسة من الحرير كانت تشغل بها وقد قاربت الانتهاء وبينما هي غائصة في الحجج الافكار والهواجس كأن قلبها اثاراً من الحزن غير واضحة اذ اعزتها رجفة خفيفة واحمرت وجنتها لانهارات على مسافة بعض خطوات عند مدخل الحديقة شاباً لا يكون عمره فوق العشرين مكرن البنية لطيف المنظر نام الخلق كامل العافية اسمر اللون عليه لباس الفلاحين وهو يسترق الخيطي كالماتق الوجمل

ففي الحال حولت عنه نظرها وعادت الى شغلها كأنها لا تراه . حيلة نسائية

يقصد بها لذة البغنة

وكان كما قلنا بقدم رجلاً ويوخر أخرى كمن لا يرجو انساً في اللقائم ثم تجاد
اخيراً فاسرع خطاؤه الى ان وقف امامها وقال بصوت مرتجف اسعد الله
اوقاتك يا سيدتي حنة فصاحت صبيحة لطيفة كأنها دُعرت وقالت هذا انت
يا ايوب نعمت صباحاً

ونمت قليلاً بحيث تمكنت من الجلوس بجانبها وقالت له تعال يا ايوب واجلس
هنا فلم يتردد عن اجابتها وقد كسا الخجل وجهه وقال اذن لا يسوءك حضوري
هنا

— لم يسوءني يا ايوب

— لا اعرف كنت اخشى ان اذكرك . فاذا انت لطيفة الخلق

طيبة القلب

فتمكنت تلك الطنفسة ورفعت اليه عينها النجلاوين وقالت ارايت اني
تذكرت مرة بمحضورك
— كلاً

— فلماذا انتكرت ذلك

— اخطأت بهذا الوهم ولكن لا ادري ما الداعي لحنفان قلبي عند
مشاهدتك ولو من مسافة لاني افكر ان ما انفوه به امامك ربما يزعجك

فاحمر وجه حنة عند ذلك وقالت بصوت مرتعش لا افهم مثالك يا ايوب
انسيت انك فليون والدي فلذا اتخذتك كصاحب ودود اذا لم اقل كشافني لي
— لا لا انسى ذلك ولا لم تربني ههنا

— ولم باعززي

— لا اجسر على ذلك

— وهل لي ما يخيفك

— ايس هذا المراد ولا كنت من الانزال غير اني بحضرتك فقط بتعقد

لساني لا اقدر ان انقلب على هذه المخاوف فحاشا ان يدخل افكاري ريب او
انفوس بما يزعج انفسك ولكن يا عزيزتي لو اقدر ان اظهر لك كل ما يشعر به قلبي .
لا اقدر على ذلك فهوذا الخوف قد عاد الي ولا يمكن عندك موكدا ان الموت
احب الي من ان تشعري مني بشيء بكدر احساساتك الشريفة . ويا حبذا لو
قدرت ان اوضح لك افكاري

فاطرفت لديه وقالت كن مطمئنا يا ابوب من هذا القيل فلان جناح قلبي
شيء ما بكدر من جهتك لان قلبي شكور ولك علي جميل . واني اذكر دائما
ما تكبدت لاجلي منذ نعومة اظفاري . ربينا في بيت واحد ونحن على ما كنا
عليه وكنت اكبر سنًا وعند ذلك كنت اشعر بهلاطنتك وبهدارتك لي انسبت
يا عزيزي عند رجوعنا من التنزه كيف عندما كنت اشعر بالنعيم كنت تخملني على
ذراعيك لتريجيني . الست انت الحل الوفي الذي كنت تعزيني في انعابي فكيف
انسي افضالك

— ولكك يا عزيزتي قد كبرت الان

— فهل تغيرت عما كنت

— نعم نعم

— كيف ذلك

— الست الان احسن واطرف والطف من كل البنات وقبلاً كنت في

المدرسة فاجتهدت حتى كنت تنالين دائماً نفوذاً وانا نار النجاح فاذا ذاك كنت
سعيداً ولكن بعد ان تركت المدرسة اي منذ ستة اشهر

— صرت تدعوني بالسيدة حنة لاحتة مجرداً كما كنا في ايام الصبا

— افعلت انك تغيرت ولم يبق الحال كما كان

— بل انت يا ابوب قد تغيرت

— انا ... نا ...

— فلماذا لا تدعوني حنة فقط كما كنت سابقاً

- الذلك تعينفي

- نعم

- كنت اخشى ...

- لا اجهل ان خوفك بملك على ان نرتجف عند دنوك مني وانه المانع
الا كبر لظاهر ما في ضميرك

ثم رقت صوتها وقالت لا يلزم ان تنقد شجاعتك . لقد تجدد كلاماً يقال
لفتاة دون تكدير مزاجها ولا تقليل احترامها اني اعلم طهارة قلبك وسلامة
افكارك والمانع الذي يردعك ان تطلعني على افكارك تصريحاً ولقد كشفت
بعض مكنونات اسرارك وما يبثك به قلبك تكلم يا ايوب تكلم ولا تخش

- كيف حنة حنة انا ذين لي بالتكلم . انسحبين لي ان
اصرح لا لا اقدر فالحوف قد عاد الي

وصار هذا الحب الجبان يرتجف كالولد المذعور فالتفتت اليه حنة مجنونة
وقالت يا عزيزي ايوب ليس لي ان ابدأ بالكلام واطهر لك ان الوداد بيننا مشترك
فصاح طرباً وقال احققا حنة انك تحييني

- ما فترت قط عن محبتك يا ايوب

- فلاجل هذه المحبة نفسها لا يمكنني عند رويتك ان افوه بكلمة حتى ولا

ان انظر اليك

- والان

- قد زال الوجل والمجن . لان نظرك بهيج في قلبي شعائر الحب . وبخال

لي الان ان هذه المحديقة بقعة من الفردوس لاني احبك يا حنة وانا مغرم بك
والحال علا نحيبه وقطع كلامه وخفق فواد حنة وصارت دموعها تساقط
ثم قال ايوب والوجد يضطرم في فواده بالسعادة وبها للغبطة تحبني حنة
واني لست مستغفراً ان اتنع بهذا النعيم . يا عزيزتي لا اطلب الا سعادتك لان
روحي وقلبي وكل مالي بخصك فهل يكون لي الحظ يوماً ان احقق لك حيي

بالدلائل والبيانات

وإذا بصوت من وراءها يقول . لم لا

فوقف الحبيبان بغتة ونظرا وإذا بشيخ عليه ثياب رثة وكان واقفا وراء

السياج ايض اللحية اسمر الوجه فصرخ ايوب وقال لماذا انت هنا

- اتفاقا يا صاحبي لان النعب اعياني فانيت لاسنرج وراء هذا السياج

- انيت لكي تسمع مقالنا

- حقا لا . لاني كنت قبل جلوس هذه السيدة هنا

- وهل سمعت شيئا

- الحق اولي ان يقال اني سمعت كل مغازلتكما فلا يلزم ان تغضب على

شيخ بقيت اذائه تسمع واعينه تبصر فعلم انكما اللطف ما وجد في بادتنا هذه .

افيحال لك ان الشيخ العتري الفقير اللنكوري يطلب تكدير صفاء هذه الفتاة

اللطيفة كلا ومعاذ الله ان العتري يكشف اسراركما . تناغيا . تلذذا بالمغازلة وما

عليكما باس اذ ليس من طبعي الفشار وكشف الاسرار استودعكما الله . فتقدمت

الفتاة وقالت له است من الاغنيا ولكن خذ هذه واشتر حذاء عوضا عن

هذا

ومدت يدها بقدر امكانها خارج السياج واعطته خمسة فريكات فاخذها

وقبل يدها قائلا

اكثر الله من معروفك وعوصها عليك خيرا وسلامه

وليس قبعة وانتي راجعا قائلا بنفسه : ما احسنها واطرفها . فانها احسن

من والدتها المسكينة

الفصل الثاني

الضابط القديم

بعد انصراف الشيخ العنزي قالت حنة لا يوب هل تعرف هذا الشخص
 — نعم اعرفه وقد رابته عدة مرار وهو يأتي ماربل مرتين او ثلاثاً في
 السنة ويقال انه كان في اوليته غنياً يعمل في الارض فخطبه الدهر وشاخ وعجز
 عن الشغل فاحتاج الى التسول
 — مسكين . هذا مما يكسر القلب

— نعم يا حنة امر محزن ان يكون العاجزون محتاجين الى التسول وباحذا
 لو اقيمت منازل خصوصية لامثالهم ليكفوا مؤنة السؤال
 — قد امني امر هذا الشيخ وكان ينظر الي نظر الحنو كأنه كلاماً
 بقوله لي

— كيف خطر لك هذا الخاطر
 — ما ادري ولعله وهم وهل هو من بلنكور
 — نعم يا عزيزتي
 فتهدت حنة واحتمت راسها ونعد منية قال لها ابوب هل تفكرين في

امك

— نعم لانها كانت مقيمة في بلنكور فتذكرتها الان ولست اعرفها لانها
مانت بعد ان ولدني بساعة . يا حيدالو سح الله ان تبقى الى هذه الايام . واذا
سالت ابي عن اسمها يجاوبني جواباً مبها وهو متعير بضمني الى صدره . ويقبلي
ويبكي . فما الداعي ترى لكم هذا الامر عني لعل حادثاً غريباً جرى على ابي
حتى لا يذكر لي اسمها ولا اصلها . والظاهر ان هذا الشيخ كان يعرفها فلما ساساله
اعلمها اذا رايتها . والان ما لنا ولهذه الاحاديث المحزنة . فهل اتيت يا ابوب اليوم
تقابل ابي

— نعم وقد دخلت البيت فلم اجد احداً فظننت انك واياه هنا فوجدتك
وحبك فما اردت ان اذهب قبل ان اراك واكلمك وما كنت احسب اني افوز
بسرور ولا بوصف

— ابي ذهب الى النهر ليتنزه واخذ معه كلنا حبور وسيرجع عما قليل .
فما تريد منه

— اه يا حنة قد انقبض قلبي . تعلمين اني ادعى الى العسكرية قبل الوقت
المعين لي لاني لم اقدر ان اخترت تقديم الوقت لارجع في زمن موافق بعد ان انال
رتبة كما مال عرابي فانيت لاخبره واودعه واودعك

— فمتى تسافر

— غداً . ويلاه

— لم هذه العجلة . ستعلماني مما شديداً لكن الوطن اولى فارحل اسلام وانا
انتظرك

— يا حبيبتي انعمت فوادى بكلامك فارحل وفي قلبي من الامل تعزية عظي
عسى الله ان يجمعنا بعد هذا الفراق الطويل وسبع سنوات يا حنة احسبها قصيرة
بالنسبة الى امل اللقا والايام سريرة الكرور

وبينما هما يتحدثان سمعا نباح كلب فقالت حنة هذا صوت حبور فقد اتى
ابي

- قد خامر قلبي يا حنة خوف جديد لعل أباك يمنعني من الاهتمام بك
 - كن مطمئناً فإنه يعلم من مدة طويلة ما بيننا من المحبة
 وللحال ظهر يعقوب الشيخ في مدخل الحديقة وكان الى ذلك الوقت في
 نشاط الشباب وتنام الصحة لم يحزن الكبر ظهراً الا ان الشيب كان قد وخطه
 فتقدم الفتيان للقاءه فقال الشيخ للفتى انت هنا يا ايوب . ما كنت احسب
 ان اجدك في هذا الوقت من غيابي مجالساً لحنة
 وتقدمت الفتاة وقبلت يده وقالت له قد اتى الان لان له معك كلاماً
 مهماً واذ لم يجدك في البيت اتى يطلبك هنا
 - حسناً عمل . أفهنا كل ما قال لك
 - قال لي ايضاً انه يحبني
 - وكيف تجاسر على ذلك
 - على سبيل الدالة
 - وانت ماذا اجبت
 - اني احبه ايضاً
 - نعم الحرية حريتكما . حسناً فعلتما بتهديد السبيل . انت صاحب حبل
 يا ايوب وحيلتك لطيفة . اغتنمت فرصة غيابي على النهر واتيت تلذذ نفسك
 بانس الاجتماع . ما تقول يا حيور في هذه الحادثة
 - عَوَّ . عَوَّ . عَوَّ
 ولكي يحقق شعوره بهذا السرور جعل يشب نارة على ايوب وطوراً على حنة
 ويمد خرطومهُ بلطف ويلحسهما
 ثم قال يعقوب لايوب . انتغدى معنا اليوم
 ففالت حنة كيف لا وانا اقدم له غداهُ بيدي ولان يجب ان امضي الى
 البيت للمعاونة رفته
 ففضت وتبعها حيور فقال يعقوب للفتى الان صرنا وحدنا فلنجلس ونحدث

ومضيا وجلسا في ظل شجرة سماق فقال يعقوب . ما تريد ان تخبرني
 — اني مزعج على الرجل غداً بحسب الامر الذي ورد البارح
 — ففي هذا المساء اكتب رسالتين توصية فيك الى رجلين من مقدمي
 الجيش احدهما من اعز اصحابي فاذا حقت املني بحسن تصرفك لا نعود الا
 وانت صاحب رتبة . وقد نلت بهذا الرجل حظاً حسناً لانه اطلق اسمك
 — نعم ولكن معظم الفضل لحنه لانها سهلت لي ففح الحديث
 — هذا يدل على شدة حبك لما كما تستحق واني شعرت بميلك اليها منذ
 ابام . فخشيت ان لا يكون لها ميل اليك فاحملت وسالتها على سبيل التعريض
 فاجابت بطلاقة وجه تدل على صفاء نيتها وقالت « لا يخفاني ان ايوب يحبني وان
 لم يخبرني بكلمة واحدة لكنني شعرت بذلك من تلقاء نفسي من هيئة سلوكه معي والان
 يا ابي تحب ان نطلع على افكاره من هذا القبيل لاجل راحة بالك . فاقول
 لك اني احببت اخلاقه ويسرنني ان يثبت على محبتي » فترى يا ايوب ان عبارتها
 صريحة وقد طابت نفسي بتعقني اتفاق القلبين . ولم يتصع لك ذلك الا وانت على
 وشك الفراق لك انك المخطئ بحق نفسك لا بفائك امرك مكتوماً الى هذا
 اليوم

— على اني قد حصلت على نعم كانه حلم فاست ابالي بفراق وقد صح اني

سعيد المخل

— واعلم ان هذا الفراق سيكون صعباً عليكما تنوق فيه مرارة العيش
 حلاوة الامل وتذرف من عيونكما دموع سخية سخية فاما حنة فاعرف كيف
 اسلبها واما انت فلا يصح ان بلبالك بوجوب تقصيرك في خدمة الوطن ويضعف
 عزمك في الاعمال العسكرية وسبع سنوات تمر مر السحاب فلا ترى نفسك الا
 حائزاً رتبة شريفة وتجد حنة قد تكلمت في الاداب ومعرفة حنوق المرأة ولي بالله
 رجاء وطيد ان يقيني سالماً فيفرح قلبي باقترانكما

— هكذا لي الامل يا ابي على انه ليس من الصواب ان تموت قبل ذلك

الوقت

— هذا الحق لان وجودي بناء على هذا الفكر ضروري لتكميل اداب حنة ولا غراض اخرى مهمة وعلى كل حال لا يعرف الانسان ما قدر عليه فاذا اذن الله بوفائي على غير ميعاد فليس لحنة معين ولا مؤتمن سواك . ولوفق الامر يجب ان اخبرك شيئاً لا يصح كتمه

— فاعلم ان حنة بنتي بطريق النبي وقد زاد اهتمامي بها بعد وفاة عرابتك الطيبة الذكر ولذلك نسبت اسمها الى عائلتي . فلا تعرف الان الا باسم حنة الولاية ولم اخبرها شيئاً عن اصلها وكيفية نشأتها الا انها ولدت في بلنكور وان والدتها توفيت على اثر ولادتها

— قد شككت لي امرها من هذا القليل وهي حزينة لكم هذا السر عنها — لا بد من ذلك وكثيراً ما سالتني فرايت من الصواب ان لا اطلعها على الحقيقة فاذا كشفت لك الامر صوبت تصرفي وقد كثرت اراجيف الناس بهذا الشأن واختلفت اقوالهم حتى ان البعض رموني بتهمة فضيحة لكنني لم ابال . بذلك لراحة ضميري فاسمع الان ما اقول لك

واخذ يقص عليه بتفصيل حادثة بلنكور التي جرت في ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ وهي المشروحة في ديباجة هذا الكتاب . ثم قال له انما يحق لي ان اكنم عن حنة هذه الاخبار المريعة

— لاشك لان معرفتها بها تنغص حياتها وتشوب لذة صائها باكدار لا توصف

— ولهذا السبب عينه حافظت على الكتمان ويجب ان نحافظ است ايضاً الى ما شاء الله لان معرفتها بان اباها قتل غدرًا وكان قتله سبباً للجزع امهائم موتها بآس من اشد الاهوال عليها

— وهل قبضوا على التتلة وعرفوا اسم التتيل
— جرى البحث من كل وجه فلم يبتدوا الى شيء ولهذا السبب تبنى حنة

مستريحة البال اذا لم تعرف لها عائلة ولا تنسب الا الى عائلتي وقد كان لي
والمرحومة امراتي اشد عطفة عليها كانتا ابنتا حقاً ولم يضع معها الجحيل ولم يبقَ
سبيل لانفصالها عني فليس لي وريث سواها وان كانت تركتي حفيرة
— ليست السعادة بكثرة المال واني شديد العزم نشيط في الاشغال فلا
سبح الله ان تحتاج معي الى احد

— ولولا معرفتي بحسن طوبتك وعلو همتك لما سمعت بالانصال بينكما
فجئلة ما يخصها الان هذا البيت وهذه الحديقة مع لواحقتهما ومبلغ من النفود
وجد مع ابيها فديته بالربا وهو يبلغ اليوم اثني عشر الف فرنك
— عجباً وكيف نقول ان ثروتها حفيرة فهي غنية جداً بالنسبة الى لاني
لا املك شيئاً وباليك اعلمني بهذا قبلاً
— لاي سبب

-- ما كنت تجاسرت

— دغ عنك هذه المحافة لالك انت قلت ان السعادة لا تقوم بالمال
والذي معها ميزداد كثيراً بعد سبع سنوات فبتناغ قطعة ارض ونعلمها فنكون
غناها متكفلة راحتنا التامة ونعج في فن الزراعة نجاحاً عظيماً . وانت قادر باذن
الله ان تفوق سائر اقربائك وما اردت ان اعفبك من العسكرية بدفع بدل مالي
لكون سنك الان غير كافٍ لاقدامك على هذه الاعمال الزراعية العظيمة
وحنة ايضاً تحتاج الى زيادة ثقيف وفضلاً عن ذلك تكون قد خدمت وطنك
وقت بواجبات الانسانية وترقيت ونشطت

فهذا ما اردت ان اخبرك به الان وبعد رجوعك نتحدث بامور اخرى
واباك تم اياك ان تطلع حمة على اشارة من هذا المعنى
وحينئذ اقبلت الخادمة رفة وامامها حيور ودعتها للغداء

وبعد الغداء بساعتين خرج ابوب من منزل عرايه ووجهه طافح سروراً
فصار الناس يقولون عجباً لهذا الفتي نراه فرحاً باشاً وهو غداً ذاهب الى العسكر

كأنه متحقق أنه بوصوله ينال الرتب العالية
 هذا دأب الناس في كل البلاد بسوءهم أن يروا فتيانهم يشطون لخدمة
 الوطن ورضى الملك والذّب عن شرف الدولة وما ذاك إلا لضعف قلوب الآباء
 والأمهات الناتج عن شدة محبة الأولاد وهذا السبب عينه يضعف عزم الفتيان
 وكان أيوب قد مضى الى استاذة في الزراعة ليستأذن منه بالانصراف
 وبينما هو راجع لقي الشيخ العتري في الطريق فحياه وساله عن حاله فقال تراني
 يا ولدي في احسن حال بما فاض علي من انعام تلك السيدة اللطيفة . فاخبرني
 هل صحيح ما يقال عن رحيلك

— نعم صحيح . وما معنى سؤالك

— كنت ظننت ما دار بينك وبين حنة من الحديث أنكما على اهبة
 الاقتران وكنت احب ان اقول لك شيئاً

— وما المانع من ان تقول الان

— المانع انك مسافر فمضى رجعت وتزوجت اخبرتك

— افتحسب انك تعيش الى ذلك اليوم

— ان عشت والا بقي سري مكتوماً

— ففي المسألة سرّاً

— سرّ عظيم

— فاكشفه لي بحياتك

— لا يوافق الان

— اكنفي بالتلميح دون التصريح

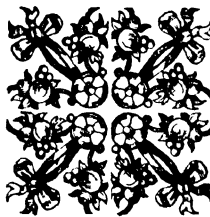
— قل لي هل اخبرك عرابك شيئاً بخصوص حنة وابن وجدها

— اخبرني اليوم ان اباها طرح غدرًا في النهر وامها مانت حزناً عليه بعد

ان ولدت حنة بقليل ولم يعرف عن والديها شيء مطلقاً

— فقد اخبرك ما عرف

- فالظاهر انك تعرف أكثر منه .
- لا تلج بالسؤال ايها النبي فمتى رجعت وتزوجنها فقد يمكن ان ارشدك الى معرفة اسم والديها
- فانا لا ادعك بخطو خطوة قبل ان تذكر لي الدلائل
- لا سبيل الى ذلك الان
- واذا مت في هذه المدة الطويلة
- فلسوء الحظ
- فان كنت لا تخبرني فاخبر على الاقل عراي
- ليس هذا في خاطري
- فانا اضطررك بواسطة الحكومة
- الظاهر يافتي انك لا تعرف حقيقة الشيخ العتري فانه بعناده قد يئلف نفسه فلو اجتمع علي عسكر بالبنادق والحراش لم انطق بكلمة ولو هشموا جسدي فعليك بالصبر والتجلد الى ان نعود سالمين
- قال هذا وولي مهرولا وفي ايوب في مكانه جامدا وقال ما اقل عقلي كيف اعتمد ان هذا الشيخ يعرف أكثر من عراي ومن اين له ان يكشف ما عجز عنه سائر الناس فما اظن الا انه دخل في سن الخرف واراد ان يتسلى بهما حتى



الفصل الثالث

ظهور ريب الذئاب

ولما كان الغد خرج ابوب راحلاً وصحبه يعقوب وحنة وستة من الجنود وجماعة من الاولاد كانوا يمجونه . فجاوزوا البلدة وقطعوا الوادي المناوح لصفة النهر البني وصعدوا التل الذي عليه يكون الوداع وكانت الطريق مخوفة بالاشجار والخضرة وصاعدة في لحف اكمة تدور حولها يقال لها الحديقة الزرقاء وهي شبه قبة موهنة من صخور كبيرة مستوعرة وتشبه عن بعد سنام الجمل وهي ذات شعاب وتضاريس حادة وفيها كثير من العوسج تستر شقوقاً وفزوراً وكهوفاً عظيمة جداً لا يستطيع الانسان المسير فيها وهناك مأوى النسور والطيور الليلية

فلما بلغوا اعالي الهضبة التفت ابوب الى جهة الوادي والبلدة لفتة الوداع فانقبض قلبه وجرت دموعه . واما حنة فكانت عبراتها تخفيها وتخفي انقباضها في صدرها فقال يعقوب تجلد يا ولدي وانتر يا حنة اعشفيه فتتولد في قلبه القوة فتقدمت اليه وقلبا يخفق وعانته ولم يستطع احدهما ان يتكلم لان البكاء حال دون الكلام وقال يعقوب لايوب رجج بالك يا ولدي فلا تنضي عليك سنتان حتى تتقدم في وظيفتك فيسمحون لك بفرصة تأتي بها الى وطنك فتقيم اياماً بين اصحابك

وصار جماعة الاصحاب والاولاد يقبلونه ويودعونه
 وبيناهم في اخر دقيقة من الوداع اذ صاح احد الاولاد صياح الوجل
 فصرخ معه بقية الاولاد قائلين : ريب الذئاب ريب الذئاب
 فنحنصت جميع الابصار الى الجهة التي ظهر منها هذا الرجل الوحشي المسمى
 حنا والملقب برييب الذئاب

وكان قد خرج من كهف في الحدة الزرقاء وكان من يراه عن بعد يظن
 انه وحش لان منظره غريب وركضه في خلال الحقل سريع جدا كأن رجله
 لا تمس الارض ولا شيء يعوقه في عدوه لا صخور ولا عور ولا فزور الارض
 ولا عوج ولا علق فانه ينسب فوق الجميع كانه طائر بلا جناحين او نمر وكان
 يتقدم نحو الجماعة

فاخذ الاولاد يجمعون الحصى ليتفوه اذا اقتحمهم فقال لهم ايوب لا تخافوا
 يا اولاد لان حنا هذا وحشي ودبع لا يقصد الاذية وهو صاحبي فالذي يرميه
 بحجر لا يكون من اصدقائي

فسكن الاولاد والنوا الحصى من ايديهم

فلما وصل ريب الذئاب ظهرت عليه امارات الوداعة وكان عالي الجثة
 متين العضل عظيم القوة اشعر البدن شديد العصب يلبس سرة من جلود
 الذئاب يربطها بالياق نباتية على خنثويه وباقي بدنه مكشوف ويظهر من هيئته
 ان عمره ثلاثون سنة

ولكن الحقيقة انه كان ابن عشرين الى اثنين وعشرين . ووجهه حسن الشكل
 منتظم الاعضاء مسمر اللون غير كثيف اللحية انه معتدل مستقيم شفته خضتان
 واسنانه بيضاء كالعاج وبالاجمال هيئته مستعسنة كما يكون الانسان في حالة
 الوحشية ولا يخلو من لمحة الجبال

شعره طويل سبط كان يمشطه باظافره الطويلة وهو منسدل حول راسه
 ومسترسل على ظهره وفيه حدة بصر ونشاط مزاج لكن يظهر للمتأمل انه لا يخلو

من اللطنة وإن فيه عواطف العقلاء المتدنين

فتقدم إليه ايوب وناولته يده فضمها بين يديه وصار يُسمع اصواتاً لا نظام فيها على انبساطه وبساطته . ولم يكن يعرف الكلام على انه لم يكن ابكم وسبب ذلك انه لا يعاشر الناس فيتعلم التكلم . فقال له ايوب : انا راحل يا صديقي واغيب عنك زماناً طويلاً فانك علمت برحلي فانيت لتودعني فاحني انسان الغاب راسه وظهرت علامات الحزن على وجهه وسقطت دموعه كأنه فهم ما قيل له وكأنه يريد ان يقول انت صديقي الوحيد الذي احرم لقاه

ثم تقدم الى حنة وبقي ماسكاً يد ايوب فاخذ يدها ايضاً ونظر اليها وهو يتيسم ثم جعل يد حنة بيد ايوب فدهش الجماعة من هذه اللطنة وتقدموا اليه واحناطوا به فظن ان مرادهم ان يقبضوا عليه ففرّ منهم هارباً . فقال لم ايوب بجني عليكم يا اصحابي ان لا نادوا هذا الرجل واذا احتاج الى معونة فكونوا حمائم وكان ريبب الذئاب لما ابتعد عن الجماعة وقف على صخر مشرف يتأمل ما يجري فرأى ايوب يودع رفاقه واخيراً خطيبته حنة الوداع الاخير ثم مضى في سبيله وهم يودعون بالاشارات فنزل ريبب الذئاب كفعلهم

وبينما هو كذلك اذ التفت لفئة الحذور كما يشخص الفرس الساكن عند سماع غوغاء الحرب وذلك لانه سمع وقع حوافر خيل قادمة ثم ظهر فارسان قادمان من الوادي وبلغا على الهضبة . فارتش ريبب الذئاب وتقبض وجهه وتطير الشرر من عينيه واخذ يدمدم كصدى الرعد

ولما وصل الفارسان الى الجماعة نظر احدهما وهو الاصغر الى حنة نظر الولهان وكان شاباً ظريفاً يناهز العشرين فتكدت حنة من فعله وغضت الطرف واما حنا ريبب الذئاب فلم يرَ لبعده المسافة ما جرى لكنه وقف وقفة المتوعد ونظر نظرة النسر الكاسر وضمّ قبضتيه وهزها تجاه الشاب المذكور فهم الفارس اشارته وفرع الهوى بسوطه وضحك ضحك المتهم فكان ذلك على

رييب الذئاب اشد من وخز السهام . وعلى اثر ذلك جرى الفارسان عنقاً .
فقال احد الشبان هذا ابن البارونة السمسرية يتنزه هذا الصباح مع صاحب
له يظفر انه باريبي فقال يعقوب وليان شعرت ان نظر هذا الشاب مريب
ولم يعلم ان جمال حنة هاج به غرام الصبا الفاسد

ثم قال للجماعة هلم يا اولادي ونعالي يا حنة لم يبق لنا هنا غرض وساروا
جميعاً الى بلدة ماربل واما ريب الذئاب فوقف هدية يستشرف ثم مضى الى
الحديقة اثرقاً متخلاً نباتاتها المتكاثفة المشبكة

واما الفارسان فكانا من الشبان الظرفاء متقاربي السن احدهما ابن البارونة
السمسرية ويقال له راعول والاخر وحيد ابيه من مشاهير الاغنياء في باريس
وكان احسن تربية واخلاقاً من راعول لانه اقتدى بسلوك ابيه واما راعول
فكان نموذجاً لرداءة اخلاق ابيه ايضاً كثير الادعاء والطيش لامرأة ولا
عزة نفس يشبع بانفه وبخبر ابناء جنسه فاسد السيرة والاخلاق كثير الخلاعة
والدعارة خبيث السريرة شديد الرياء يخدع بظواهره جميع معارفه حتى امه
لانها كانت مفارقة لزوجها وعائشة مع ابنتها في عزلة من البلاد لا ترى ابنتها
الامرة او ثلاثاً في السنة واذازارها لا يقيم عندها الا بضعة ايام حتى يملأ كيسه من
مالها . غير ان حسن ظواهر هذا الفتى لا تدل على مساوئه الباطنية

وفيما هما في الطريق قال له صاحبه من هذا الشخص الغريب الشكل الذي
هو اشبه بالوحش فقال راعول رجلٌ وحشي مجنون
— ظهر لي انه يتوعدك فهل بينكما شيء

— من طبع الوحش ان يفلذذ بقول الآدمي وله عليّ ثار لاني قمت شره في احد
الايام بسوطي هذا

— وكيف يطاوعك قلبك ان تضرب هذا المسكين
— لاني رايت منه ما يحتاج الى التاديب ولا ازال عازماً على مراجعة ناديه
عند سنوح الفرصة واما الاسباب فلا احب ان اذكرها ولتلفت الى ما هو اهم

من ذلك فقل لي هل رايت محاسن هذه الفتاة البديعة

— نعم انها لتسحر الالباب

— فهل ألام اذا اتخذتها حظية

— ما هذا المجنون ليس رأيي من رايتك

— لا بد من ذلك

— لكك لا تستفيد شيئاً فمن مجرد نظري اليها علمت اداب اخلاقها

وطهارة قلبها

— وستعلم اني احظى بها ولا يعوقني شيء

— فما هذا الغرام الشديد

— قد اضرمت في قلبي ناراً لا تزال تنأجج

— وهل كلمتها لتعلم ما هي منطوية عليه

— يكفي اني رايتها فاعشقتها وسابذل جهدي في الحصول عليها

— هذا دابك تضطرم غراماً من اول نظرة ثم تخمد تلك النار بتغير

المناظر

— نعم لكبي هذه المرة اثبت على ما ذكرت

— وكيف يتم لك مرامك ونحن بعد اربعة ايام نرحل واذا مضت ثمانية

ايام تسلوها كما سلوت غيرها من امثالها

— اما هذه فلا اسلوها واما غيبي فلا تطول ولا بد ان ارجع بعد ايام

وابذل الجهد والمال لكي افوز من هذه الصبية الفتاة بالوصال



الفصل الرابع

انسان الغاب

ذكرنا في الفصل السابق ما كان لروية هذا الرجل الوحشي من التأثير في نفوس الاولاد والحق ان كل اهل تلك الناحية كانوا يخافون من مجرد ذكره والان نذكر الاسباب الداعية لذلك فنقول

قبل العهد المذكور بخمس سنوات كان رجل من اهل ماريل قادماً من هنر في خلال الاحراش ودخل البلدة بهيئة مرعبة لاهناً جرعاً يتصبب منه العرق وقد علاه الغبار وهو يعدو كالمذعور فظن الناس انه اعتراه مس من الجنون وتراكضوا اليه نساء ورجالاً واودلاداً فقال لهم وهو يرتعد آه لو كنتم تعلمون لو كنتم تعلمون او كنتم تعلمون . فسالوه علة اسئلة وهو لا يجيب الا بهذه العبارة واخيراً سكن روعه رويداً رويداً واستطاع ان يتكلم

فقال لهم انه كان ماراً في الحرش فرأى في خلال الغياض وحشاً غريباً هائل المنظر شبيهاً بالانسان طويل الشعر فخاف منه خوفاً شديداً واطلق ساقيه للرجح ولم يعلم عنه غير ذلك

فظن الناس اولاً انه رأى خياله ففزع او انه ربما رأى ابلاً او نحوه من وحوش البر فلم يثقنّه واعتراه الخوف ولذلك صار الجميع يضحكون منه فجعل الرجل يوءد كد لم صحة مثالي وان الوحش الذي رآه لا يمكن ان

يكون من وحوش البر لانه كان منصب القامة يمشي على رجلين كالانسان
فاستغرب الناس هذه المحكاة واختلعت فيها الظنون

وكان بين الجماعة رجل له الملم بالعلوم الطبيعية فرغم ان هذا الوحش لا بد
ان يكون نوعاً من الفرد الكبير كقرد او افرقية لكن اعترض الباقون قائلين
لو سلمنا انه من هذا النوع فمن اين يصل الى بلاد فوجة والمعروف ان كل
الحيوانات المذكورة لا تعيش الا في الاقطار الحارة

ثم قامت امرأة قالت اذا لم يكن قرداً فهو انسان وحشي فضحكوا من كلامها
فاحترت خجلاً واخذتها الانفة وقالت الانتم لا تسلمون بوجود اناس متوحشين قالوا
بلى ولكن لا في فرنسا

قالت بل في قلب باريس وانا قد رايت واحداً في عيني في سوق اينبال
منذ سنتين اتخذ اصحاب المسامر فرجة للناس . وهو مخيف المنظر طويل
الشعر واكل بضعة لحم نيئة وعصفوراً متوفاً كما هو . فقال احد الحاضرين
وكان كبير الاسفار ما اراك يا خالة الا موهومة وانا اعرف عادة هؤلاء المشعوذين
ياخذون رجلاً منهم فيبيع السمعة ويظهرونه بيئته بربرية ويزوقون بدنه بالقوش
فيوهون به على الناس مدعين انه رجل وحشي اتي به من جزيرة حديثة العهد
بلاكتشاف يقال لها «قارة مر والطرب» فيخدع الناس باكاذبيهم

فلم تنفع المرأة بهذا البرهان وطال الجدل وكثر الاخذ والرد وكانت
النتيجة انهم اتهموا الرجل المذعور بخداع العين

وبعد ايام كانت امرأة في الحرش تجمع الحطب فانت واخبرت انها رأت رجلاً
وحشياً يركض بسرعة غريبة ولا يمكن ان يكون غير انسان . فسخروا بها ايضاً
وقالوا ان الخوف يري الجبناء ما لا حقيقة له . ولم تضي الا مده قصيرة حتى
وردت اخبار اخرى من كثيرين ومن الجملة جماعة الفخامين بالاحراش فما عاد
يمكن تكذيب جمهور غفير ودار حديث هذا الشخص الغريب على جميع الاسنة
وشغل جميع الافكار فازداد الاضطراب وتنام القلق والخوف حتى صار كثير من

من يمتاحون الى الاحتطاب لا يمتاحسون ان يدنوا من حدود الحرم وكثرت
عند الناس الاحلام المريبة حتي احرمتهم النوم

وكان يعقوب الولياني مدير الناحية حيثذ فلما رأى شدة اضطراب الناس
عزم ان ياخذ فرقة من الجنود وجميع شان البلدة ويحناطون الحرم ويبحثون
عن هذا الشخص واوصاهم ان لا يمسه بضرر مطلقا ففعلوا ما امرهم وفي اخر
النهار وجدوه وضيقوا عليه والحكمة وقضوا عليه بعد جهد جهيد واخذوه يعقوب الى بيته
ثم رقت له امراته وساعدها فليوثه ايوب لانه حيثذ كان حاضرا واطلقة
ليلا خفية عن يعقوب الولياني ومن ذلك وقعت محبة ايوب في قلب حنا ربيب
الذئاب صاحب هذه الحكاية

واما سبب تلقيه برييب الذئاب فبني على حكاية من جملة الحكايات التي
رويت عنه وذلك ان البعض زعم ان رجلا من الحطابين كان منزوجا وبقي
عدة سنوات لم يرزق ولدا فكان لا يفتريه وامراته من الصلوة والصوم والنذور
متوسلين الى الله بخشوع وانسحاق ان يرزقها ولدا . فاستجاب الله دعاءها وولدت
المرأة طفلا ذكرآ كفلته النمر . وكانت عناية الزوجين بهذا الطفل غريبة
جدا لا تتركه امه وحده دقيقة . وكان اسم هذا الولد حنا الطنبوري ففي ذات يوم
كان الرجل يخطب بالحرم وخرجت معه امراته لتجمع الحطب فوضعت ولدها
على الارض وكانت تراقبه فصار الولد يرى فراش البرية فيرتكض وراها
فتسرع امه وترجمه الى موضعه الى ان قال لها زوجها دعيه وشانه فلا يمكن ان
يبعد عما ونحن نراقبه فكان الابوين غفلا عنه بضع دقائق واذا بصوت بكائه
طارق اذن الوالدة فصاحت ولولت وركضت وراءه وتبعها زوجها فابصرا عن
بعد ذئبة قابضة عليه بين فكيفها وراكضة فصاحا المدد واكثرنا من العويل
والاستغاثة فاقبل الناس وكانت الذئبة قد دخلت كهنا عميقا وغابت فيه ولم
يقدروا ان يصلوا اليها

وتحدث الناس طويلا بهذه الحكاية وبقي ذكرها شاغلا خواطرهم الى

زمان ظهور انسان الغاب المذكور فزعم الا كثرون ورجح البعض انه نفس
حننا الطنبوري الذي اخذته الذئبة وعلما عن سبب بقاءه بان الذئبة كان لها
اجرية فقتلها احد الصيادين والذئبة غائبة فجزعت لذلك جزعا شديدا
فصارت تترقب الفرس الى ان وجدت هذا الطفل حننا الطنبوري فاخذته وربته
نظير ولدها ونشأ معها بين الغابات وصار لا يالف البشر بل ينفر من كل من
يعرض له . وكان ابو الولد الطنبوري وامه قد ماتا ولذلك بقي انسان الغاب
مهلا لا يلتفت احد اليه

واما الرجل الذي رآه المرأة في معرض اينال فكان نفس حننا ربيب
الذئاب اتصل الى ابيدي المشعوذين بطريقة سحاتي ذكرها بالتفصيل في محله
وهناك يعرف ان الحكاية المذكورة لا تنطبق عليه

وكان ذلك المسكين على جانب عظيم من الوداعة وسلامة القلب
وسذاجة الضمير لا يطلب الاذية لانه لا يعرفها يتجنب الانسان خوفا من شروره
لا يعرف شيئا من اخلاق الناس المخنطة بين رياء وخداع ومكر وغش ورداءة
وطمع وضعفينة ونحو ذلك من المساويء والمفاسد فهو نموذج الانسان في اول
وجوده على الارض اودع من الحمام واجبن من الارنب يكفي بما خلقه الله عليه
وينشأ نشأة طبيعية ويقتات من نبات الارض وثمارها ويشرب من ماء
السماء والينابيع ويأوي الى الكهوف وظلال الاشجار ويهرب من كل ما تعلمه
التجربة انه شديد السطوة متمهد الاذى

وقد عرفت اطوار ربيب الذئاب وقتما وجد تلك البرهة الصغيرة في
بيت المدبر يعقوب الولياني . فانه كان في وحشة شديدة وقلق عظيم لكن
اطوع من البنان واهداً من الهر الاليف كهما فعلوا به لا ييدي نفورا ولا
عصيانا غير انه لا يأكل مما يقدم له ولا يشرب اذ لم يتعود من الاطعمة الا الحشيش
والقار ولا من الاشربة الا الماء الفراح . وكانت علامات الحزن وانكسار
القلب والحشوع ورقة العواطف واضحة عليه في كل حركاته وسكناته وكثيرا ما

راوا الدمع يتفرق في عينيه ثم يتساقط على خديه وهو ينظر يميناً وشمالاً
كالخائف ولا يدري كيف يتحرك ولا ابن هو من الدنيا كاسير ريس في محبس
ضيق

ولذلك اشتغلت خواطر الناس لاجله بعد ما اطلق سبيله واهمهم امره يعيش
كأنهم لا يعلمون عناية الله بعباده وسائر مخلوقاته وان دودة من حشرات الارض
يفد رزقها بلا عناء ولا اهتمام من نفسها

وكثير القيل والقال بشأن انسان الغاب وصار الناس يطلبونه في الغابات
فلا يجدونه . يطلبونه لا لمسأكو بل لمساعدته في معيشته واتخاذ الاحياطات
الواقية له من برد الشتاء وتراكم ثلوجه . لكن عناية الله اشد من عنايتهم وشتان
ما بين تديبرهم وتديبره تعالى

وكان ربيب الذئاب بعد تلك الحادثة التي جرب عليه قد اخنار العزلة
النامة والاختفاء عن ابصار الناس الالباق ثانية في ايديهم فاوى الى كهف عظيم
طويل متعرج بين الصخور المتنوعة في الحدة الزرقاء وكان نور النهار ينفذ
اليه من شق في اعلى الكهف وكان في جدران الكهف عدة فزور بين الصخور
يضع فيها ما يجمعه من النار اليابسة والحجفة لغوث الشتاء وكان قد وجد بندقية
وسكيناً كبيرة انتفع بها كثيراً واما البندقية فكان يراها بيد الصيادين ويشعر
بغلبها لكن لا يعرف كيفية استخدامها وكثيراً ما تامل في آلتها حتى اهتدى
بعض الاهتداء غير انه لم يكن عنده بارود ورصاص فوضعها في مكان ناشف
واهاها . وكان قد وجد سلة ايضاً فجعل يحاول شغل مثلها فعمل عدة سلال
صار يجمع فيها ثماره . وكان ايضاً بانقطة كميات وافرة من البزاق ويصطاد
بعض طيور بالبحارة او يقبض عليها ليلاً في اوكارها وياخذ شيئاً من بيضها
من اعشاشها ويصطاد بعض ارانب في اوجرتها ولم يكن يعرف استخدام النار
فيجفف اللحم في الشمس او يقدده بالهواء وكثيراً ما كان ياكله نيئاً تماماً وكان
امام غار ساقه تجري من بين الصخور وحول الغار سور عظيم من العوج المشبك

والعليق الملتف وقطع الصغور المتخربة والمحددة والمحطمة ليس هناك الا شعب
ضيق متعرج مستوعر لا يهتدي اليه احد غيره الا بجهد جهيد فهكذا كان آمناً
في مخبئه لا يهتد به شيء

ولما طال اخفائه عن اعين الناس ظنوا انه فارق تلك الغابة ودخل غيرها
من بلاد اخرى فكفوا البحث عنه غير ان صيادين رايه يوماً على حدود الحدبة
الزرقاء لانه كان لا يبارحها الا قليلاً عند الاضطراب فذعر منها وارتكض
الى كهفه واماها فحاول الوصول الى مقره فحال دونها السور الطيعي المار ذكره
وعلم انها بضلان في تلك الوعر فرجعوا واخبروا الناس ان الرجل موجود في
المكان الفلاني

وكان يعقوب الولياني مشغول البال من جهة هذا المسكين وعلى الخصوص
لان امراته كانت قد ندمت اشد الندم على اطلاقه متوهمة انه ربما مات من الجوع
او شدة البرد او افترسته الذئاب الكاسرة اذ لا تجد لها بين الثلوج قوتاً ومن
طبعها ان ناوي الى الكهوف فلا بد ان تجده في احدها فلو بني المسكين في بينها
لاستأنس طبعاً وحسنت احواله وامن الخطر . ومن جرى ذلك اعتري تلك
المرأة حزن شديد وكانت دائماً مشغلة الافكار من جهته ثم مرضت مرضاً
ثقيلاً وماتت وهي تذكره وتأسف على حاله ولذلك ازداد اهتمام يعقوب به وكان
ضميره شديد الاضطراب ولا سيما بعد وفاة زوجته وكان يود لو يخسر نصف ماله
ويجد هذا الرجل او يعلم عنه خبراً يقيناً

فلما سمع ما سمع من الصيادين المذكورين انقادت فيه نار الغيرة وسمت به
هته الى استقصاء البحث عنه ليعرف ما صار اليه فمضى ثاني يوم بنفسه لم يستصحب
احداً حتى بلغ مجرى الساقية فتشى على ضفتها صعداً قاصداً بلوغ مقره فوصل
الى مكان قد اشبتكت فيه النباتات حتى لا يظهر من خلالها ما وراءها
وكان ريبب الذئاب جالماً على صخرة ينظر الى سجناب بن بلاعبان وكان ذلك
الحاجز النباتي حائلاً بينه وبين يعقوب ثم شعر بخشيش بين النبات فالتفت

دهشاً وكان يعقوب قد مدّ يديه وفرق النبات المشبك وتطلع للحال وقع نظره على نظر انسان الغاب فرقص قلبه طرباً وتامله واذا هو في تمام العافية واما حنا فسكن عند رؤية يعقوب ولم يفر منه لانه عرف انه صديق له لا يقصد اذيتة فتهض ودنا منه بلطف وظهرت عليه اشارات فرح ممزوج بحزن وترغمت عيناه بالدموع فاراد يعقوب ان يجرب ثانية اخذه معه فامسك يده واراد الرجوع به غير ان حنا سحب يده في الحال وتراجع ثلاث خطوات واحنى راسه حزينا ثم صار يتباعد قليلاً قليلاً الى ان ولى مدبراً فيئس يعقوب من استئناسه ورجع خائباً قائلاً لا بد ان هذا الانسان يستانس على طول الزمان اذا ابقاه الله حياً

الفصل الخامس

حال انسان الغاب مع الفحامين

ذكرنا في الفصل السابق ان الناس كفوا البحث عن انسان الغاب لانهم علموا حاله وان محاولة القبض عليه عبث ومضت ثمة ستة من عهد اطلاق سبيله فاطمأن وقلّ نفوره من الناس وصار له بعض الميل الى الاستئناس لعلهم لا يقصدونه بضرب فصار يظهر ويكثر الجولان ولا يحذر لقاء البشر حتى صار يقرب من اكواخ الفحامين في تلك الغابة ويستانس بملاطفة النساء له

ويحب معايشة الولدان فصاروا يتقدمون اليه ولا يخافونه وكثيراً ما كان ياخذ الولد منهم ويش في وجهه ويقبله كأن سلامة القلب الطبيعية مشتركة بينهم وبين الاولاد وكان بعضهم ياتيوا احياناً بشيء من الزاد فيقبله ويضع يده على صدره اشارة الى الشكر ويمجد لذة في ذلك الطعام . وكان يجلس على اكمة او غصن شجرة متاملاً في اعمال الفحامين ونسائهم واولادهم فيجد بذلك سروراً ويتعجب من اعمالهم في قطع الحطب ونقله وبناء اتون الفحم ونحو ذلك

ثم يزداد تعجبه من عجلة خروج الفحم بالنار في مدة قصيرة فصار يحاول ان يفهم كيفية العمل فياتي كل يوم ويراقب اعمالهم حتى ان الامر الى ان تقدم الى الفحامين وافهمهم باشارات متعددة انه يحب ان يشاركهم في الشغل . واخذ يس الفحم ويجعل منه بفرح عظيم . ثم رأى العجلات تاتي وتنقل الفحم ورجلاً جلس امام طاولة ووضع عليها كميات من نفود مختلفة بين ذهب وفضة ونحاس وجعل يدعو الفحامين واحداً بعد واحد ويعطي كلاً منهم قسماً من تلك النفود ففهم الرجل الوحشي ان هذا العطا اجر علمهم . وان هذه القطع المعدنية هي الوسيلة لجلب احيائهم من طعام ولباس وبذلك عرف اهمية الشغل واحب ان يشارك الناس بذلك

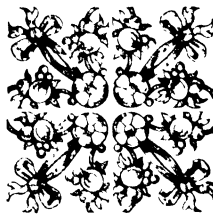
ففي ذات يوم اخذ منشأراً وقطعة حطب وصار ينشر بشباط فصاح الذين راوه قائلين عافاك الله عافاك واجتمع حوله الاولاد والساء وعلهم امارات السرور فتشجع بذلك وازداد رغبة واستمر على عمله مهمة هضمية من دون ان ياخذ لنفسه راحة ولا يلتفت هنا ولا هناك . فنشر من الحطب في ساعنين اكثر مما ينشر غيره في خمس ساعات

ولما كان وقت الغداء وقفه عن الشغل ودعوا به الى المائدة فجلس معهم مسروراً وكان التعب قد قوى فيه شهوة الاكل فالتمهم كل ما وضع امامه لكنه لم يكن شرهما ومن ذلك الوقت صار ياتي كل يوم ويشاركهم بالشغل والطعام وكل ما يعمل بمجدونه حسناً وفي بصعة اشهر صار يعمل الفحم كاحد الفحامين ولا ياخذ

اجرة لانه لا يعرف ان يتفجع بالمال واكتفى بانه كفي مونة الطواف الشاق
لوجود طعامه وصار ياوي الى منازل الفقامين في الشتاء فينرحبون به غاية
الرحاب غير انه كان دائماً يميل الى سكنى الغاب في الفصول المعتدلة وكثيراً
ما كان يغيب عن الفقامين عدة ايام وحالما يفيل اليهم يترأصون اليه مبهجين
وبالغون في ملاطفته وقد احبوه وعطفوا عليه عطفاً شديداً وكان يعلم منهم
ذلك في نفسه لكن يجد لذة عظمى في معيشة العزلة

وكان بتكرار المعاشرة قد تعلم منهم عدة الفاظ مثل « نعم . لا . اصبحت
بخير . مساء مبارك . متشكر . سيد . سيدة » واسماء الخبز واللحم والثمار والبقول
والمنشار والخطب وهلم جرا . وكان يفهم كثيراً من العبارات ولا يقدر ان
ينطق بها

وكانوا يجدون عليه بعض ملابس شتوية وصيفية فينتعجون والسر
بذلك ان يعقوب الولياني كان يتفقد كمالاً سخرت له الفرصة فياخذ بفجة من
التياب ويمضي خفية الى حيث لقيه اول مرة فيضعها هناك ويرجع . فياتي انسان
الغاب الى السع ليشرب فيجد تلك البفجة ويعرف المراد منها وهكذا تعود لبس
التياب



الفصل السادس

خبر البارونة السمسرية

كان على مسافة فرسخ من ماريل قصر حوله ارض فسيحة يقال له القصر الوقور تسكنه امراء من الاشراف يقال لها البارونة السمسرية والارض المخصصة بالقصر كانت من اخصب بفاع تلك الناحية . وبجانب القصر حديقة كبيرة قديمة العهد . وتلك البقعة مع القصر ارث لها من ابيها فضلاً عن قصر اخر في باريس قيمته نحو مليونين من الفرنكات وامتعة اخرى كثيرة المقدار وكانت هذه المرأة قد تزوجت بعد موت ابيها بخمس سنوات برجل يقال له البارون السمسري على شرط ان تكون مطلقة التصرف في املاكها اذا انفصلت عن زوجها

فاتفق انهما انفصلت عنه لدواعٍ يأتي بيانها فتخلت له عن قصرها في باريس الواقع في الشارع الجرمانى وكانت قد ولدت له ابناً وبتناً فانت مع بنتها الى القصر الوقور المذكور حباً بالخلوة وكان مدخولها السنوي مئة الف فرنك ولم يكن لها ميل الى السياحة ولا الى معاشره الناس الا نادراً بل كانت مهتمة بتربية بنتها فلم تخرج الى نفقة اكثر من خمسة وعشرين الف فرنك كل سنة غير انها كانت كثيرة الصدقة والبذل في سبيل الخير فانشأت مدارس

لتعليم الاحداث مجاناً وكانت تنفق المحتاجين وتنصر للمعجزين ولا يتام وتواصل
المرضى بالامدادات الكثيرة فكان الجميع يحبونها ويحسون ابنها ويحرمونها
فكان يفي لها بعد تلك النفقات أكثر من خمسين ألف فرنك من مداخيلها
كل سنة

وكانت في أكثر اوقاتها حريصة النفس منكسرة الخاطر بتذكر الحوادث
المكثرة التي دعت لانفصالها عن زوجها وابنها لان اباه اصر على ابقائه عنده
وكان اسمه راعول واخوته ملكة . وراعول هذا هو الذي مر ذكره في الفصل
الثالث

والذي كان يزيد هما ان زوجها كان فاسد السيرة كثير التبذير شديد
الميل الى لعب القمار . فكانت تحسب قرب سقوطه الادبي والمالي فتتصد بهيشنها
بمعونة وكيل املاكها لكي تحفظ شرف ولديها وزوجها ايضا من الانحطاط عند
مس الحاجة وان كان هذا الرجل لا يستحق الالتفات فان طيب اصلها لا يسمح
لها ان تلحق عنه تماماً

وكانت في باريس قد اشتهرت جداً بمحاسنها ولطيفها وادب اخلاقها وكان
انفصالها عن زوجها بغتة فتهجى الناس من ذلك واقامت بعبدة عمه اثنتي عشرة
سنة لم تدخل باريس مرة وكان الناس يعرفون فساد سيرة البارون فقالوا ان
البارونة لم تحتمل هذه العيشة الشقية فهجرت

نعم ان هذا القول صادق لكن السبب الاعظم الذي احوجها الى هجره لم
يكن احد يعرفه الا زوجها وهو سر عظيم سينكشف في محاورتنا على هذا السر
لم تستطع ان تعاند زوجها بالالحاح على اخذ ابنها معها خوفاً من الفضيحة
وشا هذا الولد على طريقة ابيه الرديئة فصار من المردولين بين الادباء .
وكان سبباً لتفريط عيش امه فلم تبقى لها تعزية الا ببنتها النقية النقية التي كانت
تدعوها ملاك التعزية . فاشتد بها واولعها وبذلت جهدها وما لها في حسن
تربيتها وانقطعت من اجلها عن معاشره الناس وكانت تسلك كل احزانها اذا

رائها تنسم لها ونقبلها ومثل ميلها لا يبتها كان ميل الفتاة لامها . وكانت تحب ان
تكتم عنها احزانها الداخلية وتسال الله ان يقيها من شرور العالم
وكانت تلك الفتاة كاملة الاوصاف الخارجية والداخلية . يليق بها قول

الشاعر

كفى البدر حسناً ان يقال نظيرها فيزي ولكنما بذاك نضيرها
وحسب غصون اللان ان قوامها يقاسُ به ميادها ونضيرها
اسيرة حجلٍ مطافئ لحاظها قضى حسنها ان لا يبك اسيرها
بهم بها العشاق خاب حجابها فكيف انا ما آف منها سفورها
وليس عجباً ان غررت بنظرة اليها فمن شان البدور غرورها
وكم نظيرة قادت الى القلب حسرة ينطع اناس الحياة زفيرها
واذ كان لهذه الفتاة دخلٌ مهم في سياق هذه الرواية وجب ان نذكر
ما ذكرنا من حالها وحال امها وتتم الحديث بما حصل من الانصاليات بين
سيرتها وسيرة ربيب الذئاب

وفي تلك الايام اتفق يوم مولد الفتاة ملكة السسبية فوجد في القصر في
ذلك اليوم جماعة من معارف والدتها . من جئاتهم راعول اخو ملكة كان قد
اتي ليقيم بضعة ايام ليقتره ويتفرج في اللاد وكان ايضاً وكيل ارزاق البارونة
وصديق شريف املاكه متاخمة لاملاكها يقال له لوقا الفلاني ومعه ابنة له يقال
لها سوسان وغير هؤلاء من النساء والرجال

وكانت سوسان بنت ثمانى عشرة سنة ليست بارعة المجال لكنها طيبة القلب
حادة المزاج ترغب ان تكون كلمتها نافذة في كل حال صاحبة عزم ونشاط كانت
من اشد العلماء جسارة واقداماً لانهاب احداً ولا تخاف شيئاً تركب الاخطار
وتفتم الاحوال حتى كان ابوها يلتمها بالفتى الناسل

وبعد ان تناولوا الغداء مكثوا ساعات يقترهون في المجتبة الى ان فاربت
الشمس الغروب فارتأوا ان يصعدوا السطح ليمتعوا بمشاهدة منظر الغروب

الذي لان الشمس فلما ظهر وقت مغيبها بداعي كثرة الغيوم في اكثر ايام السنة . وبينما هم جالسون وقع نظرهم على شبح اسود تجاه الشمس فسأل بعضهم ما يكون هذا الشبح الدقيق المرتفع فقالت البارونة هذه قنة جبل يقال لها الحدة الزرقاء وهي مؤلفة من صخور متنوعة صعبة المرتقى واحراش كثيفة وهناك يقم رجل وحشي يقال له حاربيب الذئب وهو منقطع عن الناس لا يعرف احد اصلاً ولعدم المعاشرة لا يقدر ان يتكلم ولا يحب الاسكنى الغابات

فنجب الجماعة من هذا الحديث وطال الكلام بخصوصه وذكر بعضهم انه صار يعاشر الفحامين فلا يمضي زمان طويل حتى يستانس بالناس ويكره العزلة . وانه نشيط جداً بالعمل وحسن الهيئة . وقالت سوسان انها رآته مرة فاعجبها صورته وانه هرب منها . وقالت ملكة كثيراً ما نسمع الناس يشكرون هذا الرجل ويقولون انه رقيق الفؤاد وانه خالص ولد آمن النهر وخورفاً من ذنب كاسر فصرت اشتهي ان اراه . فنال لوقا والد سوسان صار يسهل الان لكل انسان ان يراه لكثرة ظهوره .

وحينئذ صارت سوسان تسهل للجماعة المسير الى تلك الارض وارتفاع الحدة الزرقاء بواسطة سلم حجرية طبيعية مخونة في الصخور فاصعدوا رايها وعزموا على المسير



الفصل السابع

حديث ملكة مع ريب الذئب

فلما كان ثاني يوم تاهب من بقي في القصر (لان بعضهم كان قد رحل صباحاً) المسير الى الحديقة الزرقاء وكان النهار جميلاً لا غيوم فيه ولا رياح ومنظر البرية يسر النفس والعين فمضوا مشاة الى ان بلغوا المكان المقصود في وقت قصير وصعدوا الجبل بعناء ومشقة لكثرة وعوره واشتبك النباتات الشائكة وكانت سوسان تتقدم الجميع وتنشطهم حتى اجنازوا السلم الحجرية وكان في اعلاها قطعة من الارض مستسهلة قليلاً فوقها برهة يتاملون في محاسن الطبيعة ثم اتحت سوسان على ملكة ان ترقى معها الى فسيحة اخرى عالية حولها من الزهور شيء كثير وكلها بهجة شائقة وكانت مظلة ملكة يدها فلما بلغنا المكان المذكور وصارتا نقطتان الزهور علت المظلة في غصن من العليق وافلنت من يد ملكة وانقلب على شفير هار تحته هوت هائلة مغطاة من اعلاها بحجاب رقيق من النبات وقطع الصخور مفروشة في ارضها . فتقدمت ملكة الى المظلة لتتناولها فحسفت بها حرف الشفير وهي لا تعلم ما تحته فسقطت منزلة الى ان بلغت نقوها من الصخر تسكنت به بقوة ذراعها لئلا تسقط الى قعر الهوة فتخطم وللحال ارتفع صراخ امها ومن معها وكانت سوسان قد بهنت ذاهلة لا تستطيع شيئاً من المساعدة الا انها نامت على بطنها ومدت يديها لتتناول ملكة واذا بالصخرة

التي كانت متمسكة بها ملكة قد انكسرت فسقطت وتعلقت بنباتات متكاثرة مشبكة على فوهة الهوة فازداد صراخها وصراخ امها وقد ينس الجميع من نجاها . وصارت تلك النباتات تنقطع وتنفلج بفعل جسمها حتى شاهدت الموت بعينها وقطع الخوف صوتها وعقد لسانها واصابها دوار فاغمضت عينيها وقد ايقنت بالهلاك

وفي تلك الدقيقة الهائلة سمعت صوتاً يدمدم من تحتي ففتحت عينيها ورات راساً بارزاً من حفرة عميقة والشعر منسدل حوله فظننت انه راس وحش خرج من بطن الارض ليفترسها فلاشئ الخوف قواها واغمضت عينيها ثانية وخطر لها ان هذا الشخص ربما كان حاريسب الذئاب غير ان الخوف اعى بصيرتها فظننت انها رات ما لا حقيقة له بسبب الدوار

والحق ان ظننا الاول في عمله لان هذا الراس كان راس ريسب الذئاب بعينه ولم يكن بشر غيره يستطيع ان يخلصها اذا كان للخلاص امكان . وكان الصراخ الذي ملا الجو قد نبهه وهو في مغارته فخرج وراى ذلك المشهد الهائل فثارت به النخوة الطبيعية واخذ يتسلق الصخور والنزور بسرعة عجيبة غير مبال بما هناك من الخطر

فلما راته سوسان صاحت به قائلة حنا . حنا يا صاحبي خالص صديقي هذه ملكة السسمية خالصها بمروتك

غير ان انسان الغاب لم يكن محتاجاً الى التحضيض وكأنه لم يسمع ما قيل له وكان قد قارب موضع ملكة فوقف تحتها وثبت رجله واستند ظهره على الصخر ومد ذراعيه . وكانت تلك النباتات المتعاقبة بها ملكة قد تقطعت الا القليل فبقى حنا على هذه الى ان سقطت ملكة فتناولها بيديه وضماها الى صدره وهي فافدة الشعور

ودخل بها شعباً ضيقاً كالدليلز في وسط جبل واتى بها الى حيث كانت امها واصحابها ووضعها على الحشيش وكان يتأمل فيها بذهول شديد

ولما استنفات وفتحت عينيها وقع نظرها على وجهه وهو مشرق بالفرح فصاحت ريب الذئاب ريب الذئاب وشعر انسان الغاب في داخله بشيء لا يعرف حقيقته كأنه شعلة من النار اهت فواده ووقف مضطرباً فقالت لملكة امها هو هو يا ابنتي هذا الفتى الباسل الذي كان خلاصك على يده فقالت ملكة وعيناها شاخصتان في عينيي نعم نعم ذكرت الان . وصارت امها تظهر له من الملاطفة والتشكرات ما لم يخف على سليفه الانسانية . فوضع يده على صدره وتهد تهد أعينها وادار ظهره وسار في سبيله

وكان لفاء ريب الذئاب لملكة السمسية من اهم حوادث حياته وبه انقاست احواله انفلاناً عظيماً وشعر باحساسات لم تهد به قبلاً ولا يتدرا ان يدرك كنهها

فكان في حزن عظيم واشتغال بال لا يتدرا ان يخلص منه فتنه ضميره للعالة المهرية التي اصبح بها . وكان كلما رأى صورته في الماء يرتعش كأنه يشعر بحس لا يخلو من الخجل لأنه شعر بانحطاط قوته الطبيعية وضعف افكاره فلا يزال غائصاً في لجة من الافكار المكدره وكان يزداد تاملأ ويرى احلاماً لم تكن تخطر بباليه فاذا استيقظ يشعر منها بتاثير محزن موافق لافكاره وكتبراً ما كان يمتثل من اليقظة الى النوم بلا شعور فتاتي تلك الاحلام بهيئة مفرحة تنعش فواده فكانه كان يسمع صوتاً رخياً الذيذا الشبه بصوت ملكة السمسية وهو يدعوه باسمه الذي آله وعرف انه خاص به . وكان كأنه يرى تلك العينين اللطيفتين ناظرتين اليه فيشعر بما اثرتا فيه من اواعج غرام لا يعرف سره وقد رمت صورته في مخيلته على اثر تلك النظرة الواحدة حتى صار يعرفها ولو وجدت بين الف فناء ويتذكر بجوى شديد ساعة ضمها الى صدره حينما انقذها من الهلاك فيشعر كأنها حقيقة ملقاة على ذراعيه تنبعث منها الروائح الذكية فتنعش نفسه

فكانت تلك النظرة هي التي جعلت في فواده تلك المحسرة الشديدة التي

غيرت حالة فصار نهاره احزاناً مقلقة وليلة احلاماً مبهجة فهكذا تمكن حب فتاة
 حضرية من فواد انسان الغاب ربيب الذئاب واذا ذاك ظهرت له مناظر
 الطبيعة بهيئة جديدة فجعل يمن النظر وبهاى افكاره في كل ما يراه كان نظره
 لم يقع عليه قبلاً وكثيراً ما كان يجلس ساهياً غائصاً في لجة الافكار راسه بين
 يديه ودموعه السخية متحدرة على وجنتيه وصار كلما سمع صوتاً كخفيف شجر او
 هزيز ريح يرتعش مع انه كان قبل ذلك الوقت لا يبالي بزئير الاسود وانقطع
 عن الاشغال والنسلي مع اصحابه الفخامين فصار احب شيء لديه العزلة وظلام
 الليل . وما عاد يلتذ بطعام ولا شراب فلا يأكل الا ما يسد الرمق حتى وضع
 عليه الهزال كأنه مريض

فلما اشتدت به هذه التأثيرات ورأى نفسه في حالة نعيسة جداً واحزان
 متوالية ذهبت برويق شبابيه جعل مطعم امالو ان يرى ثانية تلك التي سلبت
 قلبه وخلبت لبه وحرمت له لذة حياته ولذيد رقاذه ولم يعد يكفي بان يراها في
 الحلم

ففي ذات ليلة كان القمر ساطعاً والنجوم متلألئة واشواقه في اضطرام شديد
 فخرج من مخبئه هائماً وسار في طريق النصر الوقور . وبما تعجب من ابن عرف
 انها مقبلة هناك فكان دليل قلبه كان له مرشداً أميناً فلما وصل امام النصر وقف
 وشعر من شدة خفقان قلبه ان هناك مقر الحبيب وكان الليل هادئاً لا حركة
 ولا صوت حول ذلك المقام الجليل ولا شعاع من النور ينبعث من نوافذ
 النصر فتقدم الى امام الحديقة ونظر من خلال سورها الحديدى فلم ير الا
 الاشجار المشبكة فتقدم قابلاً الى جهة السور الحجري وتسلقه ووثب الى الحديقة
 وتقدم حتى وقف تجاه النصر واخبا في خيلة من الشجر وبقي الى ان لاح الفجر
 فعاد الى مقامه

وبعد اسبوع جد به الشوق فضى الى النصر واقام حيث اقام المرة الاولى الى
 طلوع الفجر فلم يرجع هذه المرة بل صعد شجرة مشبكة الاغصان واخبا فيها

فلما كان الصباح ظهر البستاني وسائر الخدم واخذوا يتعاطون الاشغال في دار القصر السفلى وفي الحديقة ثم شعر بفتح شبابكين في الطبقة العليا من القصر ف شخص يبصره اليها ولم تمض بضع دقائق حتى ظهرت من الشباك فتاة بهية الطلعة على منكبها شال من الكثير الازرق فجعل قلب ربيب الذئاب يحفق خفقاً متوالياً وانهر نظره كأنه وقع على نور الشمس بغنة

وكانت الفتاة المذكورة هي نفس ملكة السمسمية فوقفت في الشباك ناظرة الى جهة الحديقة الزرقاء وغارقة في النصورات كأن جاذب الحب ربط فوادها بفواد ربيب الذئاب واخيراً تهتت وتركت الشباك

وفي ربيب الذئاب في تلك الشجرة سائر النهار فحظي برويتها عدة مرار تارة في القصر وطوراً في الحديقة وكان ذلك اليوم من اسعد ايام حياته وكرر الحبي بعد ذلك وكان يكن في تلك الشجرة فيشفي غليله بروية الحبيب وهذا كان كل ما يتمناه

ولما دخل فصل الخريف وتناثر ورق الشجر ما عاد يمكنه الاستئثار في الشجرة المعهودة فصار اذا اتى يتلصص وينساب وراء جدران الحديقة مجتهداً ان يخفي نفسه عن الانظار غير مبال بهطل الامطار ولا تراكم الثلوج ومع ذلك فقلما كان يرى محبوبته ركن جواه فاذا رآها مرة ينسى كل المشقات التي قاساها

وكانت ملكة السمسمية في تلك الايام تظهر ميلاً خاصاً الى هذا الرجل الوحشي ولم تشغل افكارها من هذا القليل لانها كانت تود ايضاً لو تستطيع مكافاته على جميله وكان ذكره شاغلاً افكار ملكة حتى انه لم يمض يوم حتى تذكره وتظهر احساسات رقيقة جداً وكثيراً ما كانت تسال عنه فلا يجبرها احد انه رآه فاشتد قلقها لذلك وكثرت وساوسها وكثيراً ما كانت تصور انه مريض او جريح يستغيث وما له من معين او انه مات من سقطة او نحوها او افترسته الوحوش . لكن بعض الغفلاء من اصدقاء والدتها كان يقول لها ان هذا

الانسان غريب الاطوار قد يجنبي مدة طويلة ولا خوف عليه من عوارض الطبيعة ولا مخالب الكواسر

غير ان ملكة كانت دائماً حزينة مشغولة البال ضيقة الصدر. ومن يخاطر بباليه ان لتلك الحالة معنى لا يتصوره الغفلاء وكانت تقول احب ان اراه ولو مرة لاظهر له شدة شكري حسبما يشعر قلبي . وكانت تتوهم انها تكفي بمقابلته مرة واحدة او بان تسمع ان احداً راه وهو معافى طيب العيش ويا حبذا لو عرفت ان هذا المسكين كان لا يزال يتردد الى حديقة قصرها ويكمن ليفوز منها بنظرة ولا يراه احد ولا هي ايضاً حال كون افكارها متوجهة اليه وهي لا تعلم مقره

ولما انصرم فصل الشتاء وقبل الربيع واكتست الاشجار باوراقها وزهارها كان ربيب الذئاب قد عدل عن الاخباء في الشجرة المهدودة وذلك لانه كان في حديقة القصر شبه بيت من النباتات المتعرشة في داخله مقاعد وبجانبه بلصق الحائط شبه طنّف من الخشب امامه سرور كبيرة فاهتدى اليه ربيب الذئاب واشتدت رغبته في الجلوس هناك لان ملكة كان من عادتها ان تاتي ذلك البيت النباتي وتجلس على المتعد تارة تقرأ وتارة تطرز وتارة تتأمل فتتمتع ذلك المقيم بمشاهدتها عن قرب فيسكن من اللذة وهي غير شاعرة بوجوده وفي ذات يوم كانت جالسة في ذلك البيت. فدخل عليها البستاني وحياها باحترام وقال لها طالما سمعت مولاتي تسال عن انسان الغاب . فتخصت اليه مصطربة وقالت له فهل علمت عنه شيئاً

— نعم قد رايتُه

— ابن رايتُه ومتى

— رايتُه مراراً في هذه الحديقة

— يا للعجب الى ههنا ياتي

— نعم ومنذ ايام عديدة وغالطاً في الليل

فدهشت ملكة من هذا الخبر وما كادت تصدقه فقال لها البستاني وهي
بمخض صوته واني متأكد ايضاً انه يخفي هنا في النهار

فقالت ملكة وقد ازداد اضطرابها وبك يا هذا العلك موهوم
— كلا يا مولاتي وما اخبرتك الا عن يقين وان شئت فانا اقبض عليه
لاني اعلم من اين يتسلق الجدار ويثب الى الجنيبة فاضع له شركاً

فتغيرت اللون الفتاة ونظرت اليه نظراً حاداً وقالت اياك ان تفعل هذا
لانه عمل شديد العار وانا وامي نظردك من بيتنا وقد علمت ان هذا المسكين
انقذني من الموت فكيف نكافئه بالشر

فقال البستاني لا تشكري يا مولاتي ما قصدني بذلك اذيتك بل ارضاء
خاطرك لاني عرفت من زمان انك تطلبين روءيته ولو كنت اريد له شراً لما
غضضت طرفي عنه وهو يتردد الى الحديقة منذ مدة طويلة على انه لا يكسر
شئاً ولا يس شئاً باذى ولكن صنع معك جبلاً اسمع له ان ياتي ويتنزه في
الحديقة

— وهكذا انا اريد فاذا رايت في مكان فتوار عنه اثلاً براك فيندعروا
احب ان يعارضه احد في هذا المكان ولا ان تخبر بخبره والذي او اخي لانه ياتي
غداً

— كوني مطمئنة يا مولاتي فاني طوع امرك واعلمي ايضاً اني اعرف مخبئه وهو
وراء هذه السروة القريبة من هنا بينها وبين الجدار

فاحمر وجه ملكة حينئذ وارتعش بدنها وقالت كيف يكون هذا لا اصدق
— العفو يا مولاتي هل اجسر ان اقول لك شيئاً غير صحيح . منذ ثلاثة
ايام رايت نازلاً من هذه السروة

— وهل كنت انا هنا وهو مخفي بالقرب مني
— نعم ياسيدي ولم يبرح الا بعد ذهابك بقليل وعند البحث في جوف
السروة علمت انه كان يكمن فيها قبل هذه المرة

فنهضت ملكة ونظرت من خلال جدار البيت النبائي الى جهة السروة
فقال لها البستاني ليس هنا اليوم ولا بد ان ياتي لعلمه ان لا احديرا
— وما نظن السبب في مجيئو الى هنا
— لا يدخل العقل الا انه يقصد مشاهدتك
فانتشر الدم في وجهها وكسرت جفنيها وقالت كيفا كان الحال
لا احب مطلقاً ان يعرف به احد لا ابي ولا اخي ولا غيرها
— ما عليك بأس يا سيدني فاني موضع الاسرار وما كان قصدي
الا ان اعلمك والسلام

— حسناً فعلت وستنال جراً امانتك

فانحني امامها مودعاً ومضى لشاؤه فجلست على المنعد وتهدت وترقق
الدمع في اعينها وقالت يا للعجب اهنا هنا بالقرب مني ياتي ويخفي لينظر الي
فلما كان الغد انت ملكة قل ميعادها الى ذلك البيت النبائي ويدها
كتاب فجلست ووضعته على ركبتيها وافكارها عنه شاردة وخالج فوادها ان ريب
الذئاب في مكعب فضايق صدرها وفرغ صبرها وخرجت من البيت ووجهت
نظرها الى جهة السروة وللحال شعرت بمخشيش وصوت تهدي عميق ويد ممدودة
نحوها فمدت يدها وقالت بصوت رقيق تعال يا حنا ما عليك بأس

ثم دخلت البيت النبائي ولم تمض دقيقة حتى اقبل ووقف امامها وعليه
هيئة الذل والخنو وصار بدنه يرتجف وشعره بار تستعر في احشائه من غير
ان يعرف حقيقتها لانه بموجب قانون الطبيعة في غاية السذاجة وسلامة النية
كالطفل في مهده لا يعرف معنى الاساليب العشوية ولا رقائق المغازلة ولا في
فواده شيء من فساد طبائع البشر المتآلفين

وفي تلك الحالة من الاضطراب الطبيعي حمد شاخصاً نجاحه تلك الفتاة
البدية المنظر الصحيحة الحب السلية الطوية وفنغ ذراعيه وامال عنه كالمندلل
ونساقطت دموعه وهو يتهد ولا ينطق لسانه بحرف

فمدت اليه ملكة يديها وهي باشة في وجهه وامسكت يده وغمزتها وقالت
له ما ادري كيف احببتك يا حنا

وفي تلك الدقيقة ظهر على الباب شاب بزي الفرسان ويده سوط متين
وكان ممتنع اللون مرتجفاً من الغضب وهو راعول اخو ملكة كان قد رأى ربيب
الذئاب حينما دخل الحدر . فداخلة سوء الظن وهجم كالذئب الكاسر ورأى
يدي اخيه يدي المسكين فرفع يده بالسوط وطوق به بدنه بطوق كانه لهب
النار وهو منهم ويدمدم ويقذف بالشماع . فالتفت اليه حنا وتطايير الشرر من
عينيه وقطب حاجبيه وزار زارة اللبث الغضبان ووثب على راعول وقبض على
عنقه وطرحه على الارض وجثم على صدره واراد ان يقبض روحه

وكانت ملكة قد ذهلت من هذا المشهد الغريب ورات اخاها في مغالب
المنية فوثبت في الحال صارخة صوتاً مثلثاً وقبضت على يدي حنا كأنها تريد
ان تنمضه عن اخيها وقالت له حنا اخي وجرت دموعها
فشعر بهيئة توسلها وارتعش بدنه بس بشرة يديها الناعمة فحل اصابعه عن عنق
راعول وقد كاد نفسه ينقطع ونهض فوقف على باب الحدر

وسمع من في السستان الصراخ فاقبلوا مسرعين وكان غضب ربيب الذئاب
قد سكن وصار ينظر الى ملكة ناكياً متنهذاً وعطف حالاً الى جهة الطنف الذي
خلف السروة فوثب اليه وانقلب عن المجدار الى خارج الحديقة ولم يدركه احد
وكان مجرى هذه الحادثة قبل ما سافر ايوب خطيب حنة بشهرين ولهذا
السبب كان ما كان بين راعول وريبب الذئاب حين وصل الى اعلى الهضبة
وشاهد احدهما الاخر

ومن ثم قل مجي ربيب الذئاب الى الحديقة وكان حينما ياتي يطوف حولها
وحول النصل لعله يحظى بنظرة عن بعد وكان يببالغ في الاستنار حتى ان ملكة
ما راته في مدة سنة اكثر من ثلاث مرات لكن كانت تعلم كثرة تردده الى
نواحي قصرها

الفصل الثامن

شراصة راعول

نرجع الان الى سياق الحديث بعد ما ودَّع ايوب اصحابه وسار فكادت الايام تمضي في بيت عرايه وخطيبته من غير ان يحدث ما يفتق الا افكار وكانت حنة حزينة لفراقه لكنها وجدت تعزية في صدق الحب وامل اللقاء . وكان ايوب يبعث رسائله كلما سمحت الفرصة

ومع شدة اشتغال قلبه بالوجد كان لا يظهر قصوراً في اعماله العسكرية حتى مال رنة سامية في مدة قصيرة

وفي تلك الايام شاع خبر الحرب بين فرنسا وروسيا فاضطربت حنة اضطراباً شديداً لعلها ان خطيبها لا بد له من افتحام الاخطار والتعرض لوبلات القتال وكان يعقوت وليان اذ ذاك قد سبي واليا على ماريل ولحفانتها فما عاد في امكانه ان يقضي وقتاً طويلاً مع حنة بواسها ويسلمها . ولما دخلت فرنسا عساكر روسيا شمل الخوف جميع الاقطار وصار الناس يغمهرون في كل صقع يستعدون للدفاع وكان من جملة اهل الجبال والقرى جماعة من بلاد فوجه عثوا من اشد الاهالي باساً ولقبوا بالرماة الاحرار لانهم كانوا ذوي اقدام ومهارة في رمي الرصاص وكانوا بوملنون جمعية خاصة لها روسا واعضا عاملون واعضا

أكراميون وكان يعقوب وليان من جملة الأكراميين ومركز اجتماعهم مدينة اينال
فبعثوا اليه برسالة يستدعونها للحضور جلسة خاصة مهمة فاعلم حنة بذلك
فخفي فوادها وقد شعرت بهواجس منذرة بويل خفي . وثاني يوم ودعها
ووعدها انه لا يغيب أكثر من يومين فلم يبق في البيت الا هي والخدمة مرنا
فصارت تساعدنا في تدبير البيت لكي ننسلي ونلهي افكارها عن كثرة الهموم
ولما كان المساء ارادت مرنا ان نبيت عند حنة في البيت لانها وحدها وكان
من عادتها ان تأتي في النهار لتقوم بخدمة المنزل وتعود مساء الى عائلتها
فقالت لها حنة لا يلزم يا مرنا ان تتركي زوجك واولادك وانالست ممن يخيفهم
الليل ولا الاوهام او الخيالات واهل البلاد يعرفوننا ويحترمونا
فذهبت مرنا واقفلت حنة ابواب البيت والشبابيك كما هي عاداتها وصعدت
الى مقصورتها في الطبقة الثانية ووراها كلبها الامين حيمور . وكان لتلك المقصورة
نافذة تشرف على الجبينة

وكانت تلك الليلة شديدة الحر والغيم الكثيف يحجب وجه السماء ووميض
البرق من بعيد يخطف الابصار الا ان الهوا كان ساكناً لا يسمع صوت الا
صرب صرار الليل في الجبينة وكانت حنة قد نعتت ذلك النهار فشعرت
بنقل اجفانها قبل الساعة الرابعة فحفت ثيابها واطفأت شبعها ونامت وقد تركت
زجاج الشباك مفتوحاً ووث حيمور على السرير فنام عند رجلها

وكان في الجبينة شاب يترصدها وهو مخفي في غيضة تجاه الشباك فلبث في
مكانه نصف ساعة حتى تستغرق حنة في نومها وكان هذا الرقيب الخبيث نفس
راعول السوسي وهو منذ أكثر من سنة يترقب الفرصة ليطلق هذه القناة النقية
ويتخذها حظية له ويقيم وياها في باريس جارباً محمراً اييه في سبيل الفساد
غير ان الظروف لم توفقه كل تلك المدة الى مقابلتها والتحدث اليها فما كان
يزداد الا هياماً وآلى على نفسه ان يتخذها اغنيالاً ولم يزل يترقب الاحوال حتى
علم ذلك اليوم بانفرادها في البيت فكمن في طرف الجبينة كما ذكرنا وقد تخفى حتى

اذا عصت عليه حنة لا تعرفه فتفضحه فيما بعد

فحينئذ يبرز من مكانه والفتت يمينا وشمالا ثم اخذ سلم الخبيثة واسندها الى الحائط تحت شباك حنة وصعد متلصصا الى ان بلغ الشباك . فاستنطق حيور وجعل يهر ثم نهض على قوائمه واشتد سباحه وفي تلك الساعة كثر هزيم الرد فلم يسمع صوت الكلب الى الخارج وكانت حنة مستغرقة في النوم فلم تستنطق حالا فوثب راعول من الشباك الى داخل الغرفة فركض اليه الكلب وعض به بشويه فتقبض عليه راعول وشد يديه على عنقه فخنقه لانه كان صغيرا ثم طرحه وليس فيه رمق واسنطة ظلت حنة بعد دخول راعول وعلى وميض البرق رات شبح رجل في منصورتها ولشدة الخوف وظلام الليل ظهر كانه من الجبابرة فصاحت صيحة شديدة ووثبت من سريره طائرة الفواد وتقدمت الى الباب وصارت تصيح وتستغيث فتقدم اليها راعول وقبض على يديها فجاولته بضع دقائق وقد اطار الخوف رشدها واجدد الدم في عروقها فتلاشت قواها وضعت نفسها وسقطت على الارض غائبة عن الوجود فطرب الشقي وقد ظن انه نال متناه بلا معارض ولا مدافع فانهمزها بكلتا يديه والفاها على سريره

وفي تلك الدقيقة سمع زمجرة شديدة لم يخفها قصف الرعد ثم رأى شخصا هائل الجثة قد وثب من الشباك وقبض على راعول وصرعه

وكان هذا النادم العجيب الشان حار ييب الذئاب والمجني في هذه الساعة الشديدة الهول سبب غريب وذلك ان هذا الرجل شعر بمقاصد راعول الخبيثة من مراقبات متعددة في اثناء تلك المدة فصار دائما ساهر الطرف والقلب للمحافضة على خطيئة صديقه ابوب فكان لا يزال يتردد حول بيتها والحديقة متجسسا فكان الله الهمة في ذلك اليوم ان يلازم التنبه هناك . فشعر بوجود شخص مخفي في الغيبة فكث مستترا الى ان خرج راعول في الساعة التي ذكرناها فخالج ضميره ان لهذا الرجل مقصدا شريفا ففقا اثره رويدا رويدا الى ان دخل فكث في الحديقة هتية الى ان سمع صراخ حنة

وبعد ما الفاه على الارض نظر الى حنة فراها على ضوء البرق فافدة
الشعور فظن ان الشقي قتلها فعطف عليه في الحال قاصداً ان يمزق جسده وقد
ذاب المسكين من شدة خوفه لعلهم ان ربيب الذناب لا بد ان يقتله اخذاً بالنار
وبعد ان عزم حنا عزمه المذكور خطرت على باله حبيبتة ملكة فعلم ان
موت اخيها سيكون عليها وبلاء عظيماً وانها لو كانت حاضرة لبذلت دمها دونه
فتوقف وسكن غضبه وتراجع عن راعول ومد يده الى جهة السماك وهو
ينظر اليه ولمع البرق حينئذ فراه راعول على هذه الحالة فعلم انه لا يقصد اذيتة
وانه يشير اليه ان يخرج فقام من ساعته وهو غير مصدق بالنجاة ونزل عن
السلم مهرولاً

الفصل التاسع

— * * * —

تهمة باطلة ونجاة عجيبة

بعد ما ذهب راعول تقدم حنا وجس يدها فوجدها باردة فانحنى على
صدرها ليسمع ضربان قلبها فسمع ضرباً خفيفاً علم منه انها لم تمت بل مغنى عليها
كما جرى للملكة حين خلصها من تلك الورطة . فاطمان ولكنه لم يدرك ما يفعل
واراد الانصراف فخطر في باله ان راعول ربما رجع فجلس على كرسي الى ان
انطلق الفجر

وحينئذٍ تحركت حنة وفجعت عينيها وتهدت وتذكرت ما جرى عليها
فقامت مرتاعة ونظرت حولها وكان حنا قد استغنى لئلا ييغتها فصاحت صوتاً
ضعيفاً واشعلت الشمعة فرأت ما في الغرفة من الانقلاب ووقع نظرها على
الكلب وهو ميت فاخذته وقبلته وصارت تكي وتغيب وتقول الهي
الهي ماذا جرى علي . ما شان هذا الرجل وللحال خطر في بالها خاطر
مريع نقشعر منه الابدان فاعولت ولولت وقالت تلفت ويلاه وزاد اضطرابها
وظلت انما جئت . والحق ان هيئتها كانت تدل على اخللال شديد ثم معصت
وراها صوت تنهد فاجملت والتفتت فرأت ربيب الذئاب فنكصت مذعورة
وصاحت صيحة هائلة وكان هو ينظر اليها نظراً الحزن والشفقة فقالت له بصوت
غضب شديد يا وحش . . يا وحش . . ما بناؤك هذا . هل تسر بمشاهدة الآمي
ودموعي وكيف بعد ارتكاب هذا الذنب الفظيع لم تذهب الى مغارتك لكي تخفني
عن البشر . وبك يا شني يا اردأ الوحوش انصرف يا خبيث من امامي نظرك
برعني وتشتت من نفسي . فلم يفهم حنا كلامها لكنه علم من هيئتها انها غاضبة عليه
غضباً شديداً ولم يستطع ان يوقنها على الحقيقة فلم يكن منه الا ان جثا على ركبتيه
ونظر اليها نظراً الخشوع ودموعه جارية فلم تزد حنة الا استشاطه وقد فهمت
من حاله عكس المراد فظلمت انه يبدي التوبة ويطلب العفو فرفسته برجلها رفسة
مرتاعة وادارت راسها استمزازاً وابتعدت عنه نفاراً كأن امامها افعى فتهض
المسكين حزيباً وهو يتنهد وبمع دموعه وجلس في زاوية الغرفة
وبقيت حنة جامدة ذاهلة غارقة في لجة افكار محزنة وبأس شديد وقد
اينت ان ركن امالها تهدم في دقيقة واحدة وانها ستنط ستنط لا نهوض منها
فناورها رشدها واشتعل دماغها بنار الحس واضطراب الافكار وظهرت عليها
امارات الجنون فالتخطف لونها وانقلب سمعتها وجفت عيناها ونطابرها منها الشرر
ثم رفعت عينيها الى السماء وقد علم من منظرها انها عزمته عزماً وراه اليأس
وذملت عن وجود ربيب الذئاب وربما ظنت انه انصرف عنها

فاخذت تلبس ثيابها بمحركات عنيفة وانفت شعرها على راسها ثم دخلت
غرفة يعقوب وابان وجلست امام مكتب واخذت ورقاً وقلماً وكتبت ما ياتي
« تدنعت وانفضحت . والجماني هذا الانسان الوحشي الخبيث . ريب
« الذئاب الشقي فما عدت اطيع الحياة فطلبت الموت وسجدون جنني على
« ضفة النهر . ارث لي يا ابي وترحم علي وعز ابوب علي فقدي استودعكم الله
« حنة الويلانية »

ثم طوت الورقة ووضعنها في مغلف وختمته وكتبت على ظهره « الى ابي »
وكان ريب الذئاب يرقبها وهو مشغول البال وكأنه شعر بمعنى ما عزم
عليه وهالة ما راي من حركاتها ولبلاها وشرود نظرها

ثم دخلت حنة غرفتها ونظرت الى ما حولها نظرة الوداع فوثب حنا من
مقامه واعترضها فاقشعر بدنهما والنهبت عيناهما ودفعته دفعة عنيفة فامسك
يدها فاطمته على وجهه لطمه شديدة ونظرت اليه نظرة هائلة فتراجع عنها ففتحت
الباب وتزلت في السلم

فكث حنا برهة طائش الغفل مبهوتا شاخص البصر في ارض الغرفة فرأى
شيئاً يلعب ويجاذبه شيئاً اخر فيه لمان ايضاً فالتقط الاول فاذا هو خاتم ذكرانه
راه مرة في اصبع راعول السمسمي ثم تناول الشيء الاخر فاذا هو جزدان
صغير منقوش على ظهره حرفان وهما (ر . س) فوضعهما في جيب سراويله البالي ثم
مضى يفتني اثار حنة فرأها من بعيد ماشية في الطريق المؤدية الى النهر فاسرع
ورآها حتى قرب منها وكان ضوء النهار قد وضع ولم يكن في تلك الجهة احد

وحالما وصلت حنة الى ضفة النهر التفت نفسها في الماء وكان جري الماء
هناك عنيفاً لا يجو منه الا السباح الماهر الشديد الذراع فعدا حنا على اثرها
بسرعة الطير وغاص وراهها مرتين فلم يجدها فجرح نفسه مع السهل غائصاً تحت
المياه فوجدها وقبض على يدها ورفعها فوق الماء واخذ يسبح نحو الضفة بجهد
جهيد حتى كاد يعي ولم يدرك البر

وفي تلك الساعة الشديدة الخطر اتفق مرور مركبة فيها رجل واحد حسن
القول عمره فوق الخمسين لا بساً لبساً بسيطاً نظيفاً وهيئته جميلة جليلة لكن
يستدل من منظره انه نعبان من مشقة السفر او كثير المهوم والصحيح ان هذا
الرجل كان قد اصابه شدة كثيرة ولم يخفف كرور الايام احزانه الثبيلة
ولما قربت المركبة الى ضفة النهر راى السائق شخصاً يقاوم عنف التيار
ويحاول التخلص منه فقال لرفيقه انظر يا سيدي ما هذا الذي في النهر فنظر
الرجل وقال لعله ذئب او نحوه يحاول عبور النهر لان امثال هذا الحيوان
كثيرة في هذه البلاد ثم امعن النظر وقال قف يا اندرياس هذا حيواناً بل
رجلاً غلبه السيل فاوقف السائق الفرس وثب الى الارض وخرج الرجل
الآخر من المركبة فقال السائق اثنان اثنان قال نعم رايتها رجل بمخلص اخر
ثم تقدموا الى الضفة وكان ربيب الذئب قد بلغ شجرة هناك فتمسك بغصن
منها متديلاً فوق الماء وكان الموضع عميقاً بحيث لا تستقر رجلاه ولا يندر ان
يرفع راس حنة فوق الماء لانه ممسكها بيد واحدة وممسك الغصن بالآخرى فلا
يستطيع ان يتركها ولا ان يترك الغصن لئلا يجرها التيار ثانية
وللحال سمع صوتاً يصيح به الثبات الثبات ففرح بسماع هذا الصوت وصاح
طرباً عندما وقع نظره على الرجلين
فقال الرجل الغريب للسائق هيا اندريا . بادر اليها هذه فتاة بديعة
المنظر والرجل لا يستطيع تخليصها فتقدم حالاً وخذ بيدها وجرها بلطف
فبادر السائق حسب امر مولاه وبعد محاولة قليلة اخرج الفتاة من الماء
واما ربيب الذئب فلم يعد محملاً الى مساعدة فخرج من الماء ايضاً بقوة ذراعه
وجعل ينتفض كالطائر المبلل
فنظر المسافر الى حنا ربيب الذئب فنظر متعجب لما راى من غرابة شكله
وزيه . ثم نظر الى حنة ليرى هل هي في قيد الحياة فلم تكن الا برهة حتى تحركت
وتنفست فراها ربيب الذئب وركع امامها وصار يبكي فثائر المسافر ورفقته من

رقة عواطفه

غير ان معظم اهتمام المسافرين كان موجهاً الى حنة وقد دهش من فرط جمالها واحدق بها نظره بطريقة غير طبيعية ثم ارتعش وتهدد وبقى يتأمل فيها وهو يقول ما هذه المشابهة الشديدة . هذه هي لكن هذه لا يكون عمرها اكثر من ثماني عشرة سنة . واذا كان صحيحاً ما عرفت في لندن فقد مضى على شديد الشوري وسليبي سبع عشرة سنة . وفي ذلك الوقت كانت سليبي حاملاً . يا للعجب من هذه المشابهة لم لا تكون هذه بنتها الهي الهي هل ترحمني اخيراً وترشدني بعنايتك الالهية

ثم التفت الى ربيب الذئب وقال له يا فتى من تكون هذه الصبية وابن مقامها ولاي سبب التفت نفسها في النهر وانبت لتخلصها فصار حنا يهر راسه ولا يستطيع ان يتكلم الا انه لفظ اسم حنة فعلم المسافر انه ابكم فقال لغلامه يا اندريا لا تستطيع ان تبقى الفتاة هنا فبناخذها معنا واعالجها في الطريق حتى تعود الى رشدها فينكشف لي خبرها . هيا بنا . اعط هذا الفنى ديناراً

وكانت حنة قد فحمت عينها فحملها الغريب الى المركبة ولما اعطى اندريا الدينار لحنا هز راسه ورده اليه فقال الرجل في نفسه لطيف وعزيز النفس ثم دس الدينار في جيب حنا فلم ينبه لتوجه افكاره وانظاره الى حنة . وكان قد تخبر من اخذ الرجل لها وذهل وجد في مكانه دهشاً كالصنم ولو راى على وجه هذا الغريب غير امارات اللطف والوقار لوثب عليه وانفذ حنة من يديه فلم يشوقف خوفاً بل دهشاً واحتراماً . ولما غابت المركبة عن عينيه عاد الى الحرش وتقيب فيه

الفصل العاشر

تحقيق التهمة

فلما اقلعت مرنا بعد ذهاب حنة وحناء صياحاً فنجبت من ان باب الدار كان مفتوحاً فظننت أولاً ان حنة قصدت احدى جارائها لنسلى او خرجت لتنزه فلذا دخلت الدار وقامت على عيها من تكيس وتنظيف الغرف السفلية وجعلت تنهى الغداء حتى اذا انتهت دعت حنة لظنها انها تكون عادت الى مقصورتها فلم تسمع جواباً فخرجت الى الحديقة وصارت تنادي ولا تسمع الجواب فتعجبت فوقع نظرها على الشباك فوجدته مفتوحاً والسلم على الحائط فدهشت كأنها شعرت بويل عظيم فعادت الى البيت وصعدت الى مقصورة حنة فوجدت الباب مفتوحاً فدخلت وراحت جهور ميتاً ولا انقلاب في الغرفة ظاهراً فصاحت صيحة شديدة ثم خرجت مرتاعة طائرة الفواد جزعاً وركضت في الطريق وهي تصيح وتستغيث فارتكض اليها جماعة من النساء والاولاد وكان اكثر الناس في الحفل منهمكين في الحصاد

ولم تزل مرنا راكضة حتى انت المعاون فصاحت به واخبرته ببهمة غريبة عما جرى فقام واتى معها وصحبه رجلان اخران فراوا تلك الحالة المندرة بالويل وكان جماعة من النساء والاولاد وثلاثة رجال وقوفاً خارجاً فلم يسمع لهم بالدخول فاخذ المعاون يلخص ويدقق النظر فرأى في جرار حنة علة فيها عدة

دنابير ودرام ظاهرة للعين ورأى ساعتها وسلسلتها الذهبية معلقة في الحائط
فعرف ان المسألة لا تعلق لها باللصوص ومن هيئة الغرفة وموت حبيب وافتتاح
الشباك فوق السلم الملقاة على الحائط حكم ان رجالاً دخلوا خلصة من هناك
ليسبوا حنة وحدث بينهما وبينهم صراع شديد

وبعد هذا البحث دخل المعاون غرفة يعقوب ولما ان فرأى كل شي بنظامه
ثم وقع نظره على الورقة التي كسبت فيها حنة شكواها وعنونتها باسم ابها فتعجب
جداً ولم يرد ان يفض الختم . وقد اشدتلك عليه الامر اي اشدتلك فوضع الرسالة
في جيبه الى ان يأتي يعقوب فيعرفون السر

وخرج من البيت الى الجنية وارسل رفيقه يدعو قاضي الصلح لتدقيق البحث
وكان المذكور مدعواً للغداء عند صديقه المولى الفلاني والد سوسان فلما وصل
واخبرهم الخبر تخبروا وتكلموا جداً لانهم يحبون يعقوب وليان وفيلونه ايوب .
فنهضوا عن المائدة بسرعة وقال الفلاني لان نذهب بالمركبة حتى نبليغ القصر
الوقور فادخل ابنا ابني عند البارونة السمسرية وتذهب انت للبحث ثم تعود الينا
الى القصر الوقور

وللحال ركب الاربعة وساروا ولما وصل قاضي الصلح الى بيت يعقوب وليان
اجرى البحث المدقق فحكم كما حكم المعاون . ثم جعل يدقق النظر في الحديقة
فرأى اثار اقدام حافية مطبوعة على التراب بعد ان بلله المطر ليلاً فزاد تعجباً
وتحبراً

وبينما هم كذلك اذ اخبرت مرنا بقدم مولاها يعقوب . وكان قد اتى
قبل الوقت الذي عينه . وحالما وصل وبلغه الخبر حمد في مكانه طائر العقل
خافى النواد ملتهب الصدر من الحزن والغضب وهو يرتجف والواء
تغير . فرأى الناس حالته ولزموا السكوت برهة

ثم تقدم المعاون وناوله رسالة حنة فشق غلافها بسرعة وقراها . فاضطرب
اضطراباً هديداً فصارت مقلناه كشعلة النار ثم ثلاث قواه فطرح نفسه على

كرسي كأن الصاعقة انقضت عليه وسقطت الرسالة من يده فقال قاضي الصلح
 يجوز ان تقرأها فإوماً برأسه بالانجذاب فقرأها القاضي على مسمع من الحاضرين
 فصاح الجميع أسنين وقد فهموا القضية

ثم قال يعقوب وليان اهذا جراء المعروف من هذا الشقي الخائن كان هو
 سبب موت امرائي ثم بسبه هلكت اليوم ابنتي . واولداه واولداه . كيف سطا
 عليك هذا الوحش وما لك معين

وجعل يتخبط وتساقطت دموع الحاضرين وراعى السكوت مدة . ثم قال
 القاضي يجب ان نقبض على هذا الرجل فقال المعاون وكيف يمكن وكل الجنود
 مضت الى الحرب وليس عندنا احد . ثم قال يعقوب وليان لا يفيدنا القبض
 عليه شيئاً لانه رجل وحشي لا يصح الحكم عليه بالجناية كما لا يصح على البهيمة

فقال القاضي لكن الاولى لنا القبض عليه لئلا يعود الى مثل هذه الفظائع
 فاجاب يعقوب وهو يجندم غيظاً ليقبض ويقتل كالذئب الكاسر ويطرح في
 المطبق فيخلص الناس من شروره . اه . ايها القاضي حزني شديد وافكاري
 مضطربة افعلوا ما تخارون واجيز كل ما تعملون . وبلاه لم يبق لي منفعة من
 البقاء . نلت واحسب نفسي ميتاً بين الاحياء فقال القاضي بصوت حزين
 يا صديقي يعقوب لا تياس اعمل حنة عدلت عن عزما
 — لا يجتهد لاني اعرف ما هي منظوبة عليه

— وكان من الواجب ان يمشوا عنها في النهار لم التأخروا ولا بد ان توجد
 حية او ميتة

— نعم نعم يجب من هذه الساعة ان تبادروا الى التفيش
 فقال المعاون اما ذاهب من هذه الساعة واخذ معي من الناس من
 يستطيع وندقق البحث

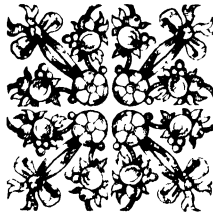
وعند ذلك تفرق الناس ورجع قاضي الصلح الى النصر الوفور حيث
 ينتظره الفايقي وابنته والبارونة السمسرية وابنتها ملكة . وحالما دخل اخبرهم

الخبر فبعضهم صدق وبعضهم كذب ودافع عن ريبب الذئاب فاراهم الرسالة
التي كتبها حنة فاضطروا ان يثبتوا صحتها

وحينئذ قامت سوسان وقالت وهي مغتاظة لو حكم كل الناس على هذا
الرجل الوديع فانا ابرئه . اما هكذا نقولين يا عزيزتي ملكة

وكانت ملكة في اثناء ذلك مضطربة النفس مشوشة الافكار غارقة في
بحر من الحزن والوسواس فقالت لسوسان ارى ان ما به حكموا واقع ثم شعرت ان
نجيبها يكاد يرتفع فقامت ودخلت مقصورتها واطافت عبراتها وانجبت على انفراد
وبعد مدة انصرف قاضي الصلح والفليبي وسوسان فدخلت البارونة غرفة
ملكة ورائها في تلك الحالة من الاكتئاب فلم تعلم السر في ذلك وظمت ان نكبة
حنة اثرت بها هذا التأثير ولم تكن عالمة بشيء من حال ريبب الذئاب وملكة
وتردده الى الحديقة واجتماعه بها في الخدر الثاني وجلسوا في مكانه

وكانت ملكة تجهل سبب هذا الحزن الشديد واحبت تلك الليلة لاندوق
رقاداً وافكارها متعانة بريبب الذئاب لكن نعلق اشمزاز لاعنادها انه بخلاف
ما فيه من الانس والرقه وسلامة القلب وصارت تخشى لقائه احسباً من ان
يكون حظها منه حظ حنة المسكينة وصارت تلوم نفسها لكونها عطفت اولاً على
رجل وحشي ردي واشتهت ان تنسى ماله عليها من الفضل وودت لو سقطت
في الهاوية ونحطمت ولم يخلصها هذا الوحش الضاري



الفصل الحادي عشر

تبرئة وشعور مخيف

ثاني يوم بعد الظهر خرجت البارونة لتزور المولى الفليبي ونستعلم منه احوال الحرب وبقيت ملكة وحدها في الفصر جالسة على كرسي كنيبة منكسرة الخاطر متاملة في احوالها . فسمعت صوت فتح باب واغلاقه فقامت لترى من القادم فانفتح بابها بخفة وظهر لديها ربيب الذئاب . فنكصت مرتاعة وصاحت اضطراباً وتوجهت نحو الشباك لتستغيث فاعترضها حنا فرجعت وهي ترعد وارادت ان تصيح فعقد الخوف لسانها وخنق صوتها

وظهرت على حنا علامات الحزن وكانت ملكة متوقعة هجومه عليها لكنه تقدم بلطف مطاً طئاً راسه وجنا على ركبتيه فنظرت اليه مندهشة وقد سكن روعها قليلاً فاخرج من جيبه الجزدان والخاتم (اللذين وجدها في غرفة حنة) فعرفتهما ملكة واخذها الاندهال واחרت في كيفية انصالها اليه . ثم رفع حنا راسه يهدو و اشار اشارات تدل على حزبه وتلفظ بهذه الكلمات « ايج . حنة . حنا . نهر » فعرف ان ملكة لم تنهم مفالة واخذ يقص عليها الخبر بحركات مختلفة شخص بها الواقعة تشجيلاً عجباً وهو في كل خبر يذكر واحدة من الكلمات الاربعة المتعلقة بها ذلك الخبر . وكانت ملكة تدقق النظر في كل ما يبدي من الحركات والاشارات وتلاحظ نسبتها الى الكلمة التي يقولها معها حتى فهمت القصة

تماماً لكها ما فهمت انه خلّص حنة بل بالعكس اي انه حاول خلاصها فلم يستطع
وجرها النهر وذلك لانه بعد ان انتهى من عمله وأشار الى ذهاب حنة في المركبة
تهدتهدت عميقاً وجرت دموعه وهذا الذي حوّل فكرها عن نجاة حنة فانقبض
فوادها وانقلبت افكارها من جهة ريبب الذئاب وعلمت يقيناً انه بريء من
تلك التهمة وارفعت منزلته في فوادها

ثم انصرف من عندها وقد اظهرت له اتم الرضى وبجركاتها اللطيفة بالغت
في شكره لجميله وعادت لتجلس على كرسيها فوجدت الجردان والخنّام فذكرت
هول الواقعة وفضاعة العمل فخبأتهما وعزمت على كتم السر الى اخر نسمة من
حياتها حتى عن والدتها

ثم جلست وجعلت راسها بين يديها ونساقطت دموعها وصارت تنامل
قائلاً اذن قد وهم الناس بانهم ريبب الذئاب فهو بريء كما ارى واخي هو
المرتكب هذه الفظيعة التي بسببها اهلك حنة نفسها ولا اقدر ان ابج السر
واكشف جريمة اخي . اخي اللعين الذي رحل عاجلاً بعد عمله بقال رجل خوفاً
من الفضيحة وهو لا يعلم ماذا سبّب عمله من الاهوال . ولكونه مصراً على هذا
الامر كان كلما اتى يضي الى ماريل بعلة التنزه

ومن العجب انها في شدة حزنها شعرت بسرورٍ داخلي في قلبها فخافت منه
وقالت ما سبب هذا السرور وبلاه الذي احس انه يكاد يني احزاني العظيمة .
وما اذكر ريبب الذئاب لم يبرح من فكري وقلي . وبلاه وبلاه . كأني احبه .
آه احبه . ربي خذ يدي . اي الشياطين دخل قلبي هل جنت . هل نسيت
ما علي من الوفار لامي . هل استظت احترامي بيدي . يا لي من شقية نعيسة . كيف
احب ريبب الذئاب . شيء مربع . لماذا احب هذا الرجل الوحشي . لأنه
انقذني من الهلاك . ضرب من المجنون . وبلي انا بنت البارونة السمسرية احب
انسان الغاب . الرجل الذي لم يعاشر الا الوحوش الذي لا تكثرث به اخس
بنات القرى بل تشتم منه . وبلك يا ملكة السمسرية ما فعلت بمفامك . ما فعلت

لعزة نفسك . احب ريب الذئاب بالسوء الحظ بالسوء المنقلب . يا للعار .
 احب انسان الغاب . نعم احبه كيف الخلاص اين الفرار ملك حبه فوادي ما
 بحيلة لنفيه . ما الوسيلة ما الطريقة لسوءه

وحينئذ سمعت صوت مركبة قادمة فنامت ومسحت دموعها ونقدت نحو
 الباب واذا بامها قد دخلت وقالت لها مالك يا ملكة يظهر في عينيك اثر
 البكاء

— نعم يا امي ذكرت هذه الصبية المسكينة فانصدع فوادي
 — مسكينة حق ان نحزن على سوء حظها وقد بذلوا الجهد في البحث عنها
 فما عثروا لها على اثر . لكن يا ابتي لا يصح ان تكثري الاهتمام بها فيشتد حزبك
 ثم نقعن في علة كوفي قوة القلب نظير صديقتك سوسان
 — ماذا سمعت عن اخبار الحرب يا اماء
 — سمعت ان الجنود تكتسح هذه البلاد فيعيب ان ندير امرنا هذه الليلة
 ونسافر غدًا

— رأي حسن جدًا ففي الرحيل صلاح
 — عجبًا ما كنت اظن انك تحبين مبارحة هذه الديار وقد قلت منذ اربعة
 ايام انك تستعيبين جدًا ممارسة قصرنا
 — كان ذلك نعم لكني افكرت فاهتديت الى الصواب بداعي اخبار الحرب
 — وانا ايضا كنت استعيب البعاد لكن الحاحات اصدقائنا في جبال البرانس
 من جهة ومشورة المولى الفليني من اخرى اضطررتي الى استسهال الصعب فنرحل
 غدًا

— هل جرى يا امي حديث ريب الذئاب عند المولى الفليني

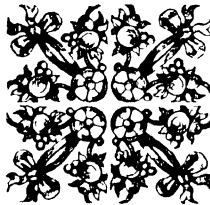
— ذكروا شيئًا قليلًا

— اظن انهم يقضون عليه

— لا بل يبقى في امان مدة طويلة

— كيف ينزكوه . الم يرسل قاضي الصلح بالخبر الى دار الملك
 — بلى لكن ابن هم الولاة والنصاة الان . كلهم ملتبهون بامر الحرب .
 البارح استولى الالمان على اينثال قاعدة ولاية فوجة فخرجت منها ارباب المحكمة
 والعدو باخذ كل ما وقع تحت يده من الغلال والموت وللدخائر والبهايم
 ونحو ذلك . ما اشأم الحرب واوخم عواقبها . فاذا انقضت هذه الاهوال
 ورجعت الامور الى مجاريها يلتفتون الى ربيب الذئاب اذ لم يبق موافقاً تركه
 في حالة الوحشية لكنهم لا يستطيعون ان يوقعوا عليه حكماً لانه محسوب كالبهايم
 التي لا عقل لها فلا تجري عليه قوانين العدل
 فتنفست ملكة الراحة وقد تحققت ان حبيبها لا يؤذى ثم قامت ودخلت
 غرفتها لتبني حوائجها

ولما كان الضحى ثاني يوم ركبت هي وامها مركبة قاصدين بلاداً بعيدة عن
 ادراك الالمان . وكانت تقول في نفسها بعد ان التفت نظراً اخيراً على الحديقة
 الزرقاء عما قليل سابعمد عن هذه الاراضي وادخل ارضاً اجد فيها من صواحي
 نسالة عظيمة . يجب ان اسلو هذا الرجل هذا الحبيب الغريب الشان يجب ان
 اسلوه من كل قلبي . وسافعل ان شا . الله واستريح من هذه الهموم المتعبة



الفصل الثاني عشر

احوال الحرب

كان البروسيون يكتسحون كل الاراضي التي يملونها ولما دخلوا مارييل
عملوا اعمالاً عظيمة وكان جماعة من الرماة الاحرار قد هجموا بمعية بعض اهل
البلد على جماعة من البروسيين فتناهي يوم اتى احد النواد الى يعقوب وليان لانه
كان والي مارييل حينئذٍ وطلب اليه تسليم اهل البلد . وبعد خصام طويل راي
القائد البروسي ان يعقوب ينهمك عليه فاطمته لطة اطار حواسه وذلك بعد ان
امر باحراق البلد

وكان ريبب الذئاب قد شعر بويلات الحرب وهو يترصد على صخر مرتفع
في الحديقة الزرقاء ولما ابصر النار في الليل مضطربة اتى متسللاً ليرى عن
قرب وانتق ان القائد اعظم يعقوب وليان على مرأى من ريبب الذئاب . فثارت
به التهمة حينئذٍ واخترق حلقة البروسيين وتقدم الى القائد ولكمه لكمة شديدة
اطارت بعض اسنانه فسقط على الارض صريعاً وهرب ريبب الذئاب اخف من
الغزال

وثاني يوم شاع خبر علمه هذا فصار كل الناس يحبونه ونسوا ما اتهم به من
مسألة خنة وكان الاكثرون لا يصدقون عنه هذا الفعل الفظيع
وذهب ريبب الذئاب الى مغاراته في الحديقة الزرقاء واخذ تلك البندقية

التي ذكرنا انه وجدها من بالصدفة . وكان صديقه ايوب قد علمه استخدامها
فجعل يحسبها ويتفقد آلتها حتى نظمت . فاخذ الدبنار الذي اعطاه اياه اندريا
حينما خلص حنة من النهر وكان قد علم به بعد حين فخباه وقد عرف بعاشرته
القمامين ما لذلك الدبنار من المنفعة . فاخذنه واخذ بندقيته وتوجه الى قرية
قرب ماريل لينتاع باروداً ورصاصاً وكسونا

فدخل البلد وبوسائط مختلفة اعانه اعداىل البلدة حتى اتباع مطلوبة
فاخذ الذخيرة ومضى الى كهفه . ومن ثم صار يتربص مرور البروسيين في
الطريق المقلبة للحدبة الزرقاء ويرميهم بالرصاص فقتل منهم جماعة في بضعة
ايام حتى احاروا بامرهم وقللوا المرور من هناك وصاروا يسألون اهل البلد عن
هذا العدو الخفي ويتوعدونهم ويهينونهم لانهم لا يعرفون به . كيف يعرفون
بن يحبي بلدهم من اعدائهم الاشداء

فاتفق من ان احد الاذال الجبناء دل البروسيين على حنا ربيب الذئاب
واعلمهم انه هو عدوهم الخفي فمضى منهم جم غفيرة واحاطوا بالحدبة الزرقاء
واخذوا في البحث ثم اضرمو النار في الاعشاب الكثيفة هناك لكن وقع مطر
خفيف وقل هبوب الريح فلم تمتد النار وبعد جهد جهيد لم يهندوا الى مقر
ريبب الذئاب وانصلوا الى كهفه ايضاً فلم يجدوه وذلك لانه كان قد اخفى في تلك
الهوثة الهائلة التي تعلفت في فوهتها بالعليق ملكة السيسية . فلم يكن احد يجسر
ان يتغم تلك الوعور والاشواك ولا بلوح ببال ان ريبب الذئاب مخبي هناك .
فرجعوا عنه خائبين

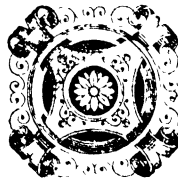
هذا ما كان من ريبب الذئاب في ماريل واما ما كان من امر ايوب خطيب
حنة في حرب البروسيين فانه اظهر في اكثر الوقائع شجاعة الابطال المجريين
وفعل افعالاً فجزع عنها صناديد الرجال ومن جملة ما اثره انه خلص الراية بعد ان
قيل ثلاثة من حاملها . وعلى اثر جراحة خفيفة استتر ومضى الى بلجكا ليستريح
ريتا يبراً من جرحه ثم اتى وعرض نفسه على جمعية من النواد فاكبروا امره . واتفق

له مرة انه كان مع عشرين رجلاً فخرج لم يكن من البروسيين واتشب القتال بينهم وكان يوصي اصحابه بالمداغة دون التسليم ولو هلكوا عن اخرهم وتكاثر عليهم العدو وكاد ينفك بهم واذا بجماعة من الرماة الاحرار قد سمعوا الصياح فاقبلوا كالاسود الكاسرة ودفعوا العدو

وكان مقدمهم رجلاً جليل الشأن حسن التدبير كثير الخبر والمؤاساة جندهم من ماله الخاص وكان ينفق عليهم النفقات الواسعة فاحبوه واحترموه وادوه طاعة عمياء . فبعد ان دفع العدو تقدم الى ابوب وحياء ودخل معه في الحديث واظهر له انه كان من جملة الفواد الذين اطلعوا على احواله فقال اليه ميلاً شديداً خاصاً بجاذب سري وتوسط امره مع الحكومة واطنب في وصف شجاعته حتى نال وسام الصليب المخصوص بلجنة الشرف

وكان ابوب قد سأل عن اسمه فقال له لا استطيع ان اشهر اسمي اليوم والاسم الذي اعرف به الفائدة المجردى . وهكذا تمكنت الالف والصدقة بين الفائدة المجردى وابوب خطيب حنة

وقال له فيما قال عن سبب ملبه اليه الخاص انه سيظهر بمنفعة في اصطحابه بعد انتهاء الحرب وان له اعمالاً عظيمة يسعى في انجازها



الفصل الثالث عشر

اتفاق

ولما عرف ايوب ان الوسام حصل له بمساعي فائد الرماة الجردى طلب ان يجتمع به ليشكره على فضله فبعد البحث عرف مقره فدخل عليه واظهر له فرط ممنونته ودار الحديث بينهما فقال له الجردى اخيراً اطلعني على سيرتك ايها الفتى فاخبره انه كان ابن رجل فقير وان والديه توفيا وهو صغير فرباه عرابه يعقوب وليان الضابط الدراغوني وانه طالب الى العسكرية قبل وقته ليدخل في الفرقة التي كان فيها عرابه . فقال الجردى يا صاحبي من طبعي اذا احببت شخصاً ان اطلع على بواطنه فلا تواخذني اذا استقصيت خبرك ظاهراً وباطناً فنل لي ألم تفارق في بلادك خطيبة اديبة

فنجب ايوب من كلامه وقال بلى يا سيدي واحبها اكثر ما احب نفسي وهي بدية المجال عمرها ثمانى عشر سنة كاملة في الادب وعراي ابوها واسمها حنة

فاضطرب القائد بذكر اسمها وقال ما اسم بذك قال ماريل فازداد اضطرابه واصفر وجهه ووضعت عليه امارات الحزن فقال ايوب هل تعرف ماريل يا سيدي قال لا بل مررت بها مرة واعرف رجلاً في احدى الثرى المجاورة لها وراى ايوب ان الرجل على غير استواء شديد الاضطراب والانتباض

فحفظ وقارهُ ولم يسأله شيئاً آخر فكان المجردي عرف فكره فقال له يا ايوب
تراني مضطرباً قليلاً فلا يهلك هذا لانني تذكرت احزاناً قديمة وكثيراً ما
يعرض لي بغتة ان اذكر تلك المصائب فينبض قلبي

ثم قام بنمشي كالحيران الحزين وهو يقول في نفسه مسكين هذا الفتى لم
يعرف شيئاً حتى الان ولا يوافق ان اخبره لئلا ينصدع قلبه ويموت كدّاً . ثم
التفت الى ايوب وقال يا صاحبي هل تصلك اخبار من جهة ماريل قال
انقطعت عني الاخبار منذ مدة فانكسر فؤادي واشتغل بالي كثيراً

— ان حاول الاعلاء في تلك الاقطار قطع الانصاليات

— ما ينبغي قلبي هذا واني اعلم ان رسائل كثيرة وصلت الى اصحابها من بلاد
فيها الاعلاء وقد يلوح لي ان شراً اصاب عراي او حنة ثم اقول لو كان شيء
من هذا لعرفوني حالاً

— متى وصلتك الرسالة الاخيرة

— قبل ابتداء الحرب ثلاثة ايام

— وابن كنت حينئذ

— على النجوم

— وهل كتبتم لهم شيئاً

— عدة مرار وارسلت رسائلتي فلم يرد لي جواب

— فاعتقد ان رسائلك لم تصل الى ماريل وان البروسيين امسكوها

— هذا الذي ازعمه انا غالباً

— واهالك لا يعلمون اين نكون فلا يكتبون اليك

-- هكذا يظهر

— هل لعرايك اولاد يا ايوب

— ليس له الا حنة

— وامراته ما حالها وما اسمها

- مسكينة السيدة كاترين مانت منذ سنين
- وهل كانت فرنسوية
- نعم ولدت في بلد مجاور لماريل
- وهل كان بينها وبين حنة مشابة
- لا . لان حنة ابنتها بالتبني لا بالحقيقة وامها مانت بعد ولادتها بنحو ساعة ولم اعرفها
- وابوها ما كان من خبره
- وجد ملني على ضفة النهر ميتاً غرقاً
- أوّه . وهل جرى ذلك في ماريل
- لا بل في بلنكور على مسافة ستة فراعخ من ماريل
- فاخذ عرابك الابنة ونسناها
- نعم ونسبها الى عائلته واعطاها كل ما يملك كانتها ابنته حقاً
- وقد احببت هذا الرجل الكريم الاخلاق قبل ان اعرفه فلي الامل ان
- الفاه ذات يوم . لكن ما السبب لتغيير نسبة حنة
- لم يعرف لا بيها اسم ولا عن عائلتها خبر
- عجباً . عجباً وكيف كانت طريقة موته على ما عرفوا
- اعنداء . وقد تحفوا ان رجلين من الاشرار طرحاه في النهر لولاً
- هل عرف سبب هذا الاعنداء
- لا بد ان يكون التخلص منه
- وما الغاية من التخلص منه
- لم يعرفها احد مطلقاً
- والنانلان
- لم يفتوا لها على اثر
- امر غريب . الم يكن دليل من ورقة او نحوها تنبه باسم القتل

— كل تلك الحوادث يا سيدي من غوامض الاسرار
— سر عجيب . نعم .

ثم قال بنفسه واما انا فلا بد ان اكشف هذا السر واوقف الناس على الحقائق وبعد ان سكنت برهة قال لا يوب . يظهر انك تعرف خبر حادثة بلنكور فهل لك ان تنصه عليّ قال نعم لكن اخبرك اولاً ان حنة لا تعرف شيئاً من سر ولادتها ولا كيفية موت ابوها لان ذلك يكون نغصة عليها سائر حياتها وجعل يخبره بتفصيل عن تلك الحادثة التي جرت في بلنكور منذ ثماني عشرة سنة فهالت الناس ولم يهل شيئاً من تفاصيلها وبحث الحكومة المدقق وما عرفوه بالاستبراء الطويل

فلما فرغ من حديثه قال فائدة الرامة حتماً ان هذه الحادثة هائلة مربعة فضيحة جداً

ولم يستطع ان يخفي احساساته وجرى الدمع من عينيه وقال لا يصح ان اطعمه على خبر حنة فقال له ايوب مالك تبكي سيدي

— من يا ايوب يصح مثل هذا الحديث ويقدّر ان يصبط دموعه وبكم كاتبه والاغرب في هذه الحادثة انهم عجزوا عن معرفة الوالد والوالدة

— لم يكن شيء من الدلائل كما قلت لك لكن لي قليلاً من الامل ان اعرف الاسمين

— وفي كيف ذلك

فاخبره ايوب بما توقع له مع الشيخ العتري وانه يعرف سرّاً لم يعرفه احد غيره وانه سيطلع عليه متى تزوج حنة . فكانت افكار الفائد الجردية مضطربة جداً لكنه لم يكشف ايوب بشيء منها ثم قال له حسناً فعلت ايها الذي الحبيب بكشف قلبك لي وسيأتي وقت اكشف لك عن قلبي فتعرف من انا كما عرفتك الان . والصدقة بيننا لن ترال متبنة وعسى الله ان يجعلنا قريباً . فاني الان اودعك . وارجل غدا على نثة انك فيما بعد تساعدني في المساعي التي اسمعها

وبعد هذا الكلام عانت كل منها الآخر وانصرف ابوب والدمع ملء عينيه وجعل قائد الرماة يتمشى في غرفته حائراً . ثم وقف بارق العين وقال اتفاق عجيب ونقادير غريبة وارتباط مذهل بين هذه الامور . الرب موجود وهو يعينني لانه المدير الحكيم المرشد خطوات العباد . منذ ابام لم اكن اعرف هذا الفتي وحالما رايته انجذب قلبي اليه لفتوته وجمال هيئته وسكينته ووقاره ونزاهة نفسه واداب اخلاقه . كاني سمعت صوتاً داخلياً يقول لي « انا العناية الالهية قدرت لك لقاء الفتي ابوب الفتي الكريم » فالت ننسي اليه وعلمت انه يكون لي عضداً عظيماً . يا لحسن الاتفاق . سألته فاطماني على حوادث حربية بالاعتبار . بحثت في سائر افطار فرنسا حتى اتف ولو على مثل الهبابة فلم استطع . فاطماني هذا الفتي الكامل المروة والادب على ما لم اكن ارجو معرفته ولم يكن عالمًا بما في بواطني . واني كنت عيوناً تشخص فيه واذاناً نصغي الى حديثه وعاد يتمشى برهة ثم وقف وقال لكن يا للعجب ما ذهب يعمل في بلاد فوجة شديد الشوري وامرأته . ساعرف . وساجبر ذلك الشيخ العتري ان يكشف لي سره



الفصل الرابع عشر

اختلال حنة والقبض على ربيب الذئاب

مرت سبعة اشهر في اثناء هذه الحوادث وفرنسا في اضطراب شديد لداعي الحروب واذا كانت هذه الاخبار من متعلقات التاريخ تضرب عنها صفحا وناخذ في سياق هذه الرواية فنقول

كان على ضفة نهر السين على بضعة فراسخ من باريس منزل يقال له البيت الشنوي موقعه في مكان شائق اتيق وهو صغير جميل البناء والمنظر تحف به الاشجار الكبيرة

وكان في ذلك البيت فتاة مختلة العقل يقوم بخدمتها طبيب خاص ماهر في صباغته وامراة صادقة الخدمه

وكان الطبيب المذكور كثير الشغل قليل الابرار لانه كان فنوعا فيما يحصله لفتنته

وكان الفائد الجردى المار ذكره قد استدعاه الى ذلك المنزل بعد المحاحات شديدة ومواعيد كثيرة لاجل المواظبة على تطبيق تلك الفتاة المختلة وانه يقيم هناك ويكون عنده كل ما يحتاج اليه من ادوات اشغاله وحسن له مركز البيت المذكور بحيث يكون خاليا من كل ما يشغل الفكر ويشتغل بجمرية نفسه وفوق ذلك ينال من الاجرة كل ما يحب . فرضي بهذه المواعيد وقد

زادت عن اماله . وبذل جهده في معالجة المجنونة . وكان له امل وطيد بشفاها
وكثيراً ما كان القائد الجردني يحضر امامها مع الطبيب ويكلمها فلا يسمع منها
الا كلاماً يدل على المصاب الذي وقع عليها وكانت تذكر غرق حنة (وهي هي
حنة خطيبة ايوب) وتذكر بارتعاد وكره اسم ربيب الذئاب

وكان يعقوب وليان قد اسر في اشيا الحرب وبعد انتهائهما انعم عليهما باطلاق
سبيهما فاتي بلده ماربل وبقي مدة مشغول الأفكار كثير الاحزان لسبب فرقة
ايوب وغرق حنة ولم يكن من يقوم بمخدمته الا الجارية مرنا

واما ايوب فكان بعد صفا الاحوال قد اخذ فرصة شهرين واتى ماربل
وهو في اشد شوق للقاء خطيبته ولم يكن يعرف شيئاً من اخبارها منذ ثمانية
اشهر وكان دخوله البلد في اول الليل ولم يرد ان يخبر احداً بقدمه فوصل
راساً الى بيت عرايه وقرع الباب فانت مرنا وفتح له ودهشت عند رويته
ودخلت حالاً واعلمت مولاهما فطار فواده من الفرح لكنه اقبض بتذكار حنة
ولما دخل عليه ايوب اعنفا ملياً وهناه عرايه بمصولة على وسام الشرف ثم
دار الحديث بينهما وكان جل مراد ايوب الوقوف على اخبار حنة لانه تعجب اذ
لم يرها هناك

وبعد محاولة كثيرة امر يعقوب مرنا ان تاتي بالرسالة التي كتبها حنة
وكان ايوب في غاية الفلق والاضطراب فبادرت مرنا واتت بالرسالة ونالته اياها
فحالمًا قراها تغيرت احواله وحس ان روحه تفارق بدنه فسقط غائباً عن الرشدا
ولما استفاق بعد المعالجة وسكن جاشه قليلاً قال له يعقوب في هذه الرسالة
يا ولدي فحوى الفصة وساخبرك بتفصيلها فعليك بالصبر والتسليم لقضاء الله هذه
هي احوال الحياة يوم فرح وسنة غم وانت اقوى مني على المصائب ومع ذلك
تراني صابراً على البلوى محتملاً مصيبتي بالشكر وانت في اول عرك فلا بد ان
الله يجبر صدع قلبك فجعل التي يتعجب ويتأوه ويندب سوء حظه ويرثي
حبيته وقد يش من هناء الحياة وطرح عن صدره وسام الشرف وعزم ان يعود

الى الزبي الفلاحى المنير

ولما كان المساء اخذا يتعدان بفعل ربيب الذئاب وشعبيان من احوال
فمن جهة يعلمان انه يقوم بكل الاعمال الحسنة التي تقتضيها الانسانية ومن جهة
اخرى يعمل عملا تشتهر منه النفوس الالية وجعلوا يتشاوران في طريقة القبض
عليه واعتقد انه باق في الحدة الزرقاء وان كان لم يظهر مدة طويلة
وثاني يوم صباحا توجه ابوب الى الحدة الزرقاء واخذ معه فرقة من
الجنود واوصاهم ان يكملوا عند وصولهم ويستنظروا امره
ونقدم هو حتى وصل الى قرب مغارة ربيب الذئاب فناداه بصوت
جهير تكرر ارا. وكان ربيب الذئاب مخبئاً في مغارته ولما سمع صوته ابوب ظهر
بلا تردد فاخذ يده ومضى حتى وصل الى مكان الكمين فصاح بهم فبرزوا
في الحال من مكمنهم وقبضوا على المسكين فاذعن بلا مقاومة كانه عرف ان
طاعته لصديقه ابوب واجبة وصار ينظر اليه نظر المتعجب الحزين فحركت
احساسات ابوب لكنه لم يطاوع تنبيه ضميره وامر الجنود ان يمضوا به الى السجن



الفصل الخامس عشر

مكاشفة

بعد اربعة ايام كان ابوب في غرفته وحده يكتب فدخلت عليه مرنا وقالت له تطلب منا بالنك ملكة المسسمية افنض متعجبا واراد ان يخرج واذا بملكه قد دخلت وحيته تحية الاصدقاء وخرجت مرنا واغلقت الباب وكانت هيئة ملكة تدل على اضطراب شديد فدعاها ابوب للجلوس فجلست وقالت له لا تعجب يا اخي من قدومي في هذه الحالة لان مسألة مهمة احوجني الى افاثك منفردا والمسألة متعلقة بريب الذئاب فتعجب ابوب من كلامها وقال لها ما لنا ولهذا الوحشي قبضنا عليه وهو الان مسجون غير انه لا يقع تحت طائلة العقاب فقالت علمت ذلك على اني اتيت لادافع عنه ولا يخفالك انه انقذني وانذ غيري من الهلاك وبتهونه بالجنابة وهو لا يستطيع ان يبرى نفسه فانيت بالنبانة عنه لاخبرك انه برى من كل ما يتهم به ولا يعلم حقيقة الامر احد غيري فاقول لك عن يقين انه لم يكن السبب في غرق حنة بل بالعكس انقذها من المعتدي عليها ولما طرحت نفسها في النهر غاص وراها فغلثته شدة السبل فزاد تعجب ابوب من هذا الحديث وقال لها ما سمعنا احدا يذكر شيئا من هذا المعنى

— نعم لانه لم يكن احدا موجودا في ذلك الوقت غير اني اعرف يقينا ان

حنة لم يصبها شيء من العار لكن الوهم غلب على عقلها فاهلكت نفسها
— هذا مما لا يخجل الصديق ورسالتها واضحة واثار اقدام ربيب الذئاب
في الجبينة تثبت جريرته

— والحال بالعكس فان حنة غشي عليها اشد الخوف قبل وصول ربيب
الذئاب اليها ولما استفاقت رات كلبها ميتاً وهذا الرجل في غرفتها فطبعاً يجب
ان نوجه تهمتها اليه وهو لا يستطيع ان يتكلم ليظهر الحقيقة وحيث ظننت انها
اغضببت صغرت نفسها واثرت الموت وكتبت الرسالة المذكورة

وكان السبب الحقيقي ان رجلاً كان يترصدها لكي يسببها فانها في ليلة
كثيرة البروق والرعود وهي منفردة في غرفتها وشباكها مفتوح فالتى سلماً على
الحائط وصعد عليها فنبع الكلب فخنة . وقامت حنة مذعورة وصارت تصيح
فاقبل ربيب الذئاب وهو كالحارس حول بينها وطردها الرجل الخبيث وقد
كاد يقتله . هذه هي واقعة الحال تماماً

— حديث غريب وامر عجيب . واسفاه عليك يا حنة . من ابن علمت

هذا يا سيدتي ملكة

— ربيب الذئاب نفسه اخبرني

— عجب فوق عجب وهو لا يستطيع ان يتكلم

— بالحركات والاشارات واربع كلمات وهي « حنة . لص . حنا . نهر »

وقد اوضح مراده باشاراته ففهمت معناه كان الحادثة جرت امامي

— فهل انت مقتنعة ببرائته

— نعم وانت ايضا يجب ان تصدق كلامي

— فلم يبق سبيل للارتياح لكن ماذا اعمل انا

— يجب ان نعود معه الى صداقتك الاولى

— يظهر انك تهتمين بامره كثيراً

فصبح النجل وجنتيها وكسرت جنفيها فقال ابوب بنفسه ما معنى هذا الحال

ثم قال لها كنت ظننت ان ربيب الذئاب مذنب لكني الان صدقت براءته
بناء على حديثك فكيف اكافئه عن صنيعه وهو في الحبس منهم بذنب لم
يقترفه

— يجب ان نصبر فان المولى الفلبي له اصحاب من اهل المقامات في
اينال وباريس فيسعى بتلطيف حاله وقد سررت باخذه من تلك الغابات
والنضل لك فلا يحسن ان يبقى هذا الرجل متوحشاً فسيعلمونه ويهدبونه ولي
الامل انه سيكون رجلاً معدوداً لانه طيب القلب كريم النفس مخلص الوداد
شديد الفطنة اديب الاخلاق وقد عرفته بالاخبار

فشعر ابوب من كلامها ان لها ميلاً خاصاً اليه وقال يظن من كلامك
ايتها السيدة انك تودين هذا الرجل . فتهضت ملكة مضطربة شاردة النظر
فقال لها ابوب لا تشكيري من كلامي فاني اردت ان اعلمك ان غيري اذا
سمع حديثك يظن غير شي .

— يظن اني احبه نعم احب هذا الرجل الوحشي وقد كنت هذا السر
العجيب الذي لا يزال يلقني ويعذبني عن كل البشر حتى امي ولم اكشفه الا لك
لانك شريف النفس كريم القلب تعرف قيمة المحبة وهو ايضا مغرم بي . يا للعار
يا للجنون . ليني لم اوجد شي لا يحتمل التصديق اما هكذا تعتقد لكن الامر
واقع وقد رثيت ايها الفتى لمصائبك فيجب ان تشاركني باحساساتي لاني نعيمة
غضضت الطرف عن عزة نفسي وحططت مقامي واسفطت احترامي . فهانت
عندي نفسي ووددت سلو رجل استغي من ذكره فلم يطاوعني فوادي وفارقته
مدة طويلة في اثناء الحرب على امل ان اسلوه فازداد بي الوجد وامي مشغولة
البال من جهتي ولا تنزال تسالني فلا اجيبها شي . ويعلم الله ما افاامي من
العذاب لارتكابتي خطية الكذب ومواريتي في الاعذار ومحاولاتي طلاقه الوجه
وقلبي يتفطر كدأ . ويل شديد ومصاب عظيم

وسكنت ودمعها يجري مدراراً وذهل ابوب من حالها واخناطت افكاره

ولم يكن بخاطر بالواقط ان فتاة مثل هذه لا يهتم بها تسلمه اسرار قلبها فقال لها
عجبا من هذا الحال اينها الصديقة العزيزة على اني اعتمد ان هذه الاحساسات
الرفيفة ليست الا نتيجة قلب شكور فانغضت مائة راسها وقالت كان علي ان
اكشف لك حقيقة ما يتعلق بمصلحتك وقد فعلت واستراح ضميري فنسمح لي
الان بالانصراف على رجا اللقا ثانية

— المذرة يا مولاتي لي سوال اخر هل يمكنك ان تذكر لي صاحب
تلك الجناية

— كلا يا اخي ربيب الذئاب وحده سيذكره متى تكلم اذا كان يعرفه
ثم مسحت دموعها وشارت بالوداع وخرجت وبقي ايوب متحيرا ذاهلا
وخطرت بالو حنة فصار ينوح عليها

الفصل السادس عشر



سر الشيخ العنزي

في احد الايام دخل فندق بلكور رجل بري فلاح وفي مجرى الحديث
الذي دار بينه وبين امرأة صاحب الفندق عرف مفر الشيخ العنزي وكان
قاصدا له خصوصا فتوجه اليه وجلس بمحدثه في كوخه وتطرق الحديث الى
ذكر الحادثة الهائلة التي جرت هناك منذ ثماني عشرة سنة فتعجب الشيخ العنزي

من سوالات هذا الفلاح المدققة لانه قال له ان الذي تعرفه انت من سر هذه الحادثة لا يعرفه احد غيرك ولا تردري لجرد روئي الفلاحية لاني رجل غني يقال لي القائد الجردوي وليس من شأنك في هذه الشيخوخة ان تعيش من التسول واني اقدر ان اكفيك احتياجانك مها كانت

فسأله العتري اية مصلحة لك في كشف هذا السر فقال له علمت انك تعرف الفتى ايوب فايون يعقوب وليان وتعرف خطيبته حنة ولك في معرفة ابويها وكيفية موتهما خبر اكيد وهذا الخبر يهني جداً وعليه نتوقف بقية حياتي وللحال جرى دمه وقال وهو منكسر النواد فان كنت ايها الشيخ العتري الموقر تحب ايوب وحنة وتحترم من له في مصطنعها اشد اهتمام فليس لك عذر في الامتناع عن مكاشفتي بسرك واعلم علم اليقين اني لك سند تركز اليوم ادمت حياً واعلم ان حنة التي يزعم الناس انها ماتت غرقاً قد يمكن ان تكون باقية بالحياة اذ ليس برهان يثبت غرقها

فتاثر الشيخ العتري من هذا الحديث وراى ان هيئة الرجل ليست هيئة الفلاحين والذي لين اخلاقه ما جرى من اعين هذا الغريب من الدموع فقال له كفى كفى يا اخي لم يلجئي الى كشف سري شيء ما ذكرت الارقه احساساتك وجري دموعك . فاجلس بجاني لكي احديثك بما رايت وعلمت

وشرع يحدثة بكيفية معرى الحادثة بحسب ما ظهر منها وانه حاول كثيراً الوقوف على اسباب هذا الاعدام وبعد ابحات طويلة علم ان حارس النصر المجهور في نواحي بلنكور يعرف شيئاً من الاسرار المتعلقة بهذه الحادثة فنقصده عدة مرار واظهر له كل انس وملاطفة وهو يستخدم كل الوسائل لكشف السر المذكور فلم ينف اولاً على الحقيقة لكن مع كروار الايام وزيادة العلاقة بينه وبين الحارس المذكور حدث ان هذا الحارس اناه زائراً في احد الايام . وكان قد تقدم في الشيخوخة ومن طبعه ان يحب المسكرات فقدم له شيئاً مما عنده واطال معه الحديث ثم شعر الرجل تلاشي قواه وانحطاط عزمه فاراد الشيخ

العتري ان بدعولة الطبيب فلم يقبل الحارس وقال له قد علمت ان حياتي بلغت حدها وانت صاحبي الاعز فقبل ان افارق الدنيا اريد ان اطعمك على سر لا يعرفه احد غيري

قال فجلست بجانبه واصغيت كل الاصغاء وقد علمت انه يكشف لي ذلك السر الذي طالما حاولت الوقوف عليه فجعل يقص علي الخبر بهذا الكلام «لاتظن اني اقص عليك الان حكايتي من اولها الى اخرها لانه جرى لي في حياتي امور كثيرة لا احب ان اذكرها ومع ذلك فلكي اسليك اجمع لك كل هذه ببارات وجيزة اخبرك بها الحفنة وان كانت قصتي هذه شبيهة بالحكايات »

« منذ عشر سنوات كنت في باريس وكدت اهلك من الفاقة ففي ذات يوم اتاني صاحب لي وقال ايها الشيخ لك شهرة بين اهل الشهرة وقد سمع بك الرئيس الاكبر الاستاذ الذي لا يعرف اسمه ولا يراه احد فانيت من قبل » وكيه اسالك هل تحب ان تكون حارس قصر فقلت نعم فاناني الرجل ثاني « يوم وجاءني الى قصر وقال لي هوذا مقرك . الفراش حسن وعندك خزانة لامتع بك وكريسان للجلوس . والامر الذي يلقي اليك واحد بسيط ان » تباكم . لاتنطق بكلمة ولو ضربوا عنقك

« فنقل علي هذا الامر لكي اذعنبت صابراً ثم اعطاني هذا الرجل مئتي « فرنك ورحل . وكانت بيدي مفاتيح القصر كلها فاول شيء علمته اني « تنفذت جميع مقاصيره ومخادعه فوجدته يكاد يتهدم من كرور الايام « والعفن مائي النجاسة وليس فيه شيء من الاثاث غير اني وجدت في بعض « اطرافه غرفتين متلاصقتين مؤثنتين في كل منهما سرير حسن الشكل « وكراسي وخزانة وطاوله امامها مرآة لتكيف الملابس . فقلت في نفسي لا باس « فلا اكون وحدي بل يكون عندي رفيقان

« ثم دخلت المطبخ فوجدت فيه الادوات اللازمة وتنفذت الاقبية

« فوجدتها فارغة الا ان قبوا واحداً كان مفقداً وفيه كانت ذخيرة الخمر
« وليس معي مفتاحه

« وبعد خمسة ايام رجع الي ذلك الرجل في جوف الليل وقال لي
« تيقظ في هذه الليلة ياتيك شخصان يصحبهما ثالث شديد الباس فاحذر
« الفضول . فقلت له اهو الاستاذ ام الوكيل فقال اما علمت ان الاستاذ
« لا يراه احد ولا يذهب الى مكان فلعل القادم احد وكلاؤي فسالته عن اسم
« فقال ان وكلا الاستاذ لا يعرف لم اسم فحذار حذار من الفضول واذا لم
« تؤمر بان تسمع وترى فلا تحاول ان تسمع او ترى والسلام

« فبعد نصف الليل بساعتين في ليلة حالكة الادم هائلة الحال كان
« ابليس قام لعناصرها زعيماً . ربحها زعزع نفع قرون الثيران طرق الباب
« ودخلت امرأتان احدهما شديدة فيها بقية من الجمال فعلمت انها آتية للخدمة
« الاخرى وكانت الثانية فتية دقيقة الاعضاء رشيفة القد بارزة النهد
« صفراء الوجه شاردة النظر بدیعة الهیئة عجيبة بين بنات جنسها لكن عليها
« اثار السم والرجل الذي يصحبها اقبح مني سمحة على قبح سمحتي كانه الجاحظ
« ممثلاً لمخيلتي فنظر الي بعينين صغيرتين مدورتين حادتين كبيني النسر .
« فخنقت مع اني جلود على مشاهدة الاحوال

« مالا ولهذا الوصف فلما ادخلت المرأتين غرفتيهما اتاني ذلك الرجل
« الخفيف وقال لي علمت انك رجل كنوم الاسرار لا تبوح بسر اذا كان
« لك ارادة حتمية ولو خرت الخناجر صدرك وقد جربناك وعرفناك من
« زمان طويل ولذلك اخترناك ان تكون هنا حارساً لهذا النصر لا تدع
« احدا من البشر يدخل فتكون كالكلب الامين باسطاً ذراعيه بالوصيد
« وان كان ذلك الكلب لا يتهش فكيف انت ذئباً او نمراً كاسراً او نموها
« وقد علمت انك تحب المسكرات ولا تروى نفسك وهي مزية موافقة
« لمركزك لانك اذا سكرت تزداد شراسة ولا يكون حد لعربدتك . فاشرب

« كلما شئت واسكر ما استطعت ولا تخش قلة النفقة لكني احذرك من
 « امر وهو ان الهوة الحفيرة في خدمتنا تحسب خيانة ونعدها من الكبائر
 « فاذا سقطت منك بادرة واحدة او غفلت عن خطتك دقيقة واحدة فلا
 « ترى نفسك الا منشطاً بدمك . ولكن اذا حافظت على اللئمان النام
 « يكون جزاؤك بعد انقضاء المصلحة عشرة الاف فرنك . ثم اني في كفي
 « بضعة دنابير ومضى مع رفيقي الاول في مركبة معدة لها . فعلمت انها
 « يقصدان الاسترخاء وفي الغد تخفت ان تلك الصبية اسيرة لها وان ما بذل لي
 « من الجزاء كان لناء السجاة . وبعد مدة عرفت ان المسكينة مجنونة وانها حامل
 « وقرينة الولادة »

فعند ذلك صاح النائد الجردى صيحة مخنوق واربد وجهه وانقلبت سحنته
 كأنه في نزع الموت فدهش الشيخ العتري من ذلك وقال سيدي سيدي ما
 اصابك فاستجمع الجردى رشده في الحال واتبه لمركزه وقال امرٌ عرضي ايها
 الشيخ تنج عن هول قصتك

وكان هذا الرجل الجردى عجيباً في كظم احساساته وفي دققة واحدة رجع
 الى سكنته ووقاره فقال له العتري اذا كان حديثي يزجك فاني اقطعك .
 فبرقت عينها الجردى وقال لالا ولو مت جزعاً ثم حديثك ولا تنص حرفاً
 واحداً ولا تلبس حنيفة بمجاز

وعند ذلك عاد الشيخ العتري الى هذا الحديث الذي يحكيه عن لسان
 حارس النصر فقال

« ففى ذات ليلة ولدت المرأة المجنونة طفلاً ذكراً متركن البنية وكانت
 « قابلتها حارستها المار ذكرها ولم تشا ان تطلع احدًا على هذه الولادة وبعد
 « ولادته بنقيل العدوه عن امه وفي طبعها لا تعرف حنيفة ما جرى

« وكنت قد اوصيت قبل ذلك العهد باتباع عتر بيضاء فاشتريتها
 « واطقتها في الحديقة وكنت كل يوم احلبها صباحاً ومساءً فلما ولد الولد صرت

« ارضعة منها فنشأ ولم يعرف غيرها ولما قوي على المشي كان يتبعها في الحديقة »
 « ويرضعها من نفسه فاذا غاب عنها كانت تسعى وراءه وتدعوه بصوتها وتحنو عليه كأنه ولدها »

« فعجبت من هذا الصنيع الغريب كيف يعذبون هذه المرأة ويدعون »
 « ولدها حياً وكنت اظن ان يامروني يوماً ما ان اخذ الولد في كيس والقيه في النهر ساعة فيضه لكن لم يكن شي من ذلك افرابت يا شيخ ان الكصوص انفسهم »
 « يهاون قتل البشر ولا سيما حين لا تكون لهم منفعة عظيمة »

« ومضت عدة سنوات من دون ان ارى ذلك الرجل المائل المنظر »
 « الا مرة واحدة واما رفيقي ذاك فلم تقع عليه عيني قط . ففي ذات ليلة كثيرة »
 « المواسف اقبل الي ذلك الرجل وقال قبل نصف الليل بنصف ساعة تاخذ »
 « الثانوس وتقف امام سور الحديقة على مئة خطوة من الباب الى جهة النهر »
 « وتلبث في مكانك بلا حركة فحالماتسمع صراخاً تطلقه الثانوس وتدخل مترك »
 « اياك ان تخل بشي واوصيك خصوصاً ان لا تسكر هذه الليلة . ثم تركني ومضى »
 « ففعلت ما امرني به وثاني يوم سمعت انهم وجدوا على ضفة النهر تحت »
 « المطحنة رجلاً غريباً ففعلت ان صاحبي فعل ذلك وتعبت غاية التعب اذ لم »
 « اعرف لذلك سبباً الا ان يكون وجوده ثقيلاً على احد »

« وبعد زمان قصير اتاني الرجل المهود مساءً في مركبة وطلب ان اسلمه »
 « المراتين وان انفي الولد في الحديقة مع العندوان احافظ عليه وارقبه لئلا يهرب »
 « وكنت لا اكلمه ولا ادعه براني بل التي لك كل يوم كسرة خبز في مكان مخصوص »
 « لانه كان اذا راني يخاف ويهرب »

« وبعد ساعة اخذ المراتين وما علمت اين مضى بها ولا سمعت عنها »

خبراً

« وبقيت في مركري محافظاً على الصمت التام حسب الامر وكان الولد »
 « ينمو وينمو وهو كأشد الناس اقوام على احتمال عواكب الطبيعة ولما »

« ترعزع واشتد ساعده أمرت ان اسجنه في حظيرة ضيقة عالية الجدار حتى لا يتمكن من الفرار . وكان المسكين دمث الاخلاق لين العريكة مها اطعمته »
 « يرضى به من خبز وبطاطة وورق ملفوف وجزر وغير ذلك من البقول »
 « والتاركة لم يذق اللحم ولا عرف من الاشربة غير الماء وكان يزداد نشاطاً »
 « وعافية مع الايام »

« وبعد ثلاث سنوات من ذهاب الرجل بالمراتين اتى اليّ يوماً ومعه رجل اخر لا اعرفه وطلب اليّ ان اسلمه الولد لكن ابني مقبها بضعة اشهر في ذلك الفصر لاسباب معلومة عنده غير انه اذن لي ان اصحبه مع الولد فدخلنا »
 « الحظيرة وقبضنا على الولد فشد الرجل اطرافه بالحبال وكبها فاه لئلا يصيح »
 « ثم ركبنا المركبة وبعد مسير ساعة نزع الكمام لكنه لم يحل الوثاق واستمرت »
 « المركبة جارية نحو خمس ساعات الى ان لاح الفجر وقد دخلنا غابة كبيرة »
 « فوقفنا المركبة بامر الرجل وخرج منها ثم جرت بنا نحو ربع ساعة »
 « واذا بمركبة اخرى قادمة نحونا فوقفنا المركبتان وخرج من تلك رجل »
 « وامرأة واقبلنا اليها فقالا لها رفيقي هوذا الشخص الذي اعلمتكما به وأشار اليّ »
 « فقال الرجل الاخروا بين الغلام فاخرجه من المركبة وسلمه اليه ونحدثنا سرا »
 « لكنني سمعت الرجل الغريب يقول هذا اكثر من الذهب وقالت المرأة فلذلك »
 « يحب ان نضاعف مخلات المشهد . فعلمت انها من المشعوذين وقصدها »
 « عرض الولد للفرجة ثم اخرج الرجل الغريب صرة من الدناير وسلمني اياها »
 « بامر رفيقي ثم قال للغريب نحن على الشرطان تمضي بوا الى جنوب البلاد »
 « ولا تظهر في الشرق الا بعد سنين »

« وعند ذلك نقل الى تلك المركبة ورجعنا في طريقنا الى ان بلغنا »
 « المكان الذي مكث فيه صاحبنا الخبيث فقال لي ها قد نلت الف فرنك »
 « فنرجع الان الى بلكور وتنظر الى ان نرسل اليك بقية المبلغ وبعد اربعة »
 « اشهر على الاكثر اعود اليك ثم دخل المركبة هو والرجل الاخرو سارت بهما . »

« فرجعت انا ماشياً ودخلت بلكور ولولا كثرة السؤال اضللت في ذلك البر
 « لكن ماذا اقول لك يا شيخ من ذلك الوقت انقطع عني كل امداد وكل
 « خبر من جهة الرجل وانتظرت اربعة اشهر فلم يات ولا ازال انتظر ورود
 « نعمة المبلغ ابي تسعة الاف فرنك وقد انقمت ذلك الالف بعد تغيير شديد ولم
 « يبق معي الا خمسة عشر فرنكا فتاخذها من جيبى لتجهز بها جنازتي وتدفيني »
 قال الشيخ العتري فهذا هو باسيدي حديث الحارس السري قد اطلعك
 عليه والظاهر ان الرجل الذي طرح في النهر كان قد عرف ان المرأة المجنونة
 ولدها اسيران في هذا النصر فخاف اولئك اللصوص ان يكشف امرهم فنصبوا
 له شرك الهلاك ويلوح لي ان الحكومة لو كانت عالمة بهذه الحوادث لكات
 اكتشفت عدة امور مهمة

وبعد سكوت مستطيل والفائد المجرد ي تذكر هذه الحوادث
 الهائلة الغريبة ويجاول ان يملك نفسه حتى لا يظهر تأثيره الشديد للشيخ العتري
 وقال له اخبرني ايها الشيخ هل علمت ان المشعوذين قدموا بلاد فوجة قال نعم
 وكان معهم الغلام وقد شب وكانوا يطوفون به في المدن والقرى فيبرجون
 مبالغ وافرة ولا سيما في ايام المواسم
 — فهل رايته انت

- لا ولكن كثيرين من اهل هذه النواحي رأوه
- او لم يشعر احد من اهل بلكور بما جرى في النصر
- كلا لان اولئك الاشقياء اتخذوا اشد الاحنياطات لكم هذا السر
- او لست تعرف شيئاً من اخبار تلك المجنونة
- لا انا عرفت ولا الحارس نفسه كما اخبرتك
- وهؤلاء المشعوذون ابن هم الان
- لم يظهروا في كل البلاد قبل فتوح الحرب بمدة طويلة حتى الان
- لكن لا بد ان اتبع اثارهم واجدهم

— وما مرادك منهم ان كان لوجود الرجل الوحشي فانه قد فرّ منهم في
حين غفلة فبحثوا عنه كثيراً وبعد حين ظهر في غابة ماريل انسان وحشي
— عجباً عجباً كيف ذاك

— الم يخبرك بو ايوب فليوب يعقوب الويلاني فانه ادرى مني بنفسه وان
ثبت فانا احدثك بما اعرف

وجعل يقص عليه خبر انسان الغاب (وهو نفس ذلك الولد الذي اخذه
المشعوذون على ما مر) وذكر له لماذا اقبه الناس برييب الذئاب وقد ذكرنا
هذه الحكاية في محلها

— او باقى هو حتى الان في الحدة الزرقاء

— لا لان الجنود قبضوا عليه واودعوه السجن

— ولبهم ولاي سبب

— لسبب النهمة التي وقعت عليه واعلمك عرفت بها

— عرفت نعم ولكنه بري منها

— كيف يكون برياً وحنة نفسها كتبت بواقعة الحال الى يعقوب وليان

— ويلاه . ويلاه . ما هذه المصائب ما هذه الفظائع

فقال الشيخ العنزى في نفسه ما هذا الرجل العجيب الشان ليتني اعرف

بماذا يفكر واي مصلحة له بما اخبرته ليتني اعرف من اين هو ولينه يجيبني اذا
سالته

وبعد تفكر طويل نهض القائد الجردي ونالغ في شكر الشيخ العنزى

على اقراره واعطاه قصه من الدنانير ووعده المواعيد الحسنة وانصرف

الفضل السابع عشر

التقاء الصديقين

بعد يومين ظهر الفائد المجردي بزي مقدي الثرويين ودخل ماربل وسال
عن بيت يعنوب وليان ووصل وقرع الباب فظهرت له مرثا فسالها عن ايوب
فقال هو هنا قال اخبريه ان الفائد المجردي يريد مقابلته والتعرف به رايه
فصاحت مرثا طرباً قائلة انت هو انت هو يا سيدي سيدان في لفائك اشد
سرور اكثر من عشرين مرة يتحدثان عنك في النهار تعال يا سيدي تعال ها
في الجنيئة ثم ركضت لتسبقه واخبرت مولاه فبادر اليه ايوب كالسهم والتي نفسها
بين ذراعيه وقال

مرحباً أهلاً وسهلاً مرحباً	باؤلي الفضل الكرام النجيا
قد نأت عني كروب طالما	اضرمت في ضين قلبي اللها
كيف انسى طول دهري فضلكم	وفي بغي مدحك ما تعبنا
كنتم عوفي بضيفي وكذا	بكم اني علوت الربنا
فاسلموا من كل شرٍ كلما	صاح طبرٌ فوق غصن طربا

ثم اقبل الشيخ يعنوب فحياه واظهر له خلوص الصداقة فقال المجردي قد
علمت يا اخي ما وقع عليك من المصائب لكن اعلم ايضاً ان مصائب اكبر منها
وقعت على غيرك

ثم دخلوا البيت وجعلوا يتعدون واخبراً قام يعقوب وخرج محتجاً ببعض
شغل في البلدة لكن الصبح انه قصد ان يحل لها المكان لعل بينهما حديثاً سرّياً
فقال المجردي لايوب قد علمت يا صديقي كل ما جرى قبل مجيئي الى هنا
فشعرت بثقل مصابك فقال نعم مصابي ثقل جداً ولا تزول احزاني الا اني
احاول كتمانها امام هذا الشيخ الفاني لكي لا افزع جراحات قلبه ولم يبق لي سبيل
الى الهناء في حياتي . لمن اسعى ولن اجني وما ينفعني الغنى وقد تهدم ركن امالي
بفقد التي كنت لاجلها احب الحياة فقد خاب الرجاء وسقط عزمي

— بالغت في الشكوى يا ايوب ولكن هك ليس شيئاً بالنسبة الى هومي
ومع ذلك تراني متجلاً ولا اياأس من رحمة الله

— اما انا فلو كان لي اقل رجاء لصبرت نظيرك

— فاصبر اذ لان باب الامل مفتوح

— كيف وقد مانت

— لا تقطع الرجاء ثابر على الصبر والان احب ان استفيد منك شيئاً

فقد بلغني ان حنة قبل ان طرحت نفسها في النهر كتبت رسالة التمت بها النهمة
على ربيب الذئاب وانك كنت تحبها وكان يجبك حباً صادقاً

— صحيح كل ما ذكرت

— افظن يا ايوب ان هذا المنكود المحظ غير ربي من هاتيك النهمة

— لا اعتمد هذا لان اضطراب حنة او هها غير الحقيقة ولم يكن ربيب

الذئاب هو الجاني بل اتفادها من ذلك المئدي الخبيث الذي بقي اسمه مكتوماً
وحالما خرجت الى جهة النهر تاثرها ولما الفت نفسها في الماء غاص وراها
واجتهد ان يخلصها فلم يقدر وانما فعلت ذلك لتوهها سقوط شرفها والحق انها
لم تمس باذى من هذا الثيل

— كيف عرفت هذا يا ايوب

— عرفته من فتاة اوقفها ربيب الذئاب نفسه على جلوة الخبر بارب كلمات

واشارات مختلفة

— فلماذا لا تخبر بذلك الحكومة وتظهر براءة هذا الرجل
 — هذه الفتاة تحب ربيب الذئاب وهي تنتظر نقلات الاحوال
 — فهذا داعٍ اكبر للمدافعة عن حقوقه ولكن لابد من سبب اخر سري
 يلجئها الى السكوت فمن اللزوم ان تجبر على الاقرار فمن هي هذه الفتاة
 — كيف يجوز لي ان اصرح باسمها بعد ان ائتمنتني على اسرار قلبها
 — ان كانت قد طلبت اليك كتم اسمها فلا بأس واما انا فلست ممن
 ييوحون بالاسرار فقل ولا تخف

— هي ملكة السمسمية

فوثب الرجل واقفاً على قدميه وقد تغيرت ألوانه وطار الشرر من عينيه
 وقال يا للعجب يا للعجب ملكة السمسمية فهمت ابوب من حاله وسكن الجردى
 جاشه وجلس كما كان وقال قد فهمت الان ما يمنع ملكة من كشف السر واعلم
 يا ابوب اني شديد الاهتمام بهذا الرجل المزدول من الناس ولذلك سبب
 خفي سوف نعلمه

وحينئذٍ دخل بغيوب ودعاها للعشاء وناموا تلك الليلة باكرًا لان الفائد
 الجردى كان قد اضناه التعب ومنذ ايام لم يذق طيب الرقاد فقام صباحاً
 نشيطاً مجدد النوى وبعد الغداء مضى مع ابوب يتشيان في البرية الى ان بلغا
 ضفة النهر فنذكر ابوب غرق حنة هناك ففاضت دموعه وصار يتعجب وذكر
 الجردى ايضاً تلك الساعة التي انقضت فيها بطريقة عجيبة فيكي لبكا ابوب ثم
 قال له تعال بعد عن هذا المكان الذي مجدد احزاننا وامضِ بى الى كهف
 ربيب الذئاب في الحديقة الزرقاء اذا كنت تعرفه

فتندما وجعل ابوب يقص عليه اخبار ربيب الذئاب الدالة على شهادته
 ومروءته ولا سيما مدة الحرب والفائد الجردى ينتهج بهذه المناقب ويبض
 السرور على وجهه

ولما بلغا المغارة دخلا ليشاهداناره فاشعل ايوب كمية من الحشيش
البابس لاجل الاستنارة فصار الفائد الجردى يتفرس في كل ما يراه من تلك
الاثار واخصها ما بقي من ذخيرة ربيب الذئاب للفوت الشنوي كالثمار اليابسة
والجفنة وغيرها فتهد تنهدا شديدا وفاض الدمع من عينيه وقال وهو يجهد
مسكين مسكين ما اتعس حياته فتعجب ايوب وقال في نفسه ما هذه الاحساسات
احساسات ميل بسيط لمجرد المنفعة فلا بد لها من سبب اخر

وفي الحال قال له الجردى تعال نخرج من هذا المكان المولم فخرجوا وتمشيا
الى ان قربا من النهر وفي اثنا الطريق قال الجردى لايوب ماذا يقول اهل
هذه النواحي عن البارونة السمسرية قال كل حديث طيب لانها وابنتها ملاكا
صلاح وخير

— وهل للبارونة ابن

— نعم ولكن فلما يعرفونه هنا لا باقي الا ثلاث او اربع مرات في السنة

— وما حال زوجها البارون

— لا يأتي الى هنا مطلقا

— فالظاهر ان بينها مقاطعة

— هكذا يستدل

— افلا نظن يا ايوب ان البارونة رأت زوجها منذ سنين

— لا اعرف شيئا من هذا القليل والذي اعرفه انها نادرة الخروج من

قصرها فلا تخرج الا ازيارة صديق لها اسمه المولى الفايي او لاغراض اخرى

خصوصية

— يقال ان حياة هذه المرأة نعيسة وهموما متواصلة

— وهو الصمغ

— فكيف يكون حال اسننها القتية في هذه الحالة

— ذكرت لي انها منكودة الحظ على انها بارعة في الجمال واللفظ

— فبناءً على ذلك يحتمل أنها فتنت ربيب الذئاب بحسنها
ثم انقطع الحديث بينهما وغاص الجردى في لجة التفكير

الفصل الثامن عشر

—

انقاذ ربيب الذئاب من السجن

لم تمض أيام طويلة حتى كان الفائت الجردى في مدينة اينال يسعى في
اتمام مفاصده وكان جل مراميه أولاً انقاذ ربيب الذئاب من السجن فاتخذ
التدابير اللازمة واستعان باصحاب النفوذ من رجال الحكومة واتصل بواسطته
ذلك الى وزير العدلية وطلب مقابلة فاذن له وكانت رسائل التوصية قد بلغت
فلما قابلته فتح له حديث ربيب الذئاب واستخبره عن احواله في السجن فقال
له منذ اول دخوله صدر الامر بعدم التشديد عليه ومع ذلك كان في انحطاط
صحة بين حتى حكم الطبيب انه لا يعيش مدة طويلة وذلك لانه لا يزال حزبياً
كاسف البال لا ينطق بكلمة ولا يمش دقيقة يبكي في اكثر الاحيان وهو جالس
في زاوية حبه وإذا خرج الى روضة السجن يتمشي يتمشي الوهان او الخبول فلا
تطيب له نزهة ولا يستقر على حال وفي يومين في اول امره لا يذوق طعاماً
ثم اضطره الجوع الى تناول كسرة من الخبز وكأس ماء وكانوا كل يوم يقدمون
له اطعمة مختلفة فلا يأكل الا ما يسد الرق من الخبز والبطاطة او الحبوب

الناشئة او بعض البقول ويعود الى كاتبه وتاملاته المحزنة فلا يدري احد ما به ولا يعرف ان يشكو امره ولو عرف لما اراد لانهم لا طفوه كثيراً وتلفوه كثيراً وكلموه بانواع الاساليب فلم يتغير عن حاله ولا نطق بحرف الا انه كان يتنهد ونارة بين او يتخشب كالطفل

ومع ما ينسب اليه من التوحش تراه مستكيناً هادياً وديعاً لين العريكة يتناد بخيط العنكبوت ولا يدي ضجراً ولا تنوراً وقد ارسلنا اليه معلماً حاول كثيراً ان يغير افكاره ويعلمه القراءة والتكلم فحط مسعاه فاحترنا في الامر وما نعرف كيف تدبر معه ولا يبعد انه يموت بعد ثلاثة اشهر على ما راى الطبيب وايس من سبيل الى اطلاق سبيله لانه محكوم عليه بموجب تهمة توجب الحذر

فكان الفائد الجردى يسمع هذا الكلام واحشائه تنقطع كمداً وقلبه ينظر رافة ولكنه يحافظ على التجلد والكظم فالتفت الى الوزير وقال له يا مولاي ان حاله هذا الرجل تستوجب الالتفات اليه والعطف عليه ولم يحصل في هذه الحالة الا لانه اسير وهو كما تعلم متعود الحرية في عرض البر وغياض الغابات وكهوف الجبال والهوا اللطيف والتنفل من مكان الى مكان فكيف يفوى دفعة واحدة على عذاب الاسر ومهما كان سجنه واسعاً ورضته فسيحة فهي ليست شيئاً بالنسبة الى البر

واما من جهة التهمة التي وقعت عليه فقد علمت يقيناً انه بريء منها بل كان هو المنتد الوحيد لتلك الفتاة من مقتضياتها والدلائل على راءيه وسلامة نيته وسداجة قلبه كثيرة لا تؤمن بانته يرتكب مثل هذه الذنوب وقد شهدت له الناس في عدة اعمال حسنة تدل على شهامته ومروته وعلى الخصوص في مدة الحرب واما البراهين التي تطلبها الحكومة رسمياً فانها ستظهر حينما يصير قادراً على التكلم وهذا لا يصعب بل لا بد من الوصول اليه اذا تم لي المسعى الذي اسعاه

فغاية المراد الان ان تسع ايها الوزير باطلاق سبيله وانا الكفيل في كل ما يتعلق به ولا يصح ان يتخذ له من التدابير لكي يصير كما نرجو الا ما دبرته انا وذلك اني استاجرت لاجله داراً كبيرة مخوفة بمجدبة فسيحة جداً وهناك اقيم له معلماً اخناره بنفسه وطبيباً وخدمته مختارونهم انتم اذا شئتم واما النفقات فعلي القيام بها مهما كان مقدارها ويستطيع ارباب الحكومة ان يدخلوا الدار ويشاهدوه كلما ارادوا وكون انا المسئول في كل ما يطلب منه وبموجب ذلك قد اتيت بعريضة لنقدم الى المجلس العالي اتس فيها صدور الامر بتسليمه الي

فكان هذا الكلام كافياً لاقتناع الوزير بصحة فاجابه الى ما طلب وبالتماس منه امره بتذكره تاذن بدخول السجن لا فتقاد ريب الذئاب

فقام القائد الجري ومضى الى بيته وقال لعلامه اندريا قد صح ما رجوت ونجح المسعى فاستاجر البيت في هذا اليوم ثم تذهب الى الفراش وتامره ان يشرع في العمل ويشغل ليلاً ونهاراً ويستعين بغيره حتى لا تمضي ثلاثة ايام الا والدار كاملة الاثاث والترتيب وليكن العمل طبق اللاتحة التي اعطيتك اياها بلا تعبير شيء ولا تنقص او زيادة شيء وليعتن خاصة بتزيين مقام السيدتين

ثم تغدي وقصد السجن فتلناه الحراس باكرام نام ومشي امامه واحد منهم الى المكان الذي فيه ريب الذئاب ففتح الباب وقال انظر يا سيدي هذا وضعه وهذه هيئته دائماً فلما يغير جلسته مرة او مرتين في النهار

وكان ريب الذئاب محفوقاً راسه بين يديه مطرقاً الى الارض ولم ينتبه لدخول الرجلين وتقدم الجردى ووضع يده على كتفه ورفع راسه بهدو ونظر للحال برقت عيناه ونهض على قدميه وظهر علامات الارتباك وتعبرت هيئته وصاح قائلاً « حنة . حنة » فقال الجردى بنفسه وهو لا يكاد يملك دموعه قد عرفني ثم قال له « ملكة . ملكة » فارتعش ريب الذئاب ونظر الى جهة الباب نظراً حاداً كأنه ظن انها هناك ثم علم ان رجاءه خاب فأَنَّ انه شديدة واطرق

برأسه الى الارض فجعل الجردى يتأمل فيه تاملاً مدققاً وأشار الى الحارس
بالانصراف وبقي ربيب الذئب جامداً في مكانه لا تظهر منه حركة الا بعض
ارتعاش في بدنه وارتفاع صدره بالتهند

وكانت احواله الخارجية قد تغيرت فلم يبقَ منظره وحشياً كما كان وكانوا
قد قصوا شعره وحلقوا الحية فظهرت له ملامح جليلة وهيئة وداعة تامة لكن لم تكن
عليه امارات الضعف مع نحول بدنه وكانوا قد البسوه حلة كاملة بسيطة حتى
الحذائين

وبعد ان ناماه الجردى برهة ناداه باسمه ورفع رأسه فقال الجردى هل
عرفتني فاجاب بقوله « حنة . حنة »

— ان حنة هذه التي شاركتك في تحليلصها من الماء سترها انشا الله فتسكر
فضلك فقل لي هل تشتهي ان ترى ملكة ايضاً
— ملكة

— سترها ملكة . انا اعدك بذلك

فنظر اليه ربيب الذئب مناملاً كأنه يريد ان يفهم شيئاً من دخليته فقال
الجردى بنفسه يا للجور على المسكين . ومد اليه يده فاخذها بلطف وقبلها فقال
الجردى ويلاه قد انكسر قلبي الى متى

ونظر الى الباب فلم يرَ أحداً ففتح ذراعيه وقال له تعال تعال ففهم حنا
اشارته وابتعدت اسرته واتى نفسه على صدره فقبله الجردى في جبينه فيكب حنا
واجفش الجردى ولم يرد ان يعلم انتخابه ثم قال له قريباً يا صاحبي قريباً وخرج
بسرعة

وهو لا يستطيع ضبط تنهده وبكائه فاخذ يمشي في الطرق الخالية ليفرج
قلبه في الكناجوت لا يشعر احد باخنياط بواطنه وبعد ساعتين دخل المدينة
وقد سكن جاشه وعاد الى سكنته ففضى بعض مصاحبه ودخل منزله فوجد رسالة
برقية من الوزير يخبره بها ان المجلس قبل طلبه واذن باطلاق ربيب الذئب

وتسليمه اليو فطاب قلبه وعرف اندريا سروره فهنا بالنجاح فقال قد انتقم
باب الرجا وسادرك باذن الله الغاية
وبعد ان نعى احبي ليله بكتابة رسائل مختلفة

الفصل التاسع عشر

ملكة وراعول

وفي صباح ذات يوم اقبل راعول الى النصر الوفور وعليه سيماء السرور
وكانه نسي تلك الحادثة الهائلة التي سعى بها وما كان قصده في زيارة امه الا
ان يلا كيسة حسب العادة

فاستقبلته البارونة بمجنوها المعبود واما اخنة ملكة فظهرت فتورا غريبا
حتى انها لم تشا ان يقبلها فتعجب من حالها ولكن لم يبكته ضميره وتعجبت البارونة
ايضا من قلة اكرامات ملكة باخيها وعزمت ان تسالها عن السبب

وكان راعول بعد ان اجري ذلك العمل الفظيع في قلق شديد من تبيكت
ضميره فلما عزم ابوه على الرحيل الى ايطاليا مدة الحرب صوب رايته والحق عليه
بالسرعة لانه ظن ان تلك الحادثة تعقب اضطرابا عظيما وخشي ان يكشف امره
لكن لما علم ان حنة طرحت نفسها في النهر بعد ان كتبت رسالتها التي توذن
بالقاء التهمة على ربيب الذئاب اطمأن قلبه وزالت مخاوفه وشعر براحة ضميره فان

حنة لم تعرفه فقد ساعدته التفادير لابقاء امره مكتوماً والذي رجع فكره بزيادة
ان ربيب الذئاب لا يقدر ان يتكلم وانه هو الذي يقع تحت المحاكمة فما اهمه ان
يقع البري بجيرة السقيم وبناء على ذلك عاد الى تلك النواحي مطمئن القلب
شامخ الانف مفتخراً بعزه على سابق عاداته

وبعد الظهر كانت البارونة مشغولة مع احد وكلاء ارزاقها فدعت ملكة
باخيها الى منصورتها واغلقت الباب . ولما جلسا قال لها اخبريني يا اختي ما
سبب هذا الثور في لقائي فقلت شعرت اذاً بذلك

— ما عودتني ان اراك قاسية . والموانسة جميلة بين الاخ واخوته فهل تحذرين
عليّ شيئاً لاني لم اكتب اليك وانا في ايطاليا على اني ما كنت اعرف اين انت
وامي والا فاذا علمت ما يستوجب نفورك

— لا شيء

— فتقصدين الشر ولعلك مغتاضة من شيء فلهنيت غيليك بخذلي

— طلعت اليك ان تاتي منصورتني لاسلمك شيئاً

— ماذا

فسمعت جراراً ومدت يدها واخرجت صرة وفتحتها واظهرت لراعول
الجزدان والحاتم اللذين اعطاها اياها ربيب الذئاب وقالت له اعرف هذين

— نعم جرداني وخاتي نسيتهما هنا في السنة الماضية

— يا للعجب انقول نسيتهما

— نعم نسيتهما في غرفتي

— أنت متأكد ذلك

— لا ولعلي اضعتهما في الحديقة

— او خارج الحديقة

— نعم افانت وجدتها

— لا

- فن اذا

- ربيب الذئب .

فارتجف راعول وتغيرت الوانه وقال وهو يضطرب ابن وجدها

- ستعرف اذا ذكرت ابن اضعتهما

- لا ادري اين

- يعني لك ان نقول ذلك وانت تعلم على اني انني نجاهلك واقول

لك فندتهما في ماريل في غرفة فتاة طاهرة نقية لا بدنو منها احد من له عزة
نفس

فاهتز بدن راعول وامتنع لونه فقالت ملكة اعلمت الان لماذا اظهرت
لك النفور يا ردي يا خبيث كيف تعمل هذا العمل الفظيع وانت اخي وامك
مشهورة بالفضائل على ان المسكينة لا تعلم شيئاً فقد تجلدت على كتم هذا السر
الهائل عنها ولو علمت باقل اشارة لهلك جزءاً

فحاول راعول الانكار فنظرت اليه ملكة نظراً مريباً وقالت لا تزد على
فضاعتك كذب الاندال فقد تحققت ما جرى منك في مقصورة حنة نعم ان
ريبب الذئب لا يتكلم مع ذلك فهو الذي اتى واطلعي على شرك باشارات
واضحة فكيف نجاسر على الانكار

فانشفت مرارة راعول كمداً وحاول ان يبري نفسه فقال يا اخي احلف
لك اني لم امس حنة

- نعم ولكنك كنت السبب في قتل نفسها فانك الذي قتلت خطيبة الشاب
الباسل ايوب الذي نال الان اعلى رتب الشرف في الجيش الفرنسي وبذلك
صرت مردولاً بين الناس وعلى جبينك سماء العار

فضعضت احوال راعول وسقط امامها على ركبتيه ومد يدها وترتجفان
وقال ارحمني يا اخي ارحمني يا ملكة

- قم فاذا رحمتك انا فما ادري هل يرحمك قاضي الفضاة لكن اعلم ان

حنة لم تعرف انك انت المعتدي وان ربيب الذئاب ما اتى الا لنجدتها فوقعت
عليه تهنئتها

- عرفت ذلك قبلك

- او علمت ايضاً ان المسكين قبض عليه بهذه التهمة الباطلة واودع السجن

- نعم يا اختي عرفت هذا

- فكيف يا مرآئي تعود الى هذه الارض فرحاً مطمئناً . هل فُدت شرفك

وخفت ضميرك وما استحييت ان تدخل بلاداً تسمع الناس فيها يلومون ربيب

الذئاب بازتكاب النظائع وانت المجاني خفيفة

- يا اختي ندمت كل الندم على هذا العمل الشنيع

- ا فعرفت الان قباحتك . وما ينفع الندم الان وقد فات الوقت وقضي

على المسكين بالحبس فاذا فعل الان

- ما تريد ان اعمل

- حقاً تعتقد انك لا تستطيع عملاً

- ا فترين من الموافق ان اطوف الشوارع وانا ادي اني انا المجاني وريب

الذئاب بري واكون موضوعة في السجن

- هذا ما تقتضيه المروءة والشرف لان عزيز النفس لا يقبل ان يؤخذ

غيره بجريرته لكن لا يمكنك ان تفعل هذا لئلا تعلم امي فتموت كمداً

- لكن يا اختي اخبرني المولى الفلاني انه لا يثبت حكم على ربيب الذئاب

- ا فهذا الذي يرجح ضميرك فاما اخبرك ان ربيب الذئاب وهو في سجنه

سيكشف امره

- كيف يستطيع وهو لا يتكلم

- لا يغرك هذا الحال سينعلم التكلم بالكتابة ولو طال الوقت فعذل

الحكومة قائم الى الابد فحينما يستطيع الكلام يكشف الحقيقة ويبريء نفسه فيعرف

الذئاب انك انت المعتدي واذا كذبه البعض فانه يثبت حجة بهذا الجردان وهذا

الحاتم فبدعوني للشهادة وأنا لا أكذب حفظاً للشر في ولو فرضنا أنه لا يتكلم ولا
يتعلم الكتابة وإن الحكومة تصدر حكماً عليه أفيلق بي أنا ملكة السسمية إن احتل
ما يقع عليه من الجور وأنا في قيد الحياة أو لو فرضنا أنه تكلم وبسبب المروءة أن
شيء آخر كنتم أمرك أفيصح أن انقاعد عن نصرته وهو بريء. أنت أخي نعم ولكنك
اهتني وربيب الذئاب غريب عني ولكنه خلصني من الموت وفضلاً عن ذلك
فضميري لا يطاوعني أن ادعته مظلوماً. أفرأيت لأن أيها الشقي شدة الويل
الذي أعدته لك ولي

وكان راعول في أثناء كلامها جامداً كالصنم لا يستطيع أن يرفع إليها
نظرة. فقالت له لم يبق لي شيء أقوله لك ولا أقدر أن أشير عليك بشيء إلا
أن تغير هيئة معيشتك. قد علمت أنك كنت في باريس سالكاً سبل العار
لا تعمل عملاً نافعاً إلا لشهواتك القبيحة فأندم يا راعول وأصلح نفسك لم يفت
الوقت هذا إذا أردت أن يرحمك الذين لا بد أن يحاكموك يوماً ما

فرفع راعول رأسه يهدو وقد تأثر شديداً من توبيخات أخيه حتى بلل
دمعه خديه وقال لها سامحيني يا اختي اصغبي عني مجتنباً أن يفتني شقي عرفت
أنني سألك شر سلوك لكنك تعلمين يا اختي أنني كنت منذ الصبا مطلق الحرية
لا يرشدني أحد إلى الصواب فقد ندمت لأن وأكراماً لك ولا مي سأصلح سيرتي
حالفاً ميمناً فاطعة بكل ما تريد

— كرو الزمان يكشف خبايا القلوب فسندى

وأشارت إليه بالا نصراف فخرج مطأطأاً رأسه وهو يترنخ كالسكران وأما
هي فالتفت نفسها على كرسي وجرت دموعها سخية

الفصل العشرون

ملكة وامها

وراث ملكة ن كلامها اثر في اخيها تأثيراً مفيداً لان طباعه تغيرت وكان يلزم امه بهيئة الاحترام والطاعة والودود فطربت البارونة اشد الطرب وظنت ان احوال الحرب جعلت فيه هذا التغير لانه نائر ما اصاب بلاده من الولايات فعاد الى صوابه وندم على ماضيه وبذلك صار لما رجاء انه يجيد عن طريق والده

ثم تحول فكرها الى جهة ملكة فقالت في نفسها لماذا يا ترى اظهرت له هذا النفور مع انه عاد بعكس ما كان وهذا طبعها ان لا تنالي به كثيراً واني ارى انها تغيرت هي ايضا منذ اشهر فما الذي طرأ عليها حتى صارت حزينة كئيبة وزالت منها طلاقة وجهها السابقة لعلها متألمة من شيء سري كتمته عني

واذ كان معظم اهتمام البارونة في ولديها وراث ما رأت من تغيرها كثر اشتغال بالها ولا سيما من جهة راعول لانه هذه المرة اقام اربعة ايام في القصر في حالة تدل على الحزن ولم يطلب الترتيب حسب عادته فقالت له يوماً لماذا لا تركب وتزور المولى التليفي وابنته فانها بينهما بقدمك فقال هذا الرجل محب صادق ولذلك احب ان اقباله واستشير به في مصلحي

— ما عسى ان تكون هذه المصلحة

— اطلب اليوان يدبر لي شغلًا

— عجبًا

— لا عجب فاني قد سمعت هذه العيشة وطلبت نفسي الشغل وللرجل المذكور علاقات كثيرة مع رجال السياسة فالي ملجا سواه

— حسنًا تفعل يا ولدي فامض الي وحدته بشانك

فمضى راعول ودخلت البارونة على بنتها وجلست بازائها وقالت لما كيف تجددين اخاك باملكة

— بالنسبة اليك احسن يا اماه

— واما بالنسبة اليك فما نقولين

— ودود

— ارى ان طباعه تغيرت فسرني ذلك جدًا وقد استراح بالي من جهته ولي الامل ان مستقبله يكون حسنًا فقد نخجل من البطالة واحب الشغل اما تجددين هذا احسن لان البطالة كثيرًا ما تئلف الشبان والشغل يلهمهم عن التورط في الدنيا وراعول لبس ردي الطوية لكنه كان طائشًا انقاد الى هوى الصبا وما كان له من يصححه ويرشده وعرف الان ما يتبع من سلوكه الماضي من الاضرار فافاق على نفسه فسررت منه ومجبت ان تسري انت ايضا

— طبعًا يا امي

— فلماذا هذا التور . قلما تكلمينه وازاه يستغل مجالسك وكأنه يخاف ان تنظري اليه كالك حاقدة عليه فاخبريني ما الذي آذاك به

— لا شيء يا امي

— فلماذا اذا تعسبن في وجهه حتى اراه عظيم الكآبة بخلاف طبعه . فجرت دموع ملكة ولم تجاوب فقالت البارونة ما هذا البكاء يا ملكة ولدي حبيتي مالك

فناضت دموع ملكة بزيادة فتمجبت امها غاية العجب ثم قالت فطنت الان

فطنت تكتمين عني سرّاً منذ مدة طويلة سرّاً بقلبك وبملاً قلبك حزناً ولو كنت
 تخفيني لما اخفيت عي شيئاً لأن اسرار البنات في قلوب الامهات
 فاخبريني يا حبيبتني ما سبب بكائك لعلّي ازيله كما هو داي منذ نعومة
 اظفارك واذا لم تكن تثقك بي انا فبين تكون
 فوقعت ملكة على ركبتيها وقالت بصوت ضعيف يا ابي العزيرة احب ن
 افارقك فنهضت البارونة مرتاعة مبهوتة وقالت تقارفيني الى اين
 - الى الدبر

- الى الدبر يا ويلاه . ما هذا انتِ ملكة السمسمية تضيعن الى الدبر
 - نعم يا ابي فكرت طويلاً فعلمت ان ترهني واجب فانوسل اليك بدموع
 الخشوع ان تسمي لي بانقطاعي الى الله
 - ملكة ملكة لعلك كرهت البقا مع امك
 - كلا يا اماه كيف تظنين بي هذا
 - فما هذا الخبر الهائل اي شيطان دخل بيتي ووسوس اليك بهذا
 الجنون حتى تكهني وتزكيني . ملكة . ملكة . يجب ان اعرف ما جرى عليك
 حتى خطر لك هذا الخاطر

- لا تساليني يا اماه لا تساليني
 - وبك كيف ذا فبواطنك اذا خيثة
 - ما هذا يا اماه انتكئين في سلامة طويتي
 - لا . لكن لماذا لانكسنيين لي قلبك او تظنين اني اصبر على فراقك
 - يا اماه ما قصدك بذلك الا راحة صبري وسعادة نفسي فالفراق
 واجب ولو كان المله شديداً

- يا جاحدة يا ظالمة افلا نبالين براحتي ايضاً ما هذه المحبة لامك اي
 حتى طراً عليك لا اصدق انك تفعلين
 - اي . اي لا يطاوعني صبري ان اكذب عليك ما فرط التنوي الذي

دعاني الى النسيك بل اري ان راحة فكري لا تقوم الا بالاعتزال والانقطاع
الى الله

— افهذا فقط ما يجب عليك بعد ان كنت انفس الزوجات يجوز ان
تجعليني انفس الامهات لاجلك بذلت نفسي افهذا يكون جزائي . بك كان
رجائي واسعادتك كنت اسعى والى ثقيفك كنت احب فكيف تكافئيني هذه
المكافأة ويس لي في سواك رجال لان اخاك لا يخصني كما تعلمين فهل يطاوعك
قلبك ان تتركيني كأنك تقولين لي دعيني يا امرأة ما بقيت محتاجة اليك واذا
مت فلا بأس

— ويلاه ويلاه . ثقلت علي المصائب

— بل الويل علي لانني كنت اظن قلبك شكوراً فبيع يا ملكة فبيع هذا العمل
واعلمت البارونة بالتحبيب وتقدمت اليها ملكة وهي ثن وثناؤه وجعلت تقبل
يديها وتبيلها بالدموع وبعد سكوت قليل يجرح النواد قالت لها امها ما الذي
يفصلك يا ملكة وما الذي تشتهي
— لا شيء يا امي لا شيء

— افما تعلمين ان فتاة شريفة جميلة غنية مثلك اذا اعتزلت الناس فذلك
دليل يا س شديد وان في فوادها جراحة لامرهم لها . هوى نفس لا رجاء بعده
— اماء ما هذا الكلام

— اذا كنت تحبين احداً يا ملكة فلماذا لا تخبرين امك قصارى اهتمامي
راحتك ا فتظنين اني لا اشتهي ان اراك قريبة شاب ادب بشار اليه بالبنان
تحبينه ويحبك فتولي لي من تحبين لا فزع له ذراعي وان كان فقيراً خاملاً فليس
المال يقيم الرجال والصلاح اكثر في اكواخ المزارع مما في قاعات الملوك وما
امك يا ملكة ممن يرى في الفقر عاراً لك ان تخاري من تحبين ونصف ما
تملك يدي رهين ارادتك

— لا احب يا امي لا احب

- بل منع كلامك دليل البهتان
 - لا اريد ان احب يا امي لا اريد جل مرادي التنسك
 وكانت في اثناء ذلك تهلل الماء واضطراباً وفي تلك الدفينة قرع الباب
 فنهضت ملكة وجعلت البارونة تسمع دعوها وامهلت ابنتها حتى يسكن جاشها
 وقامت ففتحت الباب فرأت الخادم فقال لها رجل غريب يريد مقابلتك للصحة
 مهمة

- من يكون هذا الرجل
 - قال لي ان اسمه القائد الجوردي
 - لم اسع بهذا الاسم
 فقالت ملكة اسمي لي يا امي ان اخرج من هنا وانظري ما شان هذا
 الرجل
 قالت هذا وخرجت واذنت البارونة للخادم ان يدخل الزائر



الفصل الحادي والعشرون

جبار الخواطر

كان المجردى في ذلك الوقت لباساً حسناً مرتباً فدخل وراء الخادم وحى البارونة باحترام وخرج الخادم وأغلق الباب وبقي الزائر والبارونة دقيقة جالسين أحدهما بازاء الآخر ساكتين وكانت هيئة تدل على الشفقة وحب الاطلاع وهيئتها تدل على التعجب واشتغال البال غير انها اطمانت قليلاً بما كان له من لطف المنظر والهبة

ثم قالت له لا بد ايها المولى ان قدومك لمصلحة مهمة فان شئت ان نتكلم فاني مصغية اليك قال نعم المصلحة مهمة وجل مرادى ان اقنعك بما اتيت من اجله

— هل لهذه المسألة تعلق بمن يلوذ بي

— نعم وبك ايضاً بداعي الاشتراك

— فتكلم اذا

— لكن قبل ان اطالعك على مقصدي من هذه الزيارة احب ان اسالك عن بعض امور لا يفيدني اياها غيرك فاذا شئت نجت قليلاً في حال معيشتك الخاصة

— عجبا ايها المولى ما فهمت معنى كلامك

- بلى فهمت لكن لا تقنأ علي ولا ترتاعي فاننا اشرح لك اذا اردت ان تحبيني

- حسن على ان لا تسألني ما ليس لك به تعلق

- لا نشرطي علي في طريقة الاسئلة

- فكأنك قدمت قدوم مستنطق وانالست اعرفك ولا اذكر اسمك

- هو الحق لكني اخاطبك باسم السيد يعقوب وليان وفابونه ايوب لانهما

يعرفانني معرفة تامة فهل تسمحين بهذا الاستنطاق

- وما الذي تحب ان تعرفه

- بعض اسرارك

- وني . ومن تكون حتى نتجاسر على هذا الطلب

- اعلمي ايها البارونة اني عدو الاردياء والفجار وصدى الصلحاء وجبار

خواطر المساكين والخذ بثار المظلومين وبناء عليه لا اكون الا صديقاً لك

لانك من جملة المتهورين في حياتهم ما مرادي الوقوف على تاريخ حياتك وتفصيل

احزانك لاني اعرف كل ذلك وعلمت بالاساءة التي اساءها اليك زوجك الساقط

الحرمه وانه لم يحترم كونك امراته وام اولاده فحرقك مرارات الحياة واذافك

اشد الالام واني ارثي لحالك من كل قلبي وقد عرفت النشأة الصالحة التي

نشأتها وكيف تيمت وكيف تزوجت بالبارون السمسسي اجابة لطلب وصيك

الاعى البصيرة وقد اهانك هذا البارون وانت فتية جميلة كاملة العقل والادب

ولم تمض ايام كبيرة حتى اهلك ونفر قلبه منك وعاد ينهور في قبائحى الاولى

فلم تكن هذه الحالة ما يطاق فطلبت الانفصال عنه وانقطعت عن العالم وزهوه

لتقبي مع ابنتك في هذا المكان مواظبة على حسن تربيتها ومنذ اكثر من سبع

عشرة سنة ما رايت زوجك وما قدمت باريس حيث لك بعد اصدقاء لم ينسوك

وقد علمت انا كما يعلم كل الناس في هذه النواحي ان افضالك فائضة على اهل

الاحتياج ولا تزالين نواصين افعالك هذه . وابنتك ملكة تغفو اثارك في سليل

الخبر والصلاح

— نحيث تعلم كل هذا فما تطلب غيره .

— ساسالك سوالاً لطيفاً لكن يجب قبله ان نبحث قليلاً في سيرة ولدك

راعول

— عجباً ما الداعي للبحث في شان ولدي وما لك ان تقول عنه

— علمت انه نادر المجيء الى هنا ولم يبق في قلبه ما يجب عليه لك من

الاحترام والمحبة والالفة

— من اين تعلم هذا

— لا تحاولي المداخلة عنه لاني اعلم كما تعلمين احوال سيرته في باريس

وان اعماله نغصة لك في حياتك

— نعم انه محل اللوم في ذلك غير اني صبرت على رجاء الاصلاح وقد

تختمت اليوم هذا الامل لان راعول تغير جداً عما كان وقد ظهر لي ذلك منذ

اربعة ايام فتمزيت وسيت كل تلك الاحزان التي سببها لي سابقاً وقد طلب

الان ان يخزط في سلك ابناء الاشغال النافعين فذهب اليوم الى صديق لنا

غيور على مصالحه لكي يدبر له شغلاً

— يسرني جداً ان اعرف هذا الان لكني ارى على وجهك انثار هم شديد

— ذلك انه جد لي هم اخر من حيث لا انتظر وذلك ان ملكة قد

اسمعتني كلاماً ملاً قلبي حزناً لانها طلبت بالحاح ان تذهب وتتركي في اشد

الالام وما خطر في بالي قط معرفة السبب في هذا الانقلاب السريع

العجيب غير اني ظننت انها عاشقة وليس لها امل بالحصول على الحبيب وانها

تخل ان تصرح بافكارها

— وقد اصاب ظنك موقعه ايها البارونة لكن لا يشتغل بالك فاني

اضمن لك عدوها عن هذا المقصد والذي تخبه انت تعرفينه وقد رايت به عينك

وهو يحبها حباً شديداً لكن الظروف لا تسمح له ان يظهر نفسه

— عجباً كيف تعرفه انت وبأي واسطة ومن يكون هذا الشاب

— حنا ريسب الذئاب

— وَيْ وَيْ وَيْ . حنا ريسب الذئاب نحبه ملكة ومحبا ويلاه ويلاه ما
هذا المصاب التي وقعت فيه ابنتي المسكينة المنكودة المحظ بالمداومة
— خنفي عليك ابنتا البارونة ابست المصيبة عتدار ما نتوهين
— كيف ويلاه اي مصيبة اعظم منها هذا الانسان الوحشي الشقي المخدول
المردول يكون حبيب ابنتي لند سقطت حرمتها وانحط مقامها وديس شرها
يا العار يا المصيبة

— قلت لك ابنتا البارونة لا نستعطي الويل ولا تحكي قبل ان تبصري
نعم ان هذا الرجل وحشي على زعم الناس ساقط المقام لا يدخل فكر بشر انه
يكون لا تقا بفناء هذبة بديعة الجمال شريفة الحسب والنسب ولا يتصور
مخلوق انها هي تمل اليه ولكن هذا الوحشي سيئدن ولا تفدر ان تعرف الان
ما نحت هذه الحشونة الظاهرة من الاخلاق اللينة فسنبضع لك اذا انقلب الحال
وظهرت حقيقة انك عجلت بالحكم فقد سنحت لي الفرصة الان ان اكشف لك
سر زبارتي وهو الاهتمام بشان هذا الرجل

— عجباً وما نعمل به

— لا تعجبي يا سيدتي وستعلمين لماذا اهتم به قد اخبرتك اني صديق المساكين
ولذلك يجب اهتمامي بهذا المسكين وان انتصر له لانه مظلوم فند سجنوه بتهمة
ليس لها اصل وسنبضع لك البرهان وقد عزمتم ان اذهب حالة هذا الرجل
واجعله يدخل مصاف الادياء في اقرب وقت ممكن واسميه بالاسم الذي اعلمه
له حنيفة

— هذا فضل عظيم منك

— لكن دون الوصول الى ذلك صعوبات عظيمة فاول شيء اسعى فيه
في الخلق الوحشي منه حتى يلين ويكون وديعاً طبعاً وليس لي سبيل الى ذلك
الان لا بمساعدة ابنتا البارونة ومساعدة ابنتك

- انا وابنتي عجباً واي مساعدة نستطيع !
- الخطة صعبة نعم فان المراد ان تترك هذا القصر ونقيم في دار استاجرتها في ايبنال وانقنت فرشها وزينتها وفيها جعلت ربيب الذئاب
- يا الغرانة الخاطر كيف ترجو مني ومن ابنتي
- على رسلك ابنتها البارونة لا ارجو شيئاً واسعى فيه الا وانا منفق الحصول عليه وقد رجوت انك تساعدني وسعيت غير خائف فشلاً
- عجب فوق عجب
- سكي روعك ابنتها البارونة انك تستغرين هذا الطلب ولك الحق غير ان الاهانة وقعت على ربيب الذئاب فيجب ان نعوض له راحة
- فيظهر من كلامك ان لي دخلاً بالاساءة اليه
- كلا يا سيدتي غير ان وجود ملكة في المكان الذي يكون فيه من اشد الامور لزوماً لبلوغ غايتنا من تهذيبه والا فقد تمضي سنوات كثيرة بلا طائل لان محبته لها الشديدة تجبره على طاعته لها بما نريد ومعلومك ان الهوى يستسهل اعظم المصاعب
- راي سفيه ايها المولى
- اصبري يا سيدتي واذا انجلي لك شيء من السر اقولين لي انا وابنتي طوع ارادتك
- قد حيرتني ايها الرجل فما ادري ما اقول
- عليك بالصبر والثاني فاعلي ان البيت الذي استاجرته لا ينفعه شيء ما يطلب مقامك ولا سيما الغرف المخصصة بك وابنتك وليس بينها وبين مكان ربيب الذئاب اتصالية ويكون لكما خدم خاصة من رجال ونساء ومركبة خاصة مع سائقها واثنان غيرها لا اقتضاء الظروف وهناك تغير بن اسمك ونسبتك حتى لا تتوجه اليك خواطر اهل الفضول وتكونين سيدة الدار على الاطلاق ولا يصدر شيء الا عن امرك وامر ابنتك وينقاد اليك كل الخدم والمعلمين الذين

سيدعون لتعليم ربيب الذئاب

— ما ارى في مناصدك يا سيدي شيئا يمكن اخراجه من الوهم الى الحقيقة
— علمت انك تعتقدين هذا لكن لا ازال ابرهن لك صحة مذهبي حتى
تدعي فاقول لك ان انفصالك عن زوجك بغتة قد اقلق افكار كل اصحابك
فقد احزنك زوجك علنا وهو لا يخشى عارا لفرقه في بحر العار فكان ذلك
عليك هما عظيما غير انك حبا بمصلحة اولادك صبرت على الالهامة مدة ثلاث
سنوات فيكون اسرعة هجرِك اياه واعتزالك هنا سبب اخر اعظم من
فساد سيرته واني متأكد انك اكتشفت من اعماله سر عمل هائل فظيع اقتضى
مقتك اياه وسرعة الابتعاد عن مكان وجوده فاحب ان تكشفني لي هذا السر
العظيم

— ما هذا الرجل العجيب ما هذه الجسارة المخارقة

— حق لك ان تستعري حالي لكن الضرورة توجبك ان تكشفني لي
حالك وان شئت فانا امهد لك السبيل واسهل لك فتح الحديث فاخبرك اني
اطلعت على كل ذنوب البارن السمسي
— ويلاه ويلاه من انت ايها الرجل

— قلت لك اني صديقتك لأمك تميمه واني سيف النعمة المظلومين واعلمي
بقينا ان شفقتي عليك وعلى ابنتك منعت ان يكون ذلك البارون الفاسق
الشريد في مطبق العذاب منذ ستة

— اواه ضاع رشدي خاتني عزائي

— تكلمى ما عليك باس وان كنت لا تعرفين كل ما جرى . والذي تجهلينه
انا اخبرك به . هل سمعت بجناية سرية جرت في بلدك في نفس الوقت الذي
انبت به الى هنا مفتنا لعشرة زوجك

— نعم اواه نعم

— واصحاب الجناية بقوا مجهولين وكذلك القاتل افما تعرفين من يمكن ان

نقع عليه الشبهة في تشجيع هؤلاء اللصوص ونقوبتهم على ارتكاب الجناية

- امر مريع امر هائل

- وتعلمين ان ذاك القتل يقال انه شديد الشوري

- نعم سيدي نعم لست انسى اسم هذا المسكين وانا التي سلمته الى قتلته على

غير ارادة ولا قصد

- وكيف توفقت القضية

- ارى انك اجبرتني على الاعتراف

- وهو واجب على كل حال

- في ذات يوم دخل اليّ وانا في باريس شاب حسن الشكل كان مراده

ان يقابل زوجي فلم يجده فطلب مقابلتي بداعي مصلحة مهمة . فلما دخل قال

لي ان للمركز الشمري وامراته المركيزة فضلاً عظيماً عليّ وعلى زوجي فتمجبت انا

لاني لم اعهد للمركز الشمري اخي زوجي من امه امراه فقال لي الرجل نعم انه

تزوج في الغربه واتى فرنسا بعد ان حصل ثروة جزيلة ثم اضطرته الظروف

الى ان يخرج من فرنسا لبعض اشغال فاستودع اخاه البارون زوجته وثروته

وكانت زوجته حينئذ حاملاً فورد الى الخبر وانا في بتافيا حيث محل تجارتنا

انه غرق في البحر وانقضت مدة وانا اكتب الى البارون فلم احصل على جواب

ولما صار بيدي من المال ما قنعت به وقد اشتغل بالي جداً من جهة المركيزة

انهيت اشغالي واتيت لافندها واسال البارون عن خبرها

فلما اخبرني هذا الشاب بذلك تضعضعت احوالي وعلمت ان زوجي خان

اخاه واهلك المرأة ليستبد بالثروة والدليل ان المال كثر جداً بين يديه بعد

غرق اخيه فوعدت الرجل اني اساعده في البحث عنها

فلما دخل زوجي قمت اليه بوجه عبوس وصرت اسأله واعنفه وهو يكتم

ويتكر وكان الرجل قد ادعى اليّ صك الزيجة فاطلعت زوجي عليه فقال لم

يكن لاهي امراه والتي اتى بها انما كانت حظيتة وخرجت من هذه البلاد بعد

غرفو وما علمت ما اصابها . واما هذا الصك فقد زوره المنافقون ليخوفوني به
لعلمهم ينالون شيئاً من المال

فاشعر بدني من تلوث حديثي وتغير سمته وتيقنت انه الجاني الشرير
فكرهته نفسي وكانت بيني وبينه فتنة شديدة ففرت منه الى هذا المكان ولم
يسمع لي باستصعاب ولدي بل اصر على ابقاء راعول عنده فزدت هماً على هم
لعلني انه سيتغلب باخلاق ابيه وما كان ييدي رفع امره الى الحكومة حرصاً على
الشرف وعلى حياة الولدين لانه تهديدني بقتلها

والذي اثبت لي صحة اعتقادي بخيانته اني كنت ارى رجلاً دميماً ضخماً
الجمجمة تدل هيئته على الخبث والدهاء يتردد على زوجي في اكثر الايام ويتحدثان
سراً . فني ذات يوم اتفق اني سمعت كلمات كشفت لي بعدئذ سرها الخبيث فقد
سمعتة يقول له اما الواد فحي واما الام فمجنونة والمحبس في قصر بلنكور القديم من
بلاد فوج . فكتبت رسالة وارسلتها الى شديد الشوري ليهندي بها على مكان
المركيزة غير ان الخادم خانتني وارى الرسالة لزوجي فشق المغلف وقرأها ثم
وضعها في مغلف آخر وقلد العنوان وارسلها الى الشوري والا فمن اين يعرف
اولئك الاشرار جهة مسيره ويكنون له ويوقعونه في شركهم
فهذه حكايتي التي نجات بها الامم لا تترول من قلبي طول حياتي



الفصل الثاني والعشرون

الموافقة

كانت البارونة تتكلم والجردى يضطرب وتغير الوانها فلما انتهت قال لها هذا بعض ما عرفت من هذه الاسرار العظيمة والان اخبرك بما جرى بعد ذلك

وجعل يقص عليها بالتفصيل خبر نية الحوادث كما شرحه له الشيخ العنزي عن لسان حارس قصر بلنكور ثم اوضح لها ان الولد التي ولدته المركيزة وهي ماسورة هناك ومجنونة هو نفس حنا ربيب الذئاب اخر مركيز من العائلة الشمرية واعلمها ايضاً ان حنة خطيبة ابوب هي بنت الفتيل شديد الشوري وقد تبناها يعقوب وليان وانها لم تفرق في النهر كما شاع الخبر بل كان خلاصها على يده ويد ربيب الذئاب وانها باقية حية لكنهما مجنونة وانه اوقف لها طبيباً خاصاً يقوم على معالجتها وله امل بشفائها. واما السبب في وجوده على ضفة النهر فذلك انه كان قد اتى الى ماريل ليقيم على احوال البارونة السمسرية فبعد ان استقصى الخبر رحل بداعي الحرب ومر بقرب النهر فرأى من امر ربيب الذئاب وحنة ما تقدم ذكره في محله

فدهشت البارونة من هذه الاخبار العجيبة وقالت له متى تريد ان ارحل انا وابنتي موافقة لك علي مقاصدك قال افرأيت الان اني كنت متعقبي

قبولك بعد ان استغربت طلبي

— ومن اين كنت اعلم هذا الخبر الغريب والان ارى ان من اهم فروضي القيام على مصلحة هذا المسكين تعويضاً عما سبب زوجي من الشرّة ولوالدته فقل لي متى نحب ان نرحل

— قبل العزم يجب ان نخبر السيدة ملكة وندير طريقة لقبولها — هذا امر سهل جداً لاهما طوع ارادتي وعلى الخصوص اذا عرفت حقيقة القصد من هذا الاهتمام

— هذا لا يصح ايها البارونة فان سر هذه العائلة يجب ان يبقى مكتوماً عليها لاغراض مختلفة

— فما العمل اذاً كيف افعلها

— اذا شئت فادعها اليّ وانا انكفل بذلك ولا يوافق ان تكوني موجودة معنا فدعت البارونة بابنتها وقالت لها هذا المولى احد اصدقائنا بلتمس منك غرضاً التمسه مني ايضاً فاجبت فانا ادعك واباه ليعدّك بما في فكره

ثم خرجت واغلقت الباب فجلست ملكة وهي مضطربة مخبرة فقال لها سكي جاشك يا مولاتي فانا الارجل صديق احب ان احثك اولاً عما اخبرتني والدتك من عزمك على دخول الدير قالت نعم هكذا عزمتم

— لكني اظن انك ما تنصرت بكفاية فانت غنية وجميلة في احضان والدة حنونة يتلأأ مستقبلك بالنعمة والسرور فكيف يصح ان تنطعي عن العالم ايس رايتك صواباً ولا يامر الدين بنسك في غير محله وعبادة الله تصح في كل مكان وتقبل في كل الاحوال ولا يطلب تعالى من عباده الانقطاع عن تعبير الكون بل بالحري فرض علينا اقامة العيال والاهتمام بها لتجده باعمال يديه لا بد ان لك سرّاً لا احاول الاطلاع عليه غير اني اقول لك ان احزان الصبا وهوميه تضعل بمرور الايام ولا يرضى الله ان تشكي في معونته تعالى وتسقطي تحت ثقل الياس واذا كان من فروض كل انسان ان يساعد قريبه عند

المقدرة وكنت انا ممن شرعوا بمساعدة جليلة الشأن في هذه الايام انبت اليك
 راجياً ان تشاركيني في هذا العمل الخيري اذ لا استطيع انماه بدون ذلك فاذ
 انجست في دير حيط المسعى وسأمت النتيجة

- ما ارى داعياً لا قوم انا دون غيري في هذا المقام
 - اذا عرفت المراد اذ عنت . اذكرين ان رجلاً يقال له ربيب الذئاب
 انقذك من الهلاك منذ ثلاث سنوات
 فارتعشت ملكة ارتعاشاً يئساً فقال لها فانا استنجدك باسم هذا الرجل المسكين
 ان تبادري الى اجابتي

- فما الذي اقدر ان اعمل
 - المراد انقاذ المسكين من هذه الحالة التعيسة التي اوقعه فيها الدهر
 وادخاله سبيل القوم المتمدنين

- هذا ما اتمناه من صميم فوادي لكن ما الذي اقدر عليه من المساعدة
 - اعلمي اني توصلت بمساعدة بعض الاصحاب من اهل النفوذ الى اخراجه
 من الحبس واستأجرت داراً حسنة فيها جنبه واسعة في اينال ووضعت هنالك
 على ان ادعوه معلمين من اهل الخبرة لكن الظاهر انه مستعص في الانقياد
 اليهم لاني شعرت ان افكاره مشغولة بالفرام
 والحال صار وجه ملكة احمر كالفرمز فقال

- فعلمت انك انت شاغلة افكاره ووجودك بالقرب منه نفوذ تام في ارادته
 وفي لفائفك حياة آماله وانتعاش قلبه ونجدد قواه ولا يزال غارقاً في بحر الهوم
 كانه غائب عن الوجود لا يثبته الا بذكر اسمك فينظر حوله دهشاً بارق
 للعينين واذ لا يجدك تسيل دموعه وبين انه شديدة ويعود الى ذهوله
 فتهدت ملكة وتفرغرت عيناها بالدموع فقال

افلا يجب على ذلك ان ترحيه وتشاركني في المسعى لاجل خبره واذا
 امتنعت فلا بد ان يموت كذا

فاعلمت ملكة بالخبيب وقد ضاقت بها الحبل وقالت له ما تطلب مني

يا سيدي

— اول شيء ان تنبي من فكرك ذكر الدبر ثانياً ان تمضي مع امك الى اينال وتقيم في الدار التي هو فيها ليكون وجودك الواسطة الفعالة لتلبين طباعه وسهولة انقياده للتعليم وقد رضيت امك وهي تخبرك كيف تكون حالتكما هنالك ا فلا ترضين انت

— ان الذي برصي امي برضيني

قالت هذا وانها تدموعها كالخمر فقال لها طوبى لك اينها الفتاة الصادقة الوداد الطاهرة القلب ستملين مشقة عظيمة في هذه الخدمة لكي اعدك انك ستمالين جزاك ان شاء الله واعلمي ان السر الذي في قلبك لا يعرفه احد غير ربيب الذئاب لانه اطلعك عليه ويبقى مكتوماً الى الابد وربيب الذئاب نفسه يكتمه اكراماً لك

— عجباً عجباً كيف تعرف هذا

— ان عرفت اولم اعرف فكوني على يقين اني كغير العارف وان الله يدبر الامور بحكمة عجيبة فقد جعل خلاصك من الهلاك على يد ربيب الذئاب لكي تقومي بالعمل المدعوة اليه بمشيئته تعالى فلا تقلقي ولا تضجري واحبي امك بما هو محفوظ لك في المستقبل

وحينئذ سمع وقع حوافر في الدار فقام الرجل وودع ملكة وهو يشكر معروفها وخرج فوجد راعول قادماً وقد اعلمته امه فالتفت الى الجردي وقالت هوذا ابني يا سيدي فتقدم وسلم عليه ثم قالت له البارونة سرّاً ما النتيجة قال حسنة فادخلي واظهري لها سرورك وانا ابني مع راعول اقدم له بعض نصائح ولما دخلت البارونة عند ابنتها قال الجردي لراعول قد اخبرتني امك ايها الفتى الزكي النفس انك غيرت سلوكك الماضي وعرفت مقامات الشرف والانسانية فعليك ان تواظب على الاجتهاد في سبل الرضى والاعمال الحسنة لكي

ينسى ذكر ما فعلت في السنة الماضية في بيت يعنوب وليان
 فأذهل الفتى هذا الكلام وظهر عليه الاضطراب فقال له ما عليك بأس
 اذا اصلحت في مستقبلك ما افسدت في ماضيك بطلت اراجيف الناس فيك
 فاخبرني الان كيف كانت النتيجة من مقابلتك صديق والدتك قال ذكرت
 المولى الفلاني ما عزمت عليه فاستصوبه

— فكن على رايه لانه رجل خير مخلص الوداد وما الذي عزمت عليه

— ان ارحل عن هذه البلاد

— حسناً تفعل وابن نيتك

— بلاد الجزائر ادخل في خدمة العسكرية

— ومتى ترحل

— غداً ان شاء الله

— فكن على ثقة انك ستنجح وعلى الخصوص بمساعدتي ومساعدة المولى

الفلاني اعمل انت ما عليك ونحن نعمل ما علينا والله الموفق الى حسن الختام

وبعد ثلاثة ايام دخلت البارونة السمسرية الدار المعدة لها في ابينال وسمت نفسها

السيدة السندرية وفي نفس ذلك اليوم كان راعول قد ركب البحر الى الجزائر



القسم الثاني

كشف الاستار عن الاسرار

الفصل الاول

العائلة الشمرية

هذه العائلة من اقدم عيال فرنسا واشرفها ولبعض اعضاءها شهرة تاريخية وكانوا يلقبون بالمرکيز وحصلوا من خدمة الملوك ثروة واسعة لانهم كانوا اصحاب وفاء وامانة . وكان باقيا منهم واحد في ايام الثورة الفرنسية قُتل في جملة من قُتلوا لشدة تعلقه في مصلحة الملك وحجرت املاكه وكان قد ارسل امرأته وابنه الوحيد لويس الى خارج البلاد وكانت المركيزة قد اخذت معها شيئا من النفود والمجوهرات فاخذت تنفق نفقة معتدلة لتربية ولدها

ولما اخذت الفتنة في زمن بوناپرت رجع المهاجرون الى اوطانهم واما المركيزة فحين عزمتم على الرجوع مرضت وماتت في ايام قليلة فبقي ابنها لويس

وحدك من العائلة المذكورة وليس في يده ما يكفي لمعيشته فخير في امره وجعل
يتبصر في مستقبله فخطر له ان احسن طريقة الانتظام في سلك العسكرية
وخدمة الملكة كما كان اباؤه ومضت عدة سنوات وهو يتقلب في رتب المجندية
واشهر في عدة معارك الى ان نال اخيراً رتبة كولونل ثم مارشال ومنعته عزرة
نفسه ان يلتبس استرجاع املاك ابيه المحجوزة وما كان يخاطر بباله ان ينزوح الى ان
تقدم في السن وقارب الكهولة فرأى من الضرورة ان لا يكون بلا عقب لئلا
يموت ذكر عائلته بموته

وكان قدرني فتاة يتبعها اسمها سيسيليا كان ابوها من اعزاء لويس الشهري
هذا وابوصاه بها ساعة وفاته فكانت عنده بعد ذلك في معزة الولد وكانت هي
تدعوه اباها

وقد اعتنى بتربيتها وتعليمها الى ان فاقته في الآداب وحسن الصورة
واظف العشر غير ان الفكر يتزويجها كان يحزنه جداً لانه لا يحب ان تفرقه
اشدة ولوعه بها وكان يقضي اكثر اوقاته منقطعاً عن معاشرته الناس ويكتفي في
سهراته بمحادثتها وهو يتنى لو عاد الى الشباب واتخذها امرأة له ولذلك كان
كثيراً الهوم ولا يقدر ان يخفي حزنه

وكانت سيسيليا تلحظ منه ذلك ففي ذات ليلة رآته يتهدد دمه سبيل فاشتغل
بالها جداً فصارت تسأله عن سبب احزانه فاخبرها ان السبب الوحيد هو
فراقها متى تزوجت. فنالت له ما يخاطر بالي امر الزواج وارى سعادتي بالبقاء
معك فقال وكان سعدنا يتم لو كنت في الخامسة والثلاثين على الاقل واما
الآن واما ابن خمس واربعين فكيف يمكن ان احظلك لي حفظاً تاماً فدخلت
سيسيليا معه بأسلوب لطيف ففهم منها انها ترضى ان تكون امرأته. ففرح فرحاً
شديداً وتزوجها بعد عشرين يوماً فولدت له ولداً سماه بولس

ولما شاخ لويس تناقلت عليه الامراض ولزم فراشه غير انه كان ياذن
لامرأته ان تدخل في معاشرته الناس لانها فتية تحب اللهو حسب طبيعته امثالها

ولم تفض أيام كثيرة حتى فتن بها شاب جميل المنظر رقيق الحديث يقال له البارون السمسي وما زال يكرر معاشرتها ومغازلتها ويظهر احساساته الغرامية حتى شغل فكرها وتولدت في قلبها شعائر الهوى ثم شغفت به لكنها لم تتورط معه في الغرام صيانة لشرف اسمها وحفظاً لأدائها ولذلك ثقل عليها الحزن واشتد بها الجوى وحرمت منها العيش وطيب الرقاد لكن كانت تجد تعزية في النهايات بولدها بولس

وكان من عادة بعض النساء اتخاذ دفتر صغير يكتبن فيه اسرارهن وبعض حوادث مهمة متعلقة بحياتهن فكانت سيسيليا تكتب كل احساسات قلبها الغرامية لا تكتم فكراً واحداً وتضع الدفتر في صندوق حليها

وفي ذات يوم احتاج المركيز الى ورقة كان يهدئها في مقصورة امراته وكانت هي غائبة فقام بجر نفسه الى ان دخل المقصورة وفش في المكان الذي يظن ان الورقة فيه فاوجدها ووقعت عينه على الصندوق وكان المفتاح في القفل فقال لعل المركيزة وضعها هنا ففتح الصندوق وراى الدفتر ففرما هو مكتوب فيه فطار صوابه وكاد يغى عليه من شدة الغيظ والاسف معاً فارجعه الى مكانه وعاد الى فراشه

ودخلت المركيزة مساءً فقابلها بالبشاشة على عادتها وبعد العشاء قامت لانها كانت قد تعبت ذلك النهار

ولما كانت الساعة اثمانية هبت مذعورة بصوت انفجار شديد وصراخ وحركة مقلقة في الدار فبادرت الى غرفة زوجها فرأت الخدم ينهضون عن الارض والدم يجري من صدره فصاحت صيحة شديدة ووقعت غائبة عن الوجود وثاني يوم شاع ان المركيز قتل نفسه فتعجب الناس غاية العجب واختلفت الافاويل في السبب

وبعد سنة توفيت والدة البارون السمسي وكانت تركتها لابنها وافرة مدخولها نحو ثلاثين الف فرنك فأتى المركيزة وقال لها لم يبق مانع الان من

الاقتراح قبلت وتزوجته بعد ثلاثة اشهر واقام معها في باريس . وبعد مدة شعرت من زوجها انه بكرة ولدها بولس فضايق صدرها واشتغل بالها وكانت قد سمعت من الناس ان زوجها فاسد السيرة كثير التبذير فندمت حيث ذهبت ولات ساعة مندم

وولدت له ولداً فاطمراه البارون حباً شديداً وازداد مفتة لبولس حتى طلب اليها اخبراً ان تخرجه من بيته فوضعت في المدرسة واقامت مع البارون على فتوره وقلة اكتراثه بها وعلمت انه خدعها بمليقاته وانه رجل ساقط المروءة لكن كانت تكتم احزانها ونبيكي سرا ولا تشكو له امرها لعلها انه جاني الطباع قاسي القلب وعاد هو الى منجبه الاول من الفساد والغبور ولعب القمار ونحو ذلك

وكانت سيسيليا شديدة الغلق على الخصوص من جهة ابنها بولس الا انه دخل في الخامسة عشرة من عمره وفاربت مدة المدرسة الانتهاء وهي تعلم ان البارون لا يملكه في بيته من شراسة اخلاقه وشدة كرهه لبولس . فكانت تنوح الليل والنهار

ففي ذات يوم اتى لزيارتها رجل جليل القدر وقال لها است تعرفيني فيجب ان اعرفك بنفسي قبل الحديث . يقال لي فيليب التناري وتعلمين ان ام المرحوم الماركيز زوجك الاول كانت من عائلتي فانا ابن اخيها فيكون بيني وبينك عرق من القرابة لان عمتي جدة ولدك بولس

فسرت البارونة بذلك وسلمت عليه ببشاشة واسته وقالت له فما الذي تريد يا عماء قال اعلي يا ابنة العم اني اتى خصوصاً لاجل مصلحة ولدك بولس لكن قبل البحث في مسالته اخبرك انه لم يبق من عائلتي احد غيري وكنت بعد وفاة ابي رحلت الى جزائر البحر للتجارة واقت في بنافيا كاتبا عند رجل غني اديب فاحبني وزوجني ابنته وجعلني شريكاً له في تجارته لكن الدهر خاني فان امراتي ماتت وكان لي ولدان مانا بعدها بمدة ونوفي حي ايضاً فاخذت حصتي من

الحمل وصرت اشتغل لنفسي حتى بلغت ثروتي مليونين فقدمتُ الوطن لا يبحث
عن بقي من عائلتي فلم اجد احداً الا ابن عمي بولس ولذلك فقدته في
المدرسة وكنيته فوجدته باهر اللطف مهذب الاخلاق شديد الحذق كثير
المروءة واخبرني عما انت فيه من نكد العيش فحزنت على حالتك وتعلق قلبي
بهذا الفتى تعلقاً شديداً فقدتك لا كملك شيئاً بشانك على علم مني ان البارون
ليس في البيت لاني كرهته وما احببت ان يعرفني

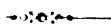
فالان يا ابنة العم ليس لك ولا بنك صديق مخلص النية غيري فلا يجب
ان عزة النفس تمنعك عن قبول معروف في فاخبرني بصريح العبارة ما الذي
تحسين ان اعمله لكما

فكانت سبيليا تنهد ودموعها تجري وقالت له انت ملاك خلاص ارسلك
الله الينا في ساعة الشدة اتيت تنعش كربتي وتجعل لي في مساعدتك ثقة تامة
فاما انا فلا احتاج الى شي لان النضاء حكم علي ان ابقى هكذا واما بولس فهو
محتاج الى معونتك لاني انا لا اقدر ان افعله بشي واذا وقفت على تفاصيل
قصتي عرفت حقيقة حالتي ورثيت لي

وجعلت نقص عايم اخبارها المكدره مع البارون السسمي وما اظهر من
الشراسته والجفا لها ولولدها فصار فيليب يتفكر وبعد برة قال لها هل تقوين
يا ابنة العم على بلية شديدة حباً بمنفعة ولدك قالت نعم ولو اقتضى الامر سنك
دمي قال لا شي سوى الفراق والمضرة احكام فسلمه الي لثجي امالك بحسن
مستقبله والاسقط حالة فتموتين كذا وليس لك رجاء الا من هذا الباب ولي
الامل باذن الله انه سيعود اليك بعد بضع سنين سالماً معافى غنياً مودباً بتقلبات
الزمان فيجي رسم ينو الدارس

فترددت في اول الامر كثيراً واكنه ما زال عليها حتى افعها بوجوب
رحيله فسلمت وبعد ثلاثة ايام سافرت على متون البحار وهو عنده بعزة ولده

الفصل الثاني



حال بولس في بتافيا ورجوعه الى فرنسا

بعد اثنتي عشرة سنة مات البارون السمسي بشلل الدماغ لكثرة افراطه
بالشهوات وكان قد اتلف ثلاثة ارباع ثروته وكان ابنه لاون قد نفا على
طريقته وحاولت امه كثيراً ان تقوم اعوجاجه لكن من اضلة الله ليس له من
هادٍ واعى البطر بصيرته حتى صار مجنون والدته فصارت اماها معلقة باخيه
بولس الشكري

وكان بولس بعد بلوغه بتافيا قد تعاطى التجارة بنشاط وكانت رائجة في
تلك البلاد تنفاطر اليها الامم من كل الممالك لكثرة خيراتها وفائسها الطبيعية
وبعد اربع سنين كان العضو الرابع في شركة فيليب الفناري وكانت ارباح هذه
الشركة عظيمة جداً ولها شريك مشهور في الهند الانكليزية يقال له وليم المجلندي
وبينه وبين فيليب الفناري صداقة قديمة ومحبة أكيدة وله ابنة وحيدة اسمها اوسيا
ففي ذات يوم ورد منه كتاب الى فيليب يخبره به انه مشرف على الموت
ويدعوه ليكون وصياً لابنته الوحيدة وياخذها الى مقره فرحل فيليب واني
بلوسيا وصحبتهما فتاة هندية اسمها سلمي كان والد اوسيا قد وجدها يتيمة فقيرة

مخذولة فاخذها الى بيتو وجعلها نديمة لابنتو فنشأت ككنهاها على محبة نائمة الى ان
تمكنت العلاقة بينها وصارت الواحدة لانصبر عن الاخرى ساعة واذلك
انت سلمي مع لوسيا الى منزل فليب في بتافيا

وكانت لوسيا بدبعة الجمال كاملة اللطف والاداب حتى ان بولس فتن بها
من اول نظرة لكنه بقي كائماً امره الى نعمة الحول وهو عدة حدادها على ايها وكانت
هي قد شعرت ببيلو واحس يو فيليب ايضاً في ذات يوم قال بولس لفيليب ما
عادي في طاقتي يا عماء ان اكتم امري وانا محسوب كولدك ولوسيا كابتك فهل
تري من الموافق ان تكون زوجتي قال يا ولدي العزيز منذ يوم قدومها وجهت
خاطري الى هذا المعنى لان كلاً منكما يلبق بالآخر لكن يجب ان اسالها اولاً ثم
دعا بلوسيا وخاطبها بأسلوب رقيق فظهرت السرور التام وتم اقترانهما بعد
اربعة اشهر

وكان بولس في اثناء ذلك قد كتب تكررًا الى والدته واخيه لاون وكان
لاون يرسل اليه الاجوبة ويظهر له خلوص الحب باساليب ليس اللطف منها
كما هو شان البارعين في ابواب الخيل والمكر . وكان يعلم ان بولس سيعود
الى فرنسا بثروة جزيلة فيجنال على تحصيل حظٍ وافر منها ليبقى متمتعاً ببلذاته
الفاسدة

واما بولس فسلامة قلبه وخلوص نيته كان يعتد ان اخاه صادق بالتودد
ولو كان عارفاً بفتح سيرة لاون اعرف خبئه ونفر منه وكان من طبع امه ان
لا تظهر شكواها فلم تكتب الى بولس بما هي فيه من حال التعاسة ونكد العيش
وفي ذات يوم خلا فيليب ببولس وقال له اعلم يا ولدي اني وعدت
امك ان اعيدك اليها سالمًا غنيًا مغبوطًا فقد نلت الان الغبطة بزواجك
لوسيا والك من الثروة اربعة ملايين فرنكاً هي حصتك من الشركة وكلها في
هذه المحفظة نحاول مالية نصفها على مصرف باريس والنصف الاخر على
العصير في ابن حسان في امسردام وبيراد هلى ذلك ميراث لوسيا من تركة

ابيهما وهو نصف مليون فرنك. ثم تركني بعد وفاتي وهي بالغة الان اربعة ملاين
وهي سهي من الشركة فرحل الان الى فرنسا لتزرك عين امك واذا سمع
المولى امضي انا بعد سنة واخذ المال الذي ذكرته لك وانهي في بيتك اباي
واذا توفاني الله قبل انصرام السنة تأتي انت وتستولي على تركي

فجعل بولس يتاهب للسفر وكان من جملة المستخدمين في ذلك المحل فتي
فرنسوي اسمه شديد الشوري فدخل على بولس قبل سفره بيوم وقال له اعلم
يا سيدي ان شدة العلاقة الودادية بيني وبينك تمنعني ان ابقى هنا بعد
رحيلك لان عيشي لا يكون هنياً فقال له بولس واذا بقيت سلبى هنا فما تقول
فدهش الفتى من هذا الكلام وقال عجباً من ابن علمت سر قلبي قال ان سلبى
لا تكلم عن لوسيا اسرارها وعلمت ان لها ميلاً شديداً اليك وان استاذنا فيليب
يحبك ويحترمك لصدق خدمتك وفي عزمه ان يزوجهك بها ثم يجعلك من
اعضاء الشركة فبعد سنين قليلة تحصل ثروة كافية وتمضي الى فرنسا فتعيش معها
ارغد عيش

وثاني يوم رحل بولس ولوسيا واقامت سلبى باكية لفراق مولاتها لكن
متسالية بشديد الشوري لانه في مدة وجيزة تزوج بها ودخل في الشركة
ولما وصل بولس الى مدينة هاور استقبله اخوه لاون بانس زائد ورقة
عجبية واعلمه بوفاء والدته منذ عهد قريب فخرج عليها بولس جزعاً شديداً وجعل
اخوه بلاطفه ويسليه ومضى به الى فندق جميل فقال له بولس كيف وجدت
هنا يا اخي قال علمت بقدوم السفينة وكنت قد وقفت على رسائك لاي التي بها
تخبرها عن قدومك وان تدبر لك جارية انكليزية امينة وحاذقة في الخدمة
لتكون ملازمة لزوجهك فلما توفيت والدتي وعلمت انا بقدومك اتيت حالاً
الى هنا لاستنملك وكنت قد وجدت جارية حسب الطالب واستاجرت لك
في هذا الفندق غرفة تستريح فيها است والمركبة يوماً او يومين قال وهل
دبرت لنا طريقة موافقة لسكنانا ومعيشتنا قال هذا كان اول اهتمامي واعلم ان

باريس اليوم في حركة عظيمة واضطراب شديد وقلاقل متزايدة من جرى
ثورة جديدة ادت الى خلع الملك وفرار الاشراف وتوقف الاشغال وتعاطم
الخواف فماريت مناسبا ان استاجر لك منزلا هناك لكي وجدت قصرا
صغيرا في بلد مارلي على ضفة النهر في ارض منفردة كثيرة الشجر والخضرة
وجنبية القصر غاية في الظرف والرونق كثيرة الازهار والرباحين والمخائل
النفرة كانها بقعة من الفردوس وهناك الجارية التي ذكرتها لك ومركبة
بسانتها

ففرج بولس بهذا الاهتمام وشكر فضل اخيه ووعده مواعيد جليبة واخبره
بالثروة التي استصحبها وهي اربعة ملايين فرنك فابتهج الخبيث وبالغ في تملق
اخيه

وبعد ايام انتقل بولس ولوسيا الى القصر المذكور واقاما يتلذذان ببعيم
الحياة ولاون عندها يسلك ادق المسالك الشيطانية وكان جل قصده في وضع
اخيه في ذلك المكان المنفرد ان لا يطلع في باريس على اخباره القبيحة ولمناصد
اخرى ستكشف



الفصل الثالث

غراب البين

ومضت على ذلك ايام في اتم صفاء الى ان وردت يوماً رسالة من شديد الشوري يخبره بها ان فيليب توفي واوصى بتركته لبولس ومقدارها من خمسة الى ستة ملايين فرنك ويحثه بها على سرعة القدوم لتصفية الاشغال فحزن المربي حزناً شديداً على فقد هذا الرجل الفاضل وعزم على السفر وعرفت اوسيا وصارت تبكي وتطلب اليه ان يستصحبها غير انها كانت حاملاً وایام ولادتها قريبة فلا يصح ركوبها اخطار البحار واجتهد كثيراً حتى اقنعها بالبقاء وهي مع ذلك واجدة في نفسها ما يحس منذرة بويل شديد وثاني يوم ودعها واوصى بها اخاه لاون وعمار

وحالما غاب عن عينها اتى غراب ووقع على شجرة ونعب فارتابعت اوسيا من هذا الطير المشوم لانها كانت تشاءم بما يتشاعم به اهل المشرق فدخلت منصورتها وجمعت تبكي ومضت عليها عدة ايام وقلبها متعبض كأنها تقبل اموراً هائلة وقلبها في ازدياد ودمعتها لا تشف وكان اليوم عندها اطول من الشهر ولم يزل غراب البين موضوع تخيلاتها ومخاوفها

وكان لاون لا يفارقها الا قليلاً صابراً على تقلبات الزمان وقادحاً زناد فكرته لاييجاد الوسائل الفعالة التي توصله الى غايته وكان دائماً يلاطف امرأة

اخي ويسلمها بكلام رقيق ومواعيد حسنة ويلومها على هذه الاوهام التي كانت
نغصة ايامها

وبعد اربعة اشهر ورد كتاب من زوجها يخبرها به انه وصل بسلامة
وياتي عن قريب فاطمأنت قليلاً

وكان بولس قد صفي اشغاله وبلغت الزركة خمسة ملايين فرنك منها
ثلاثة ابقاها في المحل بطلب من الشركاء على ان تكون الفائدة عشرة في المئة
الى اربع سنين وجعل وكالة صديقه الشوري وخصمه من الربا المذكور بنصفه
واما المليونان الاخران فاخذ بها تحويلين وارسلها ضمن كتاب الى اخيه لاون
وكتب ايضاً الى لوسيا رسالة يعدها بها انه يصل بعد خمسة ايام من وصول
هذه الرسالة فطابت نفسها جداً واملت بقرب اللقاء غير مبالية بقول الشاعر
ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فانقضت الايام المذكورة وبعدها مثلها الى ان مضى اسوعان ولم يظهر
المرکز فاشتغل خاطرها وعادت اليها المواجس الخفية وصارت احزانها تزايد
يوماً بعد يوم وسلفها لا يستطيع ان يسلمها وقد خالج فواده ان يلاً اصاب اخاه
في البحر وكان يسمع الناس يتحدثون بنو شديد استمر خمسة ايام في البحار ولا
يعلمون حقيقته ما نتج عنه وكان كل يوم ياخذ الجرائد ويقراها لعله يعثر على
خبر غرق السفينة التي اتى بها اخوه وكان قد ذكر له اسمها في رسالته على رجا
ان يحصل على تلك الثروة الجزيلة . خاطر لم يخطر على قلب فيه مثل الذرة
من شعائر الانسانية

وبعد ايام قليلة قرا في احدى الجرائد ذلك الخبر المائل فكاد لا يصدق
من شدة فرجه وقد علم ان نوتين فقط نجوا من الغرق وركبا سفينة
انكليزية فدخلت بها انكلترا ومنها ركبا سفينة الى فرنسا واخبر الناس بغرق
تلك السفينة

غير ان لاون بقي بين الشك واليقين ومنعه شدة فرجه عن التصديق ولم

بر من الصواب ان يطالع المركيزة على هذا الخبر الهائل قبل ان يتحقق بنفسه
وتنفى كل شبهة . فبعد تروى قليل دخل منصورة المركيزة فسأله فقال الاخبار
كما كانت اما اليقين فلا احد يعرفه ثم جعل يخبرها بان قصده التوجه الى
مدينة هاور يسال هناك اصحاب المراكب او احداً من النوتية الذين اتوا
حديثاً من تلك الاقطار وبذلك يتحقق الخبر اليقين ويأتي فيخبرها فقبلت
بذلك ونفسها حزينة وقلبها منكسر وهي لا ترجو خبراً مفرحاً

وعند ذلك قام لاون ودخل غرفته وليس احسن لبسه وافند ما عنده
من الثروة بين ورق وعين فكان عنده بقيمة ثلاثة ملاين وفي مصرف باريس
ثلاثة اخرى وكل ذلك محوّل لاسمه بتوقيع اخيه حتى يكون مطلق التصرف به
وان في بنافيا ايضاً ثلاثة ملاين الى اربع سنوات فهذه ثروة لا يكاد يصدقها
في الحلم

فاخذ في جيبه صرة من الدنانير وركب مركبته وقصد هاور وصار يتجول
على الميناء فوقع نظره على نوتي جالس يدخن بغايونه فتقدم اليه وحياه ثم دخل
في معاشرته واخذه الى خماره وجعل يسأله عما جرى بالتفصيل . وذلك لان
النوتي المذكور اعلم انه كان من نوتية السفينة التي اتى بها المركيز بولس . استدل
لاون على ذلك من حديثه لانه اخبره بصفة رجل كان بالسفينة . ومن تلك
الصفة تحقّق انه اخوه . وقص عليه خبر غرق السفينة بتفصيل كافٍ وان عشرة
من الرجال لم يفرقوا من اول دفعة بل بقوا يخطون في اللجة الى ان ابتلعتهم
المياه ولم يعد يرى احداً منهم وانه نجا بقوة سماوية مع رفيقه الاخر

فلما وقف لاون على الحقيقة لم يبق عنده شك في غرق اخيه فاخذ يحسب
الحسابات المختلفة في كيفية التصرف بهذه الملاين والحصول عليها بطريقة مأمونة
فلم يجد في سبيله ما دعاه الا المركيزة لانها تشاطره طبعاً تلك الثروة ثم انها ستلد
ولداً سيكون الوارث الشرعي لاييه . فلا ينال لاون من هذه الملاين الا جزءاً
حقيراً . فاسودت الدنيا في عينيه وضاق صدره واحترق في امره . كيف يتخلص

من هذه الورطة الوحيدة. ما المحيلة. ما التدبير لاستبداده بهذه الاموال والمركبة موجودة

وبعد تبصر قليل اشرق جبينه ولمعت عيناه وقد اطمان باله لانه اهتدى الى طريقة شيطانية يتمكن بها من الحصول على ما هو ولا تكون المركبة مانعة له . فركب من ساعته مركبة واتى بسرعة الطير الى بلد مارلي ودخل غرفته وارسل الجارية تعلم سيدتها بانها بعد دقائق يدخل عليها وكانت المسكينة في انتظاره كأنها على حجر الغضا فصارت تمشي وقلبها يخفق لانها في تلك الساعة تعلم الخبر اليقين فاما ان تتعش نفسها او تكون اخرتها

ثم اقبل لاون الى مقصورتها فرأت على وجهه امارات الكآبة وتغير العحة فازرعت وارمحنت كل اعضاءها وتلاشت قواها وكادت تسقط لو لم يندارها وبأخذها بيده وبجملها على المتمد . ثم جثا امامها على ركبتيه واخذ يديها وصار يقبلها ويبللها بالدموع

وفي رهة صامتاً حتى سكن روعها قليلاً وانتشر الدم في بدنها ونصاعد بغزارة الى راسها . فرأت لاون بتلك الحالة فنفر قلبها منه وسحبت يديها من يديه وقالت بصوت جاف ما هذا العمل فتمض لاون وجلس بازائها فسألته ما عرف من الاخبار فقال وعدتك اني لا اكنم عنك الحقيفة كيفما كانت لكي اخاف ان انكلم

وبعد محاورة قليلة اطلمها على حقيفة الخبر وقص عليها كيفية غرق السفينة وركابها بوجيز العبارة وقال لها اخيراً ان اخر كلام نطقي به قوله « لاون لاون اوصيك بعزيتي لوسيا وولدي ليس لما معين ولا ولي غيرك »

وكانت لوسيا في اثناء كلامه ترتعش من وقت الى اخر ارتعاشاً عصبياً وكانت عيناهما ملتفتين وهي تنظر اليه نظراً حاداً غير مالوف فقال لها بعد سكوت قليل يا عزيتي لوسيا لو تعرفين مقدار محبتي لك وخلوص نيتي وقد

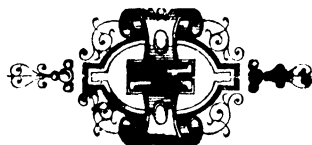
الم هذا الخطب بكليتنا وما بقي لنا الا الصبر ويكون الولد الان في تعزية لنا .
وقد اوصاني خصوصاً بك وسنرين من محبي والنفاني ما تقرُّ به عينك وأكون في
مقامك كأنه هو نفسه برعاك وبعد مدة المداود وستين اذا شئت نتحد اتحاداً
لا انفصال بعده وليس شدة الا وبعدها فرج

وكان هو يتكلم وهي شاخصة فيه كالاول ولم يكن في نظرها ولا هيئتها ما
بدل على فهم او نثر ولم يبيكنه ضميره وهو بلفظ هذه الالفاظ التي تشتمل منها
النفوس الالية بمثل هذا الوقت وغرة سكوتها فظن انها مرتضية من كلامه
وكانت هي بالحقيقة تسمع صوته ولكن لا تفهم شيئاً من كلامه لان فكرها شارد
بعيداً ولم يشعر هو بتمض هيئتها وشرود نظرها وحركات عينيها الغريبة وسكوتها
العجيب وداخل قلبه انها تميل اليه لانه يستحق ميل امثالها وأيد زعمه هذا ما كانت
تبدية له من الملاحظة قليلاً وكذلك سره استماله غيرها من الصبايا المعبودات
في باريس فهاج به الوجد هياجاً شديداً وبلغت به الجسارة الى حد الوقاحة
فتمض وركع امامها وصار يلاطفها فتتمدت فظن ذلك جواباً كافياً فوضع
يده حول خصرها فاحت راسها اليه فرفع اليها نظره واطهر لها احساسات
الغرام وصها اليه وقبل شفتيها فتراجعت مرتعدة وصاحت صيحة شديدة
وافانت من يده ووقفت وهي ترتجف والشرر يتطاير من عينيها فوقف هو
امامها دهشاً وما علم ما هي فيه وراى من هيئتها ما اخافه غير انه تجدد ونفى
الخشية من قلبه وطرح حجاب الحياء وعزم ان يكلمها كلاماً جافياً كمن له ساهطان
مطلق وخطت نحوه خطوتين الى ان كادت تمسه وكان نظرها ذا حركات
غريبة ورفعت يديها ودفعته بكنتيه دفعة شديدة وقالت له يا خبيث يا شقي
ثم تباعدت وهي ترتجف وعاد نظرها الى لطفه الاول وصارت تنظر حولها
كالذهولة وكأنها لا تعرف شيئاً ما ترى وهي غير مبالية بلا لون كأنه غير موجود
وهو يتأمل فيها بحيرة شديدة ثم جعلت تدور في المنصورة وهي تقول آه .
وتكررها بارتناح صوت متتابع ثم تقدمت الى الشباك ونظرت الى الجنيته ورفعت

عينها الى اعالي شجرة كبيرة وقالت ها هو . ها هو غراب البين . فاندش
لاون واسرع ووقف وراءها ونظر فلم ير شيئاً ثم قالت آه غراب البين ما اقبه
ما اشأمه وجعلت تنعب كالغراب وتردد بصوت غريب حكاية صوته وهي
« غاق غاق » ثم ارتعدت من قرس البرد وقالت بوه بوه برد شديد لا اقدر
ان البس فسطاني الابيض واخرج الى الحديقة لنفطف الزهور . الورد العطر
الذي تعانقه الفراشة الزرقاء لكن يجب ان اجمع لاني باقية حسب الوعد . ما اسم
ابي . عجبا نسيت . وبله باق . هناك ما اخبت منظره غراب البين اذهب اذهب
تغاق غاق

وكان لاون يسمع هذا الكلام وهو طائر الصواب وقال جنت المسكينة
جنت واسفاه وراءها ترعد من البرد وهي على المقعد فاغلق الشباك وتقدم اليها
ودعاها باسمها فنظرت اليه كالخائفة وقالت صه . صه . اسكت . غراب البين
يفتش علي . خيبت الطائر الاسود خفت منه ابن اخني ثم لممت نفسها وجمعت
اعضاءها وسنرت راسها بوسادة وضحكت ضحكة المجنون وقالت اخبات .
استنرت لا يجدني

فضاقت الدنيا في وجه لاون وقد اقشعر بدنه من هول هذا الحال وخرج
من المنصورة مهرولاً وصادف الجارية فقال لها ويلك . مولانك . ادركها ...
ما اعلم ماذا اصابها مجنونة



الفصل الرابع

بَلِيل

وحينئذ دخل البارون غرفته وهو متغير مضطرب معربس الأفكار وقد رأى ان امانيه صارت عنه بعيدة فبينما هو يتبصر في حاله ومستقبله ذكر ان صديقاً له يقال له المركيز البرسلي حدثه يوماً برجل مشهور بالدها والمكر والحيل والدسائس وسداد الرأي وحسن التدبير يركب الاخطار ويتنعم الاحوال لا يرهب وبلاً ولا يخشى فشلاً له مقدرة في الاعمال السرية لا يستطيعها الا جنود ابليس وانه يخدم خدمة نصوح في عظامم الاعمال من يجزيه حق جزائه واسم هذا الرجل بليل (وقد مرّ طرف من اوصافه واعماله في ديباجة الكتاب) فمش لاون هشاشة الماكر وقال هذا هو المطلوب لا بد ان التقي هذا الرجل واستشيره وأعتمد عليه في التدبير

ونفض من ساعته وخرج قاصداً صديقه البرسلي ومعه عليه بالكلام مظهرًا انه يطلب مقابلة الرجل بليل الذي اخبره عنه لاستشارته في بعض مصالح تجارية فكتب البرسلي رقعة الى بليل يخبره بها عن اسم البارون وانه يقابله قبل الظهر بساعة وارساها في الحال

وكان بليل في ذلك الوقت جالساً في حجرته مكثراً وقد زادت هيئته الوحشية فنجماً وامامه على الطاولة هذه رسائل يقرأها ويزداد غضباً ويقول

فبما لمذه الايام الخمسة كان الناس قد سكنوا واهتدوا واخذوا باذيال الادب
 اين شرور العالم اين فساد الاخلاق اين اصحاب الدها والحبل والحبت ما لي
 لا ارى احدا في هذه الايام يقصدني في مثل هذه المصالح التي هي دأب ابنا
 الزمان اين ابليس عن الوسوسة اليهم وفتح سبلو لديم هل انكسرت شوكتة ان
 خذل وطرح في الهاوية هذا لا يكون لكن ما عهدي به النفاصي الى هذا الحد
 قد جاءت ذنابي وقلت التفتة فلا يمضي وقت طويل حتى يقتروني ولم حق
 لانهم جنودي الاختصاص وعليهم اعتمادي وهم ناصحون لي في الخدمة . . . ما
 العمل . ما التدبير ما ارى الاراسائل ترد الي في طلب النفقات ولست احظى
 برسالة تنفع لي باب رجا جديد . يا اللكمة . أأبني على ما انا ام اغير مهنتي ام
 ماذا اعمل . صبرا صبرا . سئل الشر لم تزل رحبة والناس لا يزالون بطرقونها
 لا اخشى خيبة لان ادهامهم واحيلهم يحتاج الي وعلى الاخص في عظام الامور
 وبينما هو يفكر هكذا دخلت قهرمانه بيته وناولته رقعة البرسلي فحالم
 نشرها وقراها اشرق جبينه وتلالت عيونه طربا . وقال هكذا عهدي
 بالناس لا تبطل شرورهم وهي لي كنز مفتوح ثم قال المرأة ليدخل البارون
 فخرجت ودعت به وكان بايل قد جلس جلسة الوقار واتخذ هيئة من تراكت
 عليه الاشغال ودخل عليه البارون فلم يرفع راسه حتى صار بجانبه فنهض
 وحياه وقال العفو ايها البارون اشغالي كثيرة جدا وافكاري مضطربة من كثرة
 اهتمامي بمصالح الناس واعلمك قادم في مصلحة فاذا كان كذلك فاعمل معروفا
 وقص علي حديثك بعجلة وتصريح بلا مواربة لان الوقت لا يمكنني من طول
 المباحثة

فجاس البارون وقد تعجب من هذا الرجل واخذ يخبره بخبر اخيه المركيز
 وتزوجهم وغرقه ولم يذكر انه من ثروته الامليونين جعله مفوضا في التصرف بها
 وان امراته قد جنت وهي حلى قرية الولادة وليس لها اقرباء ولا من يسال
 عنها الاصدية في بنانيا ليست ذات اهمية وان اخاه ايضا حديث العهد بدخول

فرنسا بعد غياب عدة سنوات ولا يعرفه احد الا بالاسم فقط وقد شاع خبر موته ولا عزاله في بلد مارلي وعدم معاشرته للناس لا يعرف احد ان له امرأة الا جارينها واربعة خدام في القصر وان غاية مرامو تدبير طريقة يستبد بها بثروة اخيه لئلا يدعيها ولده اذا نشأ

كل هذه الافادات ظهرت باسئلة لبيل المختلفة واجوبة البارون فقال له لبيل اخيراً بعد تبصر طويل هانت المسألة ودبرته ما يلزم لراحة افكره فاعلم ان اول كل شيء يجب ان تتم به هو اخفاء المركيزة ثم ولدها والطريقة الوحيدة لذلك هي ان نأخذها الى بلاد بعيدة جميلة اعرف بها قصرًا خرباً مهجوراً فاستأجره واضعها فيه ولوكل بها من اعتمد على امانه واذا ولد الولد وعاش نضعه في مكان منقطع او في طريق ونتركه فاذا وجدوه يقولون هذا لنطفة ونجلبونه الى دار اللطفاء . وتدعي انت امام الخدم ان هذه المرأة التي اتى بها اخوك ليست الا معشوقة له شغف بها وشغفت به وانت معه من وطنها ليجلي بها في وطنه وينضبا عيشة هنيئة وان لها اقرباء في انكلترا لا يعلمون بحالها فلما مات المركيز كتبت رسالة الى اهلها تعلمهم بحالها وتنتظر ان يرسلوا من يأخذها ثم لم تعلم بعد ذلك ما جرى عليها وينتشر الخبر في هذه البلاد على هذه الكيفية فتكون انت قد نجوت من ورطة وخيمة وتستبد بثروة اخيك . لكن لا يجب ان تذكر بل تكفي بمدخول المال الى بضع سنين لان خبر غرق اخيك لا يمكن ان تخفنه بمجرد افادة النوتي فكما ان هذين النوتين تخلصا كذلك يمكن ان يكون اخوك ايضاً قد نجى بطريقة اخرى فاذا مضت خمس سنوات مثلاً ولم يظهر له اثر ولا سماع عنه خبر يتم ما نشأ وتندبر في امر امرائه وولده

فالان يجب ان تباشر السعي . عليك الثقة والطاعة وعلى التدبير والعمل فكم معك من المال قال عشرون الف فرنك قال هذه قليلة لكنني للمباشرة توزع بعضها على مستخدمي وتبقى الباقي في الاستعدادات الاولى وبعد الغد تراني داخل القصر في بلد مارلي بزي تستعربه مني . لان من طبعي ان الدس

أكل حالة لبوسها وأظهر متلونا كتلون المحر بآء حتى ان من يراني الان ويراني بعد ساعة لا يفتر ان يعرفني وهناك في القصر اجري حديثاً امام الخدم واعمل اعمالاً يخفون بها صحة ما تكون قد قلت انت

فتنهض البارون وقد دهش من مكر هذا الرجل وأكبر دهائه واستغرب حيلة واما بليل فقام وتزيأ بزي الاشراف وخرج يتجول في الاسواق مرتاداً من يثق به من معتد به حتى يعلمهم بالمسألة ويشرح لهم طريقة المسمى المطلوب منهم وثالث يوم كان البارون في القصر يتحدث الخدم والجارية الانكليزية بما امره بليل ويدفع لهم رواتبهم وفوق ذلك هبة لكل واحد مقدارها الف فرنك على ان يمشوا بضعة ايام حتى يرد الجواب من انكناز ثم ينصرفوا كل لشانه فشكروا فصله وعجبوا من فرط سخائه واستغربوا قضية هذه المرأة التي ظنوا من ذلك الوقت انها كانت حظية المريكز لازواجه وقالت الجارية الانكليزية تباً لها والله لو كنت عالمة ان هذه صفتها لما خدمتها يوماً واحداً

وفي تلك المعانة طرق باب القصر فخرج احد الخدم وفتح فوجد رجلاً لا بساً ليساً جميلاً نذل هينته وشيبته انه من الاطباء الكبار يناهز الستين من عمره فسأله الرجل عن البارون فدخل الخادم واخبر مولاه ثم دخل الرجل بامره فاستقبله البارون في القاعة الكبرى واراد ان يغلق الباب فقال له لا بأس ايها البارون من ان يسمع الخدم حديثاً وان كان مهماً لكنه ليس سريراً فوقف الخدم ونشروا اذانهم

وجلس البارون بازاء هذا الضيف الغريب فقال له ايها البارون ربما عجبت من زيارتي وانت لا تعرفني فيجب ان ابدأ بالكلام واخبرك بشأن قدومي أفلمست انت الذي كتبته الى السرا دسون في انكناز ان ابنة اخيه هنا مجنونة وطلبت اليه النظر في امرها وصرت نعتنظر الجواب

فطن لاون حالاً بمحدث بليل وعرفه فزاد اعجاباً به وقال له نعم يا سيدي لاني لا استطيع ابقاءها في بيتي وقد كنت اخاصم اخي لاجلها لكن ما العمل كان

مصرّاً على ابقائهما فلزمت الصبر واما الان وقد مات اخي وجنت معشوقته فكيف
يمكن ان ابقهما عندي ولو كانت في سلامة عقلم.

فقال بلبل حنك ووضح ايها البارون ولذلك حالما بلغت رسالتك عنهما
بادر الى الاهتمام بامرهما. وكان قد كرههما جداً لتبع سيرتهما لكنه رحبهما بعد ان جنت
وحيث لا يسمع له شرف اسمه ان يدخلها بيته كلم بشأنها طبيب المارستان العام
صديقي هنري المشهور شاعر عظيم في تطبيب المجانين فارسل اليّ كتاباً يذكر فيه
اعتماده عليّ في هذا الفن من الطب ويطلب اليّ ان اخذ المرأة الى بلدي
وارسلها بعد ورود رسالة اخرى الى المارستان الانكليزي وهما هي الرسالة ورسالة
اخرى اليك من السيد ادسون يطلمك بها على النضية

فتناول لاون الرسالتين وقراها على مسمع من الخدم ثم قال الامر لك
باسيدي لا استطع ان اخالك فقال له اليوم مساء آتي في مركبة ومعى امرأة
اركن اليها في حسن معاملة المجنونات فتأخذها مع ما يلزمها من الامتعة وبعد
ذلك خرج بلبل وشبعة البارون واخبره سرّاً بالمبلغ الذي تقتضيه النفقات فكان
مئتي الف فريك ثم يضاف عليها كل سنة خمسة وعشرون الف فريك فلم يندر
البارون ان يتردد عن الاجابة لانه صار في قضية هذا الرجل العجيب وهو
لا يندر ان يستغني عنه لاجل الحصول على ملايين اخيه

ولما كان المساء اتى بلبل والمرأة التي ذكرها في مركبة كبيرة وكان الخدم
قد اهتموا برزم امتعتها اللازمة فتناولوها الى المركبة واخذت المرأة بيد لوسيا
ودخلت بها المركبة مع بلبل

وتاني يوم جمع البارون تحفه وامواله وأذن الخدم بالانصراف وترك ذلك
القصر مهجوراً ونحدث الداس بقصة المركبة مدة شهر ثم تنويسي امرها كان لم
تكن

واما البارون فحالما دخل باريس استاجر قصراً ظريفاً وعزم على
الظواهر بعيشة معتدلة كما اوصاه بلبل فلم يكن عنده الا مركبة واحدة وثلاثة خدم

وكان يظهر للناس بثوب الحداد وانقطع انقطاعاً تاماً عن معايشة السفلة واتخذ هيئة الهدوء والوقار واداب الاخلاق ولجأ الى صديقو المركز البرسلي حتى يعرف به اصحاب المقامات من اهل الشرف والادب والعلم والسياسة فكان يظهر البشاشة والحيا ولبس الجانب وسلاسة الحديث حتى استمال اليه قلوب الذين عاشروهم وكان اصحابه الاولون من اصحاب الزهو والنصف اذا قصده لا يبش بوجههم ولا يكثرون فيهم فصاروا يتجنبونه حتى انقطعوا عنه انقطاعاً تاماً وصار اصحابه الجدد يزورونه زيارات لائقة باهل الادب وهو مع ذلك ملازم الاقتصاد لا ينصب ولا يثمل ولا يفتخر بالفراخ فنال شهرة حسنة جداً وصار الجميع يمدحونه وقد تغيرت سيرته تغيراً تاماً

وكان في ليالي الافراح والرقص يدعى دعوة خاصة فيلزم جانب الحيا والادب ويكثر من التحدث الى عجائز النساء دون اهتمام عظيم بالصبايا فنال عند النساء مقاماً رفيعاً وصار اهتمام اخص صديقاته في وجود فتاة شريفة تليق به ليتزوجها ففي ذات يوم عرضت عليه دوقة مشهورة بتنفيذ الكلمة فتاة يتيمة شريفة الحسب والنسب ليس لها احد من الاقارب الا وصياً شيناً احسن تربيتها وتمذيب اخلاقها وحرص على ثروتها حتى بلغت ثلاثة ملايين فرنك وهذه الفتاة اسمها اقليميا الوقورية وكانت باهرة الجمال بدعة الخصال وكان البارون قد رآها تكرر افاظهر مائة اليها وسعت له الدوقة بها ولم تنص اربعة اشهر حتى تزوجها

وعند ذلك اشار عليه بليل ان يسلك المسلك الذي طالما كانت نفسها تمفو اليه وهو يفسرها خبثاً ورياء فشرع في ظهوره الموروث من ابيه وتورط تدريجاً في آسباب الزحف والشهوات الدنية حتى صار علة لامرته ومكرهه لجميع الاشراف ووادت له امراته صبيّاً وبناتاً وهما راعول وملكة فكانت بهما سلواها في احزانها الشديدة

الفصل الخامس

شديد الشوري وسليبي

وبعد شهر من غرق السفينة التي كان فيها المركيز بولس الشوري وصل الخبر الى بتافيا فاشتغلت افكار وكيله وصديقه الاخض شديد الشوري فكتب الى البارون السمسي يستعلم منه جلية الخبر فورد اليه الجواب بما كان غير انه تعجب من كون البارون لم يذكر شيئاً عن المركيزة وكانت سليبي ايضاً قد كتبت اليها . ومضى شهران ولم يرد جواب فكتب شديد ثانياً وثالثاً ورابعاً وكأه ينفخ في رماد فتعبر جداً وحزنت سليبي حزناً شديداً وقد ظنت ان وبلاً اصاب المركيزة . وصار شديد كثير الظنون والفلاقل ولم يجد داعياً لهذا السكوت النام الا ان يكون قد حدث حادث غريب الشان فصبر على مجرى التفادير

وفي تلك الايام كان نطاق التجارة المختصة بشركة الفناري قد اتسع ففتحوا محلاً ثانوياً بالهند وارسلوا اليه نائباً شديداً لتفتهم بامانه وحذوقه فضى هو وسليبي وياشر الاعمال بنشاط وهمة حتى ذاع صيته في تلك الاقطار

وبعد ثلاث سنوات ونصف كتب الى الشركة يستاذن بترك المحل ثم انتهى اشغاله فوجد ان ثروته صارت نصف مليون فرنك واخبر سليبي ان مراده قدوم فرنسا والبحث عن المركيزة وولدها وطالب من الشركة اموال المركيز

وكانت قد بلغت اربعة ملايين ونصفاً فاخذ بها نحوياً الى محل ابن حسان في
امستردام

وركب سفينة لشركة الهند الانكليزية فاصداً الوصول الى امستردام قبل
كل شيء فبلغها بسلام هو وسليبي مع انها كانت حاملاً منذ بضعة اشهر وقابل
ابن حسان وتحدثا ملياً ووقفه شديد على احوال المركيز وما صار اليه ولم يكن
ابن حسان عالماً انه تزوج ثم جرى البحث بينها بخصوص المركيزة وكان كل
منهما قوي الظن ان البارون اخفاها الدبسة شيطانية لكي يستولي على ثروة
اخييه . واخذ يوصي شديداً بالاحتراز والنيقظ في البحث وان لا يعلم احداً قبل
وقوفه على حقيقة الحال واخبره ايضاً بما كان عليه البارون السوسي من فساد
السيرة وما تلاقي امراته منه من نكد العيش وانه قبل ان تزوج بقليل ظهرت
معه اموال وافرة ففتح شديداً من ذلك ومن عدم مجاوبته مدة طويلة انه عمل
مكيده عجيبة

واخيراً تسلم ابن حسان المال على ان يبقى عنده بالربا الى ان تطلبه
المركيزة بنفسها او شديد الشوري وقيد ذلك في الدفتر الخاص ببني حسان
وهو سجل كبير مذهب تكتب فيه الاعمال المهمة والاسرار التي لا يجوز كشفها
الا لهذه العائلة وكانوا يتوارثونه خلفاً عن سلف مع المحافظة الثامة على الصدق
والامانة وحفظ الاسرار صيانة لشرف اسمهم المشهور بالاستقامة

وبعد انقضاء الشغل سافر شديد وامراته الى انكلترا ومنها الى فرنسا ثم
دخل باريس واستاجر غرفة في احد الفنادق واخذ من ثلثي يوم يهتم بالبحث
عن المركيزة عاين ما قصد بلد مارلي ولم يكن في الفصر حينئذ الا البستاني
وامراته فسأل البستاني بعض اسئلة استتبع منها انه لا يعرف صحة الخبر عن المركيزة
لانه لم يكن هناك في عهد هالكنه ذكر له ان البستاني الذي كان في تلك
الايام موجود وارسل احد اولاده ليستدعيه

فلما اجتمع به شديد اخذ يقص عليه ما عرف من احوال المركيز وهو

يظن في مدحه ثم ما جرى بعد موته من الحوادث وما شاع على السنة الناس من امر المدعوة مركيزة وقد سبق تفصيل ذلك في محله . فكان شديد في اشد الاضطراب وقد اسودت الدنيا في وجهه وقامت عيناه في ام راسه وانتشر الدم حاراً في عروقه وكاد يخرج عن دائرة الاعتدال لانه رأى ان البستاني وسائر الناس مصدقون لما اشيع من تلك الازاحيف الكاذبة لكنه كظم غيظه اتباعاً لمشورة ابن حسان وعاد في الحال وهو يبرر ويستمر وبعن ذلك الخبيث الماكر الذي ارتكب هذه الفظائع . وصار يقول لولا حرمة امراته وكرامة ولديه لقاتلته في هذه الساعة بجزاء عمله . لكن صبراً

وما زال شديد يستقصي البحث في كل مكان وهو يحاذر كشف شيء من اسراره عدة ايام فرأى ان كثرة بحثه بنفسه لا يجديه نفعاً فاخذ يسال عن احوال البارون السمسي وعائلته فوجد كل الناس يشنون جليلاً على اداب امراته ومروءتها ويشعرون البارون شتما واحتقاراً فعزم ان ينصدها ويدخل معها في هذا البحث لعلمها تعرف ابن اخفى البارون المركيزة فكان من امره معها ما تقدم ذكره في ما قصته على القائد الجردى . وقد ذكرنا هناك انها كتبت رسالة الى شديد نعلمه بمكان المركيزة وان الخادم خانها وسلم الرسالة الى البارون وان البارون قرأها وارسلها الى شديد وكان تفصيل ذلك انه حالما اطلع عليها شعر ان الارض تخسف تحته من شدة الخوف فبادر الى بليل واطلعه عليها وتشاوراً ساعة واخيراً اخذ بليل مغلفاً جد بداً وكتب عليه عنوان شديد الشورى مقلداً خط البارونة وقال للبارون يجب في هذه الساعة ان تبعث الخادم الذي اتاك به لیسلمه الى شديد لاني قد علمت على اهلا كه ولا بد من ذلك لان في حياته خطراً عظيماً علينا فيجب ان يمضي الى بلنكور في اقرب وقت ولكي لا ادعه يبلغ الغاية

ثم ان بليلاً خرج وارسل خادمه الامين بريصاً اللعين ليرصد خروج شديد فعرف بما عزم عليه من الرحيل الى بلنكور فصد الاثنان محطة الطريق

الحديدية مخفيين بزي فلاحى بلاد فوجة وركبا النطار الذي ركبته شديد ثم
سبناه من رمومون الى ورنجله لانه اضطران يمكث في رمومون لاستراحة سلبى
من مشقة السفر

وقد ذكرنا بالتفصيل ما جرى بعد ذلك من الحوادث في دياجة الكتاب
والكى يكون بلبل آمنا من كل معذور ذهب بتلك الحيلة الغريبة الى منزل شديد
في باريس واحرق كلب الاوراق وابقى لنفسه مجوهرات سلبى ولهذا خفي سر
الحادثة خفاء تاما

ومن اللزوم ان نذكر هنا ما جرى على المركيزة بعد ذلك فنقول
كانت المرأة الموكلة بها قد ضجرت من عيشتها وكرهت معاشره امرأة مجنونة
وكانت تطلع ليلا على كل احوالها والتمست منه بالحاح ان يخلصها من هذا
الاسر الا ليم فبعد ما سكنت التلاقل المتعلقة بمجادنة شديد الشورى وامرانه
ذهب بلبل مطمئنا متكررا واخذ المركيزة والجارية ليلا على ما ذكر الشيخ العزى عن
لسان الحارس ولم يزل سائرا بها الى ان توسط غابة كثيفة بعيدة عن العمران
وذلك بعد مسير ليلتين فامر الجارية ان تاخذ يدها وتجلسها على شفير هوة تحت
الطريق ففعلت ما امرها ورجعت معه الى فرنسا ومن ثم استراح باله وبال
البارون السمسى ولم يسلا بعد ذلك عما حل بالمركيزة وكرت الاعوام والامر
مكتوم . وستأتى بقية خبرها في مكان اخر



الفصل السادس

هبوط

من الامثال المألوفة ما لا نعب عليه الايدي لا نخرن عليه القلوب ومن
 يصرف ولا يحسب يفتر ولا يدري. قلنا سابقاً ان البارون السعدي سلك مسلك
 البذخ والاسراف وكان يبذر ماله جزافاً بين الملاهي الدنية والملاذات البدنية
 والشهوات الحيوانية لان ثروة اخيه وافقت طبعه المائل الى النساد وانه هجر امرأته
 وعدل عن صحبة الاشراف الى معاشره الاواباش . وما زال يشق من ذلك
 الحوض الذهبي جداول شتى حتى نفذ ما فيه فاستفاق على نفسه بعض الاستفاقة
 فصار يسك يده عن النفقات الفاحشة لكنه لا يستطيع تقيراً وقد بلغ من
 الشهرة في العز والترف ما لم يبلغه احد من ابناء عصره فاضطر ان يلجأ الى
 الدين فاستدان على طول المدة مبالغ وافرة من زبد وعمر وبكر ورهن بها
 كل ما كان يملك من العمار والاراضي والذي اوجه الى ذلك خصوصاً خلية
 فنية ذات غنج ودلال وحسن وجمال استأسرت قلبه وخلبت له حتى كان لا
 يخالفها بكلمة ولا يسك عنها شيئاً من مطالبها الفاحشة ولما شعرت الخبيثة بهبوطه
 من ذروة الغنى الى هاوية الفقر عزمته ان تكثر من ذلك المال الباقي كثيراً
 يضمن لها تمام الراحة فكانت كل مدة تباع شيئاً من خيل او جواهر او مرصعات
 وتحز ثمنه وتقول للدارون « تغيرت الموضة » فيلتزم ان يتباع لها بدلاً ما
 باعته واذا قاومها مرة تقول له نعم اني احبك ولا اريد ان اتركك على ان تبغيني

مشتهياتي والآن فكثيرون من أمثالك يمتنون لمس يدي فيسكت صاغراً
وفي تلك الأيام دخل باريس شاب برازيلي يقال له بطرس النمسطري
وكان صاحب ملايين كثيرة لكنه بارد الطبع ينفق جزافاً على غير ما يسر نفسه
مجاراة لعادات الاغنياء في باريس فتعرف اول كل شيء بالبارون السهمسي
لكثرة تحدث الناس به وجاراه في مشاريعه وجعله مدبراً له في معاشرته القوم
وطرق الاشتهار حتى تمكنت العلاقة بينهما وكثرة دالة البارون عليه وآل به
الامر الى ان صار يفترض منه المائة الف والمخمسين الفا وما يقارب ذلك والرجل
لا يصدّه كلما طلب حتى انذهل من كثرة نفقائه وعدم مبالاه بالمال فساء له يوماً
ما تبلغ ثروتك يا اخي فقال من عشرين الى ثلاثين مليوناً فبهت وكاد
صوابه يطير وعزم على تمكين العلاقة مع هذا الرجل ودخول ابواب الخيل للكسب
منه لكي يتيسر له وفاء بعض الديون وقد علم ان اصحاب الديون سيلاحقونه في
امدٍ قريب ولا سبيل له الى النجاة من تشديداتهم وسوء عاقبتها فصار لهذا السبب
ولهذه ايضا ان صاحبه بطرس غير مستقر في باريس لانه غريب وسياح ببالغ
في طلب مبالغ مختلفة

وانتق مرة ان بطرس سأله ان يسمع له بغلامه وسائق مركبه لان البارون
كان كل مدة يصرف واحداً من خدمه تخفيفاً للنقطة فياخذه بطرس الى خاصته
وكان يوم طلب منه الطلب المذكور قد اتى قصر البارون رجل حسن الهيئة
بيده شهادات تنبئ باستقامته وصدق خدمته وأنه يقوم مقام غلامه وسائقه
فسرّ البارون بذلك وقبله عنده وارسل غلامه وسائته الى بطرس وكان اسم
هذا الخادم الجديد فردريك

وفي ذات يوم افتقر البارون الى دفع ستين الف فرنك فقال في نفسه لا
سبيل الا الى صاحبتنا بطرس فقصدته في الحال وسأل عنه فقيل له انه غائب
ويعود بعد اسبوعين فتكدر ووقف محناراً وقد ضاق به الامر وللحال خطر
له خاطر فطلب من الغلام وهو غلامه الذي كان عنده ان يدخله مكتب

بطرس ليكتب رسالتين مهمتين فلم يسع الغلام ان يخالفه فدخل المكتب واغلاق الباب وتقدم الى صندوق الحديد وقال هنا ثلاثة ملايين وما كان بطرس ليمعني مئة الف فرنك فيحسن ان اخذها واضع في مكانها وصلاحاً غير ان الصندوق كان مغفلاً فجعل يفتش في الغرفة ويفتح جوارير الخزائن لعله يجد مفتاح الصندوق فوقع نظره في واحد منها على نحو اويل ماله فاحذها بيده مضطرباً وشبث في فؤاده نار حرب بين روح الخبير وروح الشر فغلب روح الشر على طبعه فاحذ منها واحداً قيمته مئة الف فرنك وقلده وتوقيع بطرس القسطنطيني طبقاً لخطه في رسالة منه كانت مع البارون

ولما عاد القسطنطيني الى منزله افتتد النحاول لياخذ منها واحداً وعدّها فوجدها ناقصة نحوياً فتعجب ودعا بالغلام وسأله عن زاره في غيابه فذكر له عدة اشخاص ومن جملتهم البارون فقال له هل دخل احد مكنتي ليسترى قال لم يدخل غير سيدي البارون ليكتب رسالتين قال حسناً فعلت لانك ادخلته لانه اخص اصداقائي وابوابي فتفتح له في كل حين ثم صرف الغلام وقال في نفسه ستكون عاقبة هذا البارون وخيبة ثم اخذ النحويل ومضى الى المصرف لياخذ اربعين الف فرنك فقال له الصيرفي لم يبق لك عندنا يا سيدي الا عشرون الف فرنك وهوذا نحويل بامضالك دفعنا به وجهه مئة الف فرنك منذ اسبوعين قال فلا تؤاخذني فامضي الان واتيكم ببلغ جديد وعاد وهو يقول بنفسه عظمت دالة هذا البارون فيجب ان اتدارك امري معه وقصد منزل البارون في الحال فلما رآه مقبلاً انخطف لونه فلفية بطرس باشاً وحياءً بالتحية المانوسة فاطمان البارون وقال لم يعرف ما جرى ورجل مثله لا يبالي بعد نحويله حتى يعلم بفقد واحد منها ثم جلسا يتحدثان فسأله البارون عن علة مغيبه فقال انه سعى في روية فتاة سمع بجهالها لكن اسوء الحظ كانت مسافرة فلم يحظ بالقاءها

وكثر بينهما الاخذ والرد بين مزح وجدة وقام بطرس يفتش في الغرفة فوقع نظره على صورة فتاة بدعة الجمال موضوعة على الطاولة فوقف مندهشاً واخذ

يتأمل فيها ويطلب في وصف محاسنها ومعانيها والبارون متغير في امره لعله
ان ليس له ميل حقيقي الى النساء فساله كيف انقلب حاله هذه المدة فقال لا بد
لكل انسان من ميل ولم اجد في كل من رأيت فتاة اخذت بمجامع فؤادي الا
صاحبة هذه الصورة. فقل لي من هي واحب ان توصلي اليها فقال البارن لا
تذهب بافكارك مذهب الطباشرة ما هذه الصورة ابنتي

— عجباً لك ابنة ولم تخبرني عنها

— ما كان في احاديثنا ما يدعوا الى ذكرها

— فيما اسمها وكم عمرها وابن هي الان

— اسمها ملكة وعمرها عشرون سنة وهي منيعة مع امها في بلاد بعيدة

— وما الداعي لهذا الانفصال بينك وبين زوجتك

— ليس الا اختلاف المشارب

— فيجب ان تسعى في التقرب منها

— امر صعب وما الذي يدعوني الى ذلك

— هكذا تنتضي الظروف

ثم لبث برهة مفكراً وخرج مسرعاً فتعجب البارون من حاله وكلامه وخالجه
قلبه ان في المسألة مصلحة سرية وجلس على كرسيه وصار يتأمل في قلب الدهر
وشعر بفتح الخطة التي ارنكبها في ما مر من زمانه ولكن نفسه لم تنزل مائة الى
اهوائها لا يتبع جماحها عنان الدم ولا انحطاط المقام فقال في نفسه يجب ان اسمي
مسمى جيداً لم يبق بيدي مال وليس لي ما ينقذني من السقوط الاموال البارونة
لكن كيف العمل اذا اتيتها تصدني ولا يمكن ان ترض عني وتنسى قباضي . كيف
التدبير . ما الامل الا من باب واحد . ملكة ابنتي كما هي ابنتها ولي عليها نفس
حقوق والدتها فلا بد ان اسلمها اياها فتضطر الى الانبياد الي في كل ما اريد اذ
لا تستطيع ان تصبر عنها ساعة . فهي ركن رجائها وقوام حياتها

الفصل السابع

ميراث عجيب

بينما البارون يناجي نفسه بهذا الكلام اذ دخل خادمه فردريك وقال المولى ابن حسان بالباب يطلب مقابلة سيدي البارون. فدهش لهذه الزبارة وقال ادخله في الحال فلما دخل الرجل حياه تحية الوفا وقال اخن يا سيدي البارون انك لا تعرفني شخصياً ولعلك تعجب من زيارتي هذه قال لم يكن لي الشرف بمعرفتك يا سيدي غير ان اسمك اشتهر من نار على علم فاهلاً وسهلاً ومرحباً — فالتصد من تشر في يا سيدي البارون النظر في مسألة حساية قديمة العهد

— امرك يا سيدي. فما يكون هذا الحساب
— ميراث من المرحوم اخيك المركيز مضى عليه زمان طويل حتى صار عظيماً جداً

— ميراث من اخي. وما قدره. وكيف اتصل اليك
— اتصل بسبيل الوديعة تحت الربا وقد بلغ الآن عشرين مليوناً
فحملني البارون بعينيه ونشر اذنيه وقد ذهل مما سمع وظن انه في الحلم. ثم قص عليه ابن حسان كيفية اتصال هذا المبلغ اليه عن يد شديد الشوري وان كرور الاعوام قد ابانته هذا المبلغ الوافر وان لا يطبق ان يتيه عنده ويتكبد

فائدته الجزيلة وإن الشوري منذاعوام لم يسمع عنه خبراً فلم يبق إلا ان يسلم هذا المال الى البارون . فكاد البارون لا يصدق ما يسمع وقد بلغ به الذهول مبلغاً عظيماً . فقال له لك فضل يا سيدي لا يعادله فضل فما اظن ان في الدنيا صاحب استقامة وامانة ووفاء ومروءة نظيرك كيف اثني عليك باي كلام اشكر معروفك حملتني جيلاً اثقل من الجبال الشواخ . فمتى تريد يا مولاي ان اتشرف بمقابلتك في محلك لكي اسرع الذهاب ولوفي هذه الدفينة اذ ليس ما يمنعني من سرعة الرحيل

- هل معك الاوراق اللازمة ايها البارون

- نعم معي صك زواج ابي وصك وفاتها وصك ولادني

- هذه لا تكفي فبلمرك صك وفاة آخر

- فهمت مرادك . تريد صك وفاة اخي لكنك تعلم انت نفسك انه توفي غرباً ومعني سند آخر به يفوضني اخي نفوياً مطلقاً بالقيام باعماله الذاتية فهذا يعني عن صك وفاته

- ليس هذا المراد ايها البارون . أفلم تعلم ان اخاك تزوج في بنافيا

فكان هذا السؤال على البارون اشد من انتفاض الصاعقة واخذ يتلون

ويضطرب . ثم تجلد واظهر السكون وقال لا اظن ما تقول صحيحاً

- ألم بات اخوك بامرأة صبية

- بلي اتى بفنائة انكليزية كانت معشوقته

- عجباً ايها البارون كيف تقول معشوقته وهي زوجته شرعاً

- بل العجب منك ايها المولى لم اسمع قبل الان مثل هذا الكلام ولا

ازال غير مصدق

- لنفرض انك ما علمت ذلك فللدهر ثقلبات عجيبة على ان الامر واقع

وانا اضمن صحته وان شئت اطالعنك على نسخة من صك الزواج المسجل في قنصلية

فرنسا في بنافيا

فظن البارون ان الارض تخسف بوجود ذاهلاً واجماً فقال له الصبر في
وبناء على ثبوت الزواج تتكون المركيزة لوسيا' المجلدة ورثة زوجها فلا
استطيع ان اسلم الميراث الا بحضورها ما لم تستحصل صك وفاتها وقد بلغني
بناكيد انها كانت قريبة الولادة وقت غرق السفينة وكثيراً ما بحثت عنها مع
قطع النظر عن ولدها فلم افف لما على خبر واظن انها ماتت لكن عدم وجود
البرهان يجبرني ان ابقي بيدي مدة طويلة ايضاً هذا الميراث الشهى العجيب الذي
يخص بك وحدك ومحب ما جرى عليه آبائي من تفهيد المهمات في دفتر محلنا
الخاص يجب ان لا ادفع هذا المبلغ الا للمركيزة او للذي استودعنا المال وهو
شديد الشورى وكيل اخيك واذا مضت ثلثي عشرة سنة اسلمه الى من يكون
موجوداً من الورثة الشرعيين وقد حان الاجل وليس وريث سواك على ان
تطلعي على صك وفاة المركيزة واسوء الحظ ليس بيدك

- واسفاه ليس بيدي لا. ويلاه ليس بيدي

كان يتكلم هذا وهو متضع الاحوال مخنق الصوت والعرق البارد
يتصبب من جبينه مدراراً فقال له الصبر في آفانت مخنق ان امرأة اخيك
ماتت

- هكذا معتقد

- ولست تتدر ان تحصل على صك الوفاة

- لو كنت قادراً لما رأيتني مخنقاً

- فمن العجب كونك لا تدري ما صارت اليه وكونك قطعت عنها النظر

تماماً بعد وفاة اخيك

- كان ما كان . وانا معتقد انها عشيقته وقد عرفت اني اخطأت بقلبي

الائتات اليها

- ولا عجب من ذلك ان اخاك لم يخبرك انها زوجته على زعمك

- وانا الاخر قد استغربت هذا الكتم على انه كان غريب الاطوار يجب

العزلة ويقل من الاجتماع بي

- فالان لم يبق علينا الا ان نفرض كون المركبة باقية في الحياة لاننا ما
تحققنا موتها فيجب ان نبالغ في استقصاء البحث لنقف على حقيقة امرها
- وكيف السبيل الى ذلك
- يا لعظم الحيرة

- اذا كان ما بلغني صحيحاً ايها البارون فانها جنت بعد وفاة زوجها

بقليل

- هكذا سمعت انا ايضاً وان عائلتها طلبتها وارسلت طبيباً واخذها

- او صحيح هذا

- ما ادري شيئاً

- امر مكدراً فالنتيجة الآن هي ان بيدي عشرين مليوناً حب ان انخلص
منها فنجي لي بيينة ان المركبة مانت او موضوعة في مارستان فادفع لك المبلغ
المدكور لانها اذا وجدت وهي مجنونة يسقط حقها من الميراث . وانا مقيم في باريس
نحو ثلثة اشهر ففي هذه المدة عسى ان تفوز بخبر يقين وتشرف محلي فتخبرني .
استودعك الله

فقام البارون وشيعة الى الباب وهو ضائع الفكر واهي القوى فلما صار وحده
اعلن ما كان يكتن من شدة عذاب الباطن وقد ضاق صدره واختلطت افكاره
فالقي نفسه على كرسيه وجعل يتهدوئياً ويتأمل كالمسوع وهو يقول واسفاه
عشرون مليوناً . آه . عشرون مليوناً تذهب من يدي . وبلاه وبلاه . ثروة
عجيبة تحت يدي ولا استطيع ان امس منها شيئاً واصحاب الديون يلاحقوني
كالذئاب الكاسرة وقد صرت على شفير الدمار

ابن هي تلك المخوسة ابن اطلبها . الفاها بليل في مكان لا اعرفه ولشدة
غباوتي ونعس حياي لم اسأله ابن تركها . ولا بد ان نكون قد مانت في اثناء هذه
الاعوام الكبيرة . كيف العمل كيف التدبير . ما الحيلة ما اقدر ان ازور صك

وفاة لان ابن حسان حاذق حذور فتكون الآخرة شرّاً من الأولى
ضاق الحبل وبلاه واسفاه . أوّاه أوّاه ماذا اصابني ارى اني اجنّ . آه
او كان بلبل باقياً لي . فقد . لزيادة فحسي . عشرون مليوناً عشرون مليوناً . لا
بد أن حياتي تذهب بذهابها . آه ليت بلبلأ موجود . وبلاه وبلاه
وكان بلبل بالحقيقة قد هلك منذ امد طويل لان مساعي الدرك كانت قد
اوقعته تحت يدهم فلما كادوا يقبضون عليه افرغ في راسه غدارته لينجو من عذاب
الحكومة لكن لم يفته عذاب الآخرة اذا فاته عذاب الدنيا فيزان العدل منصوب
لدى الديان

الفصل الثامن

ظهور القائد الجردى

كان ابن حسان حالما خرج من عند الدارون قصد بيتاً انيقاً كبيراً في
شارع ستراسبرج . وكان القائد الجردى في غرفة من تلك الدار النسيجة بحسب
لقابل الايام وهو في شغل شاغل . وبينما هو غائص في همومه سمع صوت مشى
فنهض مرتعشاً واذا ببابه قد انفتح ودخل ابن حسان فتلقاه بشوق وترحاب
عظيم ثم تأمل هيئته فرأى على وجهه الكدر . فانتفض فوادته وقال له بظهر لي
يا صاحبي انك لم تفجح في هذا المسعى

— لا يا سيدي لم اقدر ان استنج نتيجة حسنة
 — وما كان حال هذا الرجل
 — برئى له لكنه جسور جداً في الكذب ولا يعلم قطعاً ما جرى عليها بعد
 ولادها

— فقد خاب الامل واسفاه
 — لا بل يجب ان تبقى آملاً وتنفوي قلبك
 — غلبي الدهر ولا حيلة بيدي
 — صبراً صبراً . لعل الزمان يكشف الاسرار عن هذه الاسرار
 — كيف وانا لا اجد الا تعرفلاً في المشاكل ويغلب على ظني انها ماتت
 ولا يبعد انهم قتلوها

— انف يا صاحبي هذا الوهم من رأسك لئلا يحبط الياس مساعيك . الذين
 ابغوا على الولد لا يظن انهم فتكوا بالوالدة
 — فابن هي . ابن هي ترى

— لا تمل من البحث ولا تنكل عن السعي
 — أفتراني منها ملاً دقيقة واحدة . كلا كلا
 — وقد وضعت عناية الباري تعالى واراك كثيراً من دلائل النجاح
 — نعم يا صاحبي قد ظهرت لي عجائب العناية الالهية . وجدت الولد واما
 وجودها فعليه تنوقف سعادتي
 — فانكل على الله وهو لا يخيبك

— وهذا هو عزمي . فقد بحثت كثيراً في كل مكان ولعلني انها مجنونة لم
 يكن مثل في فرنسا الممرضى والمجانين الادخلته ورأيت كل من فيه بالاستقصاء
 ثم سمعت ان اهلها اخذوها الى انكلترا وهو محض بهتان الا اني دخلت انكلترا
 وبحثت فيها كما في فرنسا . آه من هذا الرجل الخبيث ما هذا العذاب الذي
 أحتمله بسببه كيف بيجا آمناً وانا قادر ان ابيده في دقيقة لكن الشفقة على تلك

المرأة النقية ولديها الكرمين نفل يدي عن التثك به فاكظم غيظي واصبر على
نكد الدهر. ولدت كرم الاخلاق وما من سيجتي حب الانتقام بل المروءة والوفاء
افهذا يكون جزاء المحسنين في هذه الدنيا ومن يتناسى كباثر عدوة الالذ ويحمل
فضائعه بالصبر ويقابلها بالمعروف. وكان يهون علي ذلك لو ارجع الى الولد امه
لكن الله عادل وله وحده النعمة

- ولعله يندم اذا بكنه ضميره بعد مذلة نفسه ويكشف لنا الحقيقة

- كيف وهو لا يعلم منها شيئاً

- يستعلم من اصحابه الاشقياء

- وابن هم . ابن يجرهم وطالما بحث عنهم فلم اعثر على واحد منهم والحكومة
ملاحظة لم تجسس اخبارهم يوماً فيوماً وساعة فساعة فاما ان تكون قد قبضت
عليهم واهلكتهم او انهم استغنوا في بلاد بعيدة وقد ارسلت اليه غلامي الامين اندريا
ليدخل في خدمته باسم فردريك هو بطلعي على كل احواله يوماً فيوماً فلو كان
ذلك الرجل الذي ساعده في مسعاه الفطيع باقياً يتردد اليه لعرفته طبعاً غير
اني علمت ان له صاحباً برازيلياً اسمه بطرس النمطري لعله شريك له في
خبائثه

- لا يا صاحبي فاني اعلم على قلة معرفتي بهذا الرجل انه لا يدخل في مثل
هذه المداخل لانه وافر الثروة ومستقل في ذاته بأبى سلوك المناهج المعوجة
خفيف في الظاهر لكنه رزين في الباطن وقلبه لا زغل فيه ونفسه ابيه وحسناته
الكثيرة تسره فتواته القليلة

- هكذا بلغني عنه غير اني سريع الظن بمساوي الناس والذي الجاني الى
ذلك شدة العلاقة بينه وبين البارون ولان اشكر فضلك لاهتمامك بمصلحتي
وبعد ثلاثة ايام امضي الى ابنبال لان هناك راحتي ولذة حياتي وعسى ان يكون
لي الحظ برويتك في باريس بعد رجوعي
- واذا زارني البارون في هذه المدة

- فلا تعتدّ به وانت تعرف ما بيننا من الاتفاق ولا ازال اذكر جميلك
واجزل لك الشكر

وحينئذ ودع احدهما الآخر وافترقا ولما كان المساء ورد الى القائد الجردى
تقرير غلامه اندريا عن ذلك اليوم كما هي عادته وفيه يقول له

«بني البارون كل هذا النهار في بيته ولا يخرج مساءً واتى النسطري وقابله
«والامور بينهما حسنة كما كانت الا ان النسطري كشف عماله في ذمته من الديون
«فتمقدرا ان تستفيد من معاشره هذا الرجل وزيارة ابن حسان اثرت فيه تأثراً
«شديداً جداً وبعد ذهابه بني البارون في غرفته منفرداً في اعظم اضطراب
«كانه مخمل يصرخ ويتأوه ويشن ويشف شعره ويقبل كاللسع وكان يكرر
«اللفظ بالعشرين مليوناً وينزع صدره اسفاً ولا يعرف ابن مفر المركة ولا ما
«جرى عليها ومن جملة الكلام الذي ناجى به نفسه النطمت هذه الالفاظ

«- ابن هي . ابن اطالها . القاهها بليل في مكان لا اعرفه ولشدة غباوتي
«ونفس حياتي لم اسأله ابن تركها ... آه ليت بليلاً موجود...
«فمن هذا الكلام نفهم معان كثيرة»

فتعجب من هذا الكلام وقال هذا هو الذي عليه اعتمد لكن يظهر انه مفقود
وهذا باب آخر من الفصل . الى متى يا الهى يبقى هذا السر غامضاً

ايا رب اني قد اتيتك طالباً	بضيقي عوتاً في كرور التوائب
تفاقت الاحوال والامن هارب	من القلب فانظر يا الهى مصائبي
تجاربي في كل يوم ملّة	وما لي قلب لاحتمال التجارب
فلا رنجي الاك يا خبير منجد	فكن سامعاً يا رب دعوة طالب

وكان القائد الجردى منذ مدة قد ارسل يستدعي يعقوب وليان وفليونه ابوب
وكان ابوب في باد غير ماريل وشين لهما وقت الوصول فانيا على غير علم احدهما
من الاخر واول من دخل منهما بيت الجردى يعقوب فتلقاه برحاب عظيم
وبشاشة زائدة ثم قال له ان يدخل الغرفة التي اعدت له لتغيير ثيابه وبعد قليل

دخل ايوب وقد ابتغى جدًّا من لقاء هذا صاحب الكرم وقال سيدي
وصديقي حسب امرك انيت فمرني بما تحب وانا العبد المطيع

ان رمت والله بامولاي سنك دمي فلا اقصر عن اهراقه بيدي
اورمت تأخذ روحي يا مني املي وهبتها ولقد اتبعتها جسدي
فصار الجردى بلاطفه وبهش اليو ثم اظهر له عرابه ففرح فرحاً اشد من هذه
البغنة اللطيفة وتعاننا ملياً ثم جلس الجميع ويعقوب وايوب بفروغ صبر
لمعرفة السبب الغريب الذي اقتضى ان يستغضرها هذا الرجل الصديق واما
هو فلم يكلمها بشي من هذا المعنى

وحضر الخادم بدعول الغدا فظن يعقوب انه هناك يكتشفها فلم يكن شيء
من ذلك ثم قدمت الناكمة وبعدها الثمرة وها يزددان حيرة من كتبه وكان
كلاهما في اثناء ذلك يتكلمان سرّاً بهذه النصية ولحظ منها الجردى ذلك لكنه
تجاهل وبعد حصّة قايلة قال لها انما اليوم نزيلان في بيتي لا تبرحان الا غداً
فما تحبان ان نعمل بقية هذا النهار فالامر لك قال ارى من المناسب ان نغضي
الى بستان المواليد نتفرج على اشيا جديدة غريبة فاجابا بالسمع والطاعة

فركب الثلاثة مركبة ودخلوا البستان المذكور وصاروا يتششون ويتفرجون
على تلك النباتات والحيوانات الغريبة الى ان وصلوا الى المكان المعد للكلاب
فبينما يعقوب ينظر صاح متعجباً وقال اتفارق غريب كأن هذا الكلب الصغير
نفس المسكين حبيور ولو لم اراه ميمّاً بعيني لما شككت انه هو هو . فقال الجردى
اذن تسع لي ان اشتريه واقدمه لك على سبيل التذكّار . ثم دعا بوكيل البستان
واشتري الكلب بخمسين فرنكاً واوصاه ان يرسله الى بيته مع احد غلماناه
وعند ذلك خرجوا يتزهون في ارباض باريس الى المساء

الفصل التاسع

ظهور حنة

وبعد ان تناولوا الطعام وجلسوا للحديث قال المجردى قد تعجبنا جداً من استفد امي ابا كما على غير ميعاد فحملنا مشقة عظيمة ولا سيما انت يا صديقي يعقوب . لانك قد صرت تقارب العجز . فاننا اشكر هنك ومودتك غير ان السرفى هذا العمل يزيد كما عجباً واستغراباً وبهجة معاً فكونا قوين على مفاجأة السرور كما قويتنا على مفاجأة الاحزان

فحملنا به باعينها ونشرا اذانها وقد ادهشها كلامه فقال تجلد يا يعقوب وانت يا ايوب كن ثابت الجنان لا يستفزك الطرب حتى تخرجنا عن احد الاعتدال فاعلمنا .. يا صاحبي العزيزين ان تلك الفتاة ... تلك الفتيمة العزيزة ... النادرة المثل ... التي خاها الدهر ... وغدوت بها الايام ابتلك وقرع عينك وخطبتك المحبوبة حنة

فتمض ايوب . ذاهلاً وقد شرق بدمعته وتهد يعقوب وفتح ذراعيه وقال كلاهما دفعة واحدة ماذا ...

... لا تاخذ كما الدهشة . لا يذهلكما الخير الفاجىء حنة باذن الله فصاحا صيحة شديدة وقالوا .. ما نقول ... وخفتها العبرة وعلا نحيبها ثم نظر ايوب الى المجردى وهو كالمأخوذ وقال من تكون ايها الرجل

من انت يا عجب الزمان . افيك قوة الله ورحمته
 — امسك لسانك يا ايوب واصح في ما نقول كلنا عبيد ضعفاء . القدرة
 والعزة والجلال لله وحده الذي علمته انا انما هو فرض على كل انسان رقيق
 الفؤاد وليس يصعب على غيري من سائر الناس
 فقال يعقوب والبكا يقطع كلامه

— افجبة هي . . حنة في قيد الحياة اتفرنا ام صحبح ما نقول . . لا يمكن
 ان نخدعها . لا تكون قاسي الفؤاد حتى نهزا بشيبة شيخ وقلب عاشق اسيف
 فقد صدقنا انها حنة . وثقنا بكلامك وعما قليل نراها . . عجل سيدي عجل
 باحضارها اليما . طامت لي الحياة وعاد الي رونق الشباب متى اضهرها الى
 صديري . قد فرغ صبري اراها ولا اكاد اصدق . اعنتها واطن نفسي في
 رويها

وبعد ان سكن جأشهما قليلاً وقد تكلم ايوب بمعنى ما تكلم به يعقوب
 عاد الجودي الى حديثه فقال نجت حنة نعم نجت دفعتين الاولى من العار
 الذي كاد يلحق بها والثانية من الموت الذي كاد يصر عليها مغالبة والذي
 انقذها من الويلين هو نفس ذلك الرجل الذي وقعت عليه التهمة ظلماً الذي
 احبكم ولا يزال يصفي لكم الوداد وقد كنتم في ريب من صداقته
 — باللعجب عسى ان يكون ربيب الذئاب

— هو نفسه وقد نطق فاطمنا على الخبر
 واخذ ينص عليها ما جرى عليها منذ دخول راعول السمسعي الى غرفتها (لكنه لم
 يذكر اسمه) الى وقت مروره بالمركة مع خادموه اندريا وتخليصها من الهرثم
 اعلمها انها جنت فاستخضر لها طبيباً ماهراً وانه لم يشا ان يخبرها بشيء من ذلك
 في مدة جنونها واما الان وقد قاربت الشفا التام فصار من الوجوب ان يطلعها
 على الحقيقة وانه لم يصد خاص مضى بها الى بستان المواليد فانفق وجود هذا
 الكلب الملقاب لحيبور لانه يكون له مدخل عظيم في العمل العازم الطبيب

على اجرائه وانه لا يستطيع ان يريها اياها قبل امر الطيب وان الطيب يقابلها
صباح الغد ويكلهما عما يلزم اجراؤه وان ربيب الذئاب نجما من السجن منذ سنة
وصار يتكلم وانه سيعود قريباً الى المركز الذي سله اياه الدهر غدرًا وخيانة
وكان كلاهما في اثناء كلامه يظهران اشارات مختلفة من العجب والخوف
والحسب والاضطراب والمكون ثم بالغوا في شكر فضله والثناء على منه ومروته
واخيراً انشد ايوب هذه الايات العربية عن احساسات قلبه

من بعد ان كان دمعي سائلاً بدي	قد زال بومعي وبس اليوم في نعمـ
فهو الذي قد شفى نفسي من الالمـ	فالمحمد ابدي لرب واحد ابدًا
على رؤوس الملا في العرب والعجمـ	وبعده انفي اشدو بشكركم
شكرًا يكل من التعبير عنه في	اوليتوني جميلًا عنه اشكركم
في الخير طول المدى بازينة الامـ	لذا سالت اله العرش بحفظكم

الفصل العاشر

ثمة اهتمام الجردى

ولما كان الغد قابل الطيب يعقوب وايوب حسب الوعد واطاعهما على ما
عزم عليه من الاجراءات حتى يكونا على بصيرة من التدبير ثم رحلا وذهب
الجردى بعد رحيلها الى اينال ليقف على احوال ربيب الذئاب فتقابل

الاسانذة الذين كانوا بعلومه والعلوم والفنون بين لغات واداب والفراسة ولعب
السيف وغير ذلك مما يلزم لمركز نظيره فسرّه جدّاً ما سمع من اطنائهم في
سرعة تقدمه وحدة ذهنه ونشاطه في العمل ثم دخل على البارونة السيمسية
ليتفقدها ايضاً فراها متغيرة الاحوال كاسفة اللون فسالها عن حالها فاخبرته
ان زوجها مضى الى القصر الوقور وهو مقيم فيه كالسيد المسند منتظراً قدومها
لان الناس اخبروه انها سائحة في البلاد وقد احنارت من هذا الامر وخافت
من عاقبته وقال لها المجردى من المعلوم ان هذا الرجل سخط شأنه وتلف ماله
ولم يبقَ عنده قوت ليلة وان كل املاكه مرهونة ولا يبعد انه يسقط السفطة
الاخيرة التي لا تموض بعدها لان اصحاب الديون يشددون في ملاحضته وعليه
فضلاً عن ذلك نحو نصف مليون لرجل حديث العهد في صحبته لكنه صابر
عليه صبر الكرام فالظاهر ان البارون قصدك لاسترضائك واخذ مالك
ظناً منه انك لا تقدرين على مقاومته لكن اياك ان تطاوعيه في شيء ولا تخافي
من شرسته ولا وعيده واما اكون نصيراً لك ولا يستطيع معي نفوذاً والان
نقدرين ان ترجعي الى قصرك مع ابنتك فترين مع البارون خادماً اما ادخلته
في خدمته قصداً مني فلا تكفي عنه شيئاً ما يتعلق بمصلحتك وكوني منه على ثقة تامة
واكرر لك التحذير ان تحافظي كل المحافظة على اموالك لئلا يجرم ولدك
ميراثها

فالت له لا ادعي منذ الان ان املاكي البالغة ثلاثة ملايين تخصني لان
من فروض الدين والانسانية ان ارجعها الى هذا المغبوف ربيب الذئاب
نعويضاً عما لحق به من اذية زوجي

— هذا حق ابنها السيدة وهو نتيجة احساساتك الشريفة ونفسك الالية
لكن كوني مطمئنة من جهة ربيب الذئاب لانه يمنعه ادبه ان يطالبك بشيء
او يذكر امر تلك المجبرة القديمة وما ادراك انه سيجد ثروة واسعة محروزة
وفضلاً عن ذلك فتمني اقترن بابنتك يكون له نصف الميراث والنصف

الاخر لراعول ويكفي ربيب الذئاب ان يحظى بزوجة نظير السيدة ملكة
الناشئة على اخلاقك

- افما ترى ان تلك الحبيانة صارت حاجزاً بينه وبينها
- نعم لكن الحب يهدمه واقتراهما واجب اولاً لتمكن الحب بينهما ثانياً
ليكون فوزه بها تعويضاً عن تلك الحبيانة العظيمة ومع ذلك فلا يصح ان نطعمه
ولا نطعمها على شيء من احوال الماضي وعن قريب سيحصل ربيب الذئاب على
مركزه واسم ابيه فمن الان اخطب اليك السيدة ملكة السمسمية للمركز
حنا الشري

- افتريد هذا حتماً

- نعم لا احب ان احرمها هذه الغبطة لاني ولي حنا وعضد ملكة
- فلست اخالفك في هذا الشأن كما كنت مطبعة لك في غيره .
فالآن ارحل منك على وعدك لمساعدتي عند اقتضاء الاحوال
- فحالماترين لزوماً تكتبين اليّ واكون في باريس بعد مدة قصيرة ويكون
معي حنا ايضاً

ثم سالتني عن لوسيا وحنة فتنهد وقال اما لوسيا فلم اقف لها على اثر لكبي
لا اخيب من رحمة الله واما حنة فالامل بلقائهما عظيم جداً لكن الان لا استطيع
ان اكشف السر وسجري امور في ماريل تبغك اخبارها فتفرحين
وعند ذلك قام وانصرف فاستدعت ابنتها ملكة واخبرتها بقرب السفر
فظهر عليها الاضطراب فقالت لها تعلمين يا ابنتي ان اباك باستنظارنا فاضطري
له محبتك وحنوك متجاهلة اسامته اليّ اذ ليس من شأنك ان تظهرى ميلاً خاصاً
لأنك تجهلين سبب ما حملني من الاحزان فما عليك ان تدافعي عني وكوفي له
مطبعة ومعاملة كما هو شان البنت مع ابيها

واما القائد الجردى فمضى لمقابلة ربيب الذئاب وكان حينئذ يترن في
لعب السيف فدخل احد الخدم واخبره بقدوم ولية فبادر في الحال الى غرفته

وغير ملابس . وكان الفرق بين هيئته الان وهيئته وهو في الغابات عبرة لمن
يعتبر فان جسمه قد دق بواسطة الملابس ولونه جلد قد انجلي قليلاً وضحت
عليه علامات الفطنة والشهامة وكان لبسه حسناً جداً كاملاً في احكامه وشكله
فصار من يراه لا يغيب عليه انه من السادات الاشراف « هذه نتيجة المهوى
الصادق . بغير الاطوار والهيئة » فما كان هذا التغير العظيم الذي حدث فيه
الأب وجود ملكة حبيبة فواده وراحة نفسه وقرة عينه فان سلطانها عليه كان
قوياً جداً حتى انه بمجرد نظرها اليه كان يدع عن لكل ما يورث به عن طيب
خاطر ولهذا السبب نفسه ترقى في العلوم والاداب والزري شيئاً فشيئاً حتى قارب
الكمال

فلما دخل عليه القائد الجردى في غرفته نهض له على الاقدام وتقدم فاعنته
واخذ يظمر له احساسات الشكر الذاتية وكان الجردى لا يكاد يملك نفسه من
فرط سروره وحنوه ثم جلس يتحدث بأسلوب لطيف واءله بوجوب رحيل ملكة
وامها ورحيله وايه الى باريس ليكون هناك مواظباً على دروسه الى حين .
فانقبض فواده بهذا الخبر المفاجيء وصار يتهد مطاطناً راسه فقال له الجردى
يا صاحبي وحبيبي شئمة الرجال التجلد على نكبات الحياة واني اعلم ان حزنك
ليس ناتجاً الا عن مفارقة السيدة ملكة ولكن على الانسان فروضاً لا يصع
العدول عنها ولو اني بها الكآبة على اني اعدك وعد الوفي الصادق ان هذا
الفراق لا يكون طويلاً فلا تيأس وهذه السيدة الكريمة تحبك كما تحبها فلا
بد ان اجمعكما يوماً ما . وبالنصر يح اعدك انها ستكون زوجة لك . افيرضيك
هذا وتعدني انك تصبر على الفراق صبراً جميلاً ونحمل الآم البعاد بخضوع تام
ورضى تام فلم يسع العاشق الصادق الا ان يجيبه الى مرامه وكان بهابة هيبه
الولد المطيع للوالد الوقور وبحسب له عليه سلطاناً نافذاً لانه قدر فضله
قدرة ورأى الفرق العظيم الذي حصل فيه باهتمامه ما بين حاله الحاضرة والماضية
ولم يكن يجد كلاماً يشرح له به شدة شكره لمعرفه الفائض

وحينئذ قال له الجردي يا صاحبي الحبيب منذ مدة طويلة عرفت شيئاً من احوال حيائك لكنني كنت في شوق شديد الى الوقوف على تفاصيل اولئك بالتدقيق فحيث صرت الآن قادراً على الكلام اطلب اليك ان تنص عليّ بوضوح ما تذكر من احوالك الاولى . فقال السمع والطاعة اذكر اشياء كثيرة لكنني لا اعرف كيف اسردها بحسب ترتيب الزمان لان الذي عرفته عرفته بسبيلتي لا عن فطنة وبصر الا اني الآن قد استعجت من تلك المعرفة نتائج عظيمة

وجعل ينص عليه بالتفصيل مع بعض ملاحظات خبره منذ دب الى حين شبّ وبلغ به الامر اخيراً الى السجين ونورد هنا ملخص هذه القصة لان اكثرها قد صار معروفاً

قال . كنت منذ افقت على نفسي لا اجد لي سبيراً ولا انيساً الا عتراً يضاء ارضها الفتي وانست بها فكنت لا افارقها ليلاً ولا نهاراً وارعى معها العشب وادعوها بنفس الصوت الذي تدعوني به . وكنت تارة اجد كسرة خبز وشبهتها من البفل في مكان مخصوص . ثم لما مانت العترة وانما لا اعرف ما معنى الموت الا انني حركتها ونقلت على جنبها فلم تحرك اسفلاً شديداً وصرت ابكي وانوح عليها وبقيت يوماً كاملاً لا افارقها الا في طلب شيء من العشب اقتات به ثم صرت آتي المكان المذكور فاجد الخبزة فاخذها واكلها واطلب غيرها من طعام الوحش . وما كنت ارى انسياً الا رجلاً يجفني منظره فاهرب منه وساء عظيم اتجاه البستان الذي انا فيه ومحيط بالكل جدار مرتفع . وكان البناء المذكور منهدماً اكثره فقرأ لا ارى فيه شيئاً فكنت اظن ان الدنيا محصورة في تلك البقعة اذ لا اعرف سواها

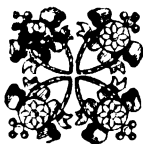
وفي ذات يوم رأيت في بعض نوافذ ذلك البناء صورة شخص اصفر اللون نحيل الاعضاء يلتفت تارة الى السماء وطوراً الى الارض فشعرت بخنثان قلبي وقد انجذب اليه انجذاباً عجيباً حتى وددت لو وصلت اليه واعيشته مع اني

انشر من مقابلة الناس وعلمت بعد ذلك ان الشخص المذكور امرأة . ثم لما عرفت
الناس وصرت ارى الامهات والاولاد وما يظهر من الفريين من اللطف
والحنو كان قلبي يبتني ان ذلك الميل السريع الشديد لم يكن الا لامي وكثيراً
ما كانت تظهر لي في الحلم حتى رسخت صورتها في مخيلتي مع اني لم ارها اكثر من
ثلاث مرات . وفي مرة منها مدت نحوي بديها وصارت تشير اليّ كأنها
تدعوني اليها ومن ذلك الحين زاد تعافني بها وبقي ذكرها ورسمها حتى الان
يترددان في قلبي وفكري حتى لو رايتها في هذه الساعة لعرفتها

ولما ترعرت وانا في ذلك البستان ضمن الجدار امارس نساقي الاشجار
واقفات من العشب والثار واشرب ماء الامطار صارت تحدثني نفسي بالفرار
لكن خوفاً داخلياً كان يجبرني على الاستقرار . فقبضوا عليّ في بعض الليالي
واركبوني مركبة وسرنا مسافة طويلة ثم سلموني الى احد المشعوذين وقضيت معه
مدة وهو يوديني بصرامة الوحوش الضارئة ويطعمني اللحم يتأانهمه باساني
نهشاً ثم جعلني فرجة للباس وسخرية وانا صابر على القضاء والقدر اترقب فرصة
الفرار لان نفسي كرهت ذلك العار . فانتهزت الفرصة ذات ليلة كأنهم غفلوا
عن اقبال باب قفصي وهم ملتهون بالشرب والغناء ففررت واعنست الطرق
حتى وصلت الى بعض الغابات فتنفست الراحة وقد صرت مطلق الحرية وما
زلت انتقل من غابة الى اخرى حتى بلغت غابة ماريل الواسعة الكثيفة فبقيت
فيها مدة اعيش من غلال التراب والشجر الى ان قبضوا عليّ واطلنت بواسطة
السيدة كاترين امرأة يعقوب وليان وصديقي الاخض ابوب . وما زلت اسعى في
الاخفاء عن الناس لاني رايت الانسان اشد عدوة وشراسة من حيوان البر الى
ان اهتديت الى الحدة الزرقاء والمغت في الاخفاء . حتى اذا اطأنت نفسي من
الملاحنة صرت احب التهرب من الناس وارى الأزواج والامهات فتنبه فوادي
الى لذة الحب وان كنت لم ادرك كنهه ولذلك شغفت شغفاً سريعاً شديداً
بالسيدة ملكة حينما اخذتها بين ذراعي وضممتها الى صدري وهي ساقطة في تلك

المهنة الهائلة واما ما جرى على اثر ذلك فليس عنك يا سيدي خفياً
 والان اطلب اليك شيئاً واحداً ان تربني تلك التي من اول نظرة
 انجذب اليها فوادي واني ايضاً اذا كنت تستطيع. فقال له المجردى وقلبه ينقطع
 صبراً يا فتى صبراً يا صاحبي الحبيب لا اقدر ان اعدك بشيء على وفاء لكن
 الله هو المديبر الحكيم ولا بد ان يفيض لك راحة البال وسرور الاستقبال
 وبعد هذا الحديث نهض الفائد المجردى وريبب الذئاب وخرجا لتوديع
 البارونة السمسية وابنتها ملكة لانهما عرفانا السيدتين على وشك الرحيل وقد
 اننا خصوصاً لوداع الرجلين

فعند المفاصلة بث الجميع لواعج الوجد والرفة ولكن ريبب الذئاب تجلد
 كالابطال عند وداع ملكة وقد اظهرت له امها من المكنو ما اسال عبراته
 واما هو وملكة فلم يستطيعا الا بكاءً ونحيباً يخففهما باخفائيه. والفائد المجردى
 يتالم من ذلك الموقف الشديد ثم قال لملكة نفي يا سيدة بواعيدي. وكان هذا
 الكلام كافياً لتسكين لوعتها في الباطن. وظهر سروره من مجلد ريبب الذئاب
 وقال لقيمت منك الوفار والصبر اكثر ما رجوت فباذن الله سنفوق انرايك
 المعاشرين وتكون قرة عين لي ولاحياتك الصادقين



الفصل الحادي عشر

شفاق

ولما دخلت البارونة المسبية قصرها رأت زوجها فشارت بالسلام إشارة خفيفة ولم تكلمه فزاني يوم ارسل اليها الخادم يطلب الاذن بمقابلتها فاذنت فدخل عليها وسلم باحترام وبشاشة فلم ترد عليه سلام وشارت اليه ان يجلس فجلس وقال لا بد انك تعجبين من قدومي فجأة وانت غير راضية بي غير اني احببت الى مقابلتك اهتماماً بمصلحة ملكة . فانزعشت البارونة وانتصبت بسرعة وقالت ملكة ابنتي . مالك ولما

— ابتكت وابنتي ايضاً وقد ادركت سن الزواج فوجدت لما بعلاً موافقاً

فحنق فواد البارونة خفتاً شديداً كاد يشق جدران صدرها وانتشر الدم في وجهها لكنها تجللت وقالت يهدو حقاً قد استغربت هذا منك وكان الاولى ان لا تزعم نفسك بالاندوم ليس في خاطري الان ان ازوج بنتي ومنى حان الوقت فعلياً ان اجد لها زوجاً يستحقها

— كالك تسعين مال الالب من المحنوق على عائلته

— نعم الالب

— وانت التي سببت هذا الانشقاق بينك وبينك

— لا تذكر لي تلك الامور المريعة . كفى ما كان
 -- ما قصدني الدخول في هذا البحث فلندعه ونرجع الى حديثنا فقد
 وجدت لملكة بعلاً من احسن الشبان صاحب ملايين عديدة اسمها بطرس
 النسطري من عائلة شريفة برازيلية

— كل هذا لا اكرث به فلا ازوج بنتي الا بمن تخاره في

— لا بد انها تحبه كما انه يحبها وقد عرفته معرفة تامة

— بش الوسيط

— انا اعلم انك تكرهيني غير انك اذا رايت الرجل وحدثته علمت اني

صادق في وصفي له

— هذا كلام يضحك الذكي فابتي لا تخرج من بيتي الا لمن لا تخشى عواقبه

مهما كما خدعت امها وليس احد يندر ان يجبرني على تزويجها وكانك مغتر
 بمال هذا الرجل او بينكما دسيسة على ما يبتني قلبي فتريد ان ترضيه بتسليم
 ابنتي اليه

— مهما كنت على زعمك ردياً فاني لا اسعى لابنتي الا بما تكون فيه راحتها

— لكني لا اسلم بسعيك وملكة لا تعرف هذا الرجل ولن تراه ابداً

— سزراه غداً بلى لاني كتبت اليه استغفدته

— وملك من ابن لك هذه المجساة ان نامر وتنتهي في بيتي من دون اذني

— فعلت بجني لاني لا احتاج الى اذنك حتى ادعو الى منزلي احد

اصحابي وانت موجودة

— انت انت ولن تغير

— لم يمر عليّ زمان كافٍ ليغيرني

— وعلى كل حال لا اسمح لهذا الرجل بدخول بيتي

— بل نسعين لانك اديبة مهذبة الاخلاق لم نتعودي الفسق في وجه

ضيفك ولا يجب ان هذا الرجل يشعر بشيء مما كان بيننا

— ان كان لا بد من جبري على قبوله ضيقاً فالذي ترجوه من امر
الزواج مستحيل ان يتحقق

— لا تقطي يا بارونة فان هذا الرجل حسن السجايا شريف القلب
والنفس . وقد شغف بملكه بمجرد رؤية صورتها فخطبها الي واجبت

— وكان يجب ان تظهر له عجزك عن قضاء مصلحته فقد تورطت في
ورطة تلحقك بالعار لعدم مفدتك على انجاز وعدك

— ان كان بيدك المنع فافعلي واوقعي بيننا شفاقاً جديداً

— وانت اظهر قوتك فترى هل نستطيع ان تغلبي

— لكنني اقنعك بالبرهان فاعلمي اني فقدت كل ثروتي واملاكي

— لا عجب فالمال لا يخرج الا من حيث ولج

— فجب ان ملكة نقرن بهذا الرجل لان له في ذمتي مبلغاً وافراً

— هذا ما حسنته ولعل بينكما شيئاً اخر فمردك اذا ان تباع ابنتك بالمال

كاحدى السلع وبوقاحة غريبة تخاطبني بذلك

— ما فهمت مرادي تماماً فان اصحاب الديون مشددون في ملاحضي ولا

سبيل لي الى النجاة من يدهم الا من هذا الباب ما لم تسمعي لي بتفودك وعفارتك

وهنا عند الافتضاء اقدر ان اجبرك عليه لانك امراني وليس بيننا انفصال

شرعي ولا يمكنك قطعاً ان تكشفي الاسرار

— افعل ما استطعت لو كان عندي مال قارون لما سمحت لك بدرم

وكل ما تحسب عندي من الاملاك لا يخصني ولا يخص اولادي

— هذا الغزب يشكل علي حله فهل لك ان تنصحي لي عن مرادك

— اعلم ان هذه الاملاك محنوزة للمركيزة الشمرية وابنها تعويضاً لها عن

النعمة التي سلحتها اياها وبذرتهما في التهاش صيانة لشرف ولدي فلست انا الا

وكيلة عن المركيزة فاذا ظهرت سلمت اليها هذه الاملاك

فنهض البارون مضطرباً جداً وودّ لو هبطت عليه السماء ولم يسمع هذا

الكلام وخرج وهو يقول ان غداً لناظره قريب فصارت البارونة نشته بنفسها
وغاصت في همومها .

وثاني يوم وصل بطرس القسطنطري فتلقتة البارونة وملكة بانس طيبي
ورات من هيته وعلمت من حديثه انه صاحب مروة وادب واستقامة وعزة
نفس فتعجبت من مصاحبته ازوجها وارأت انه خدعه بظواهر كما خدعها قبل
الاقراران واملت انه لا يعود الى طلبه اذا اظهرت له الامتناع لان عزة نفسه
هكذا تنقضي

وعاد البارون فكلمها في هذا المعنى وطال الجدل بينها حتى ادعى الى
الشفاق وبقيت مصرة على امتناعها فاجتمع بطرس واعلمه بخبيته بعد ان افرغ
كل جهده فطلب اليه ان يكلم ملكة ويجهد في اقناعها حتى ينال رضاها
قائلاً يجب عليك ضرورة ان تسعى في مصلحتي تعريضاً عما أسأت الي باخذ ذاك
التحويل الذي قيمته مئة الف فرنك

فطن البارون ان شيئاً خرق احشائه وحجظت عيابه من شدة اضطرابه
ودهشته وعلم انه صار اسير رقبته لهذا الرجل

فقال له بطرس وقد شعر بحالهما عليك باس ايها البارون سابقى هذا
الامر مكتوماً ابقاء على شرف ولدك وصوناً لامراتك من هم جديد

فرضى البارون واجماً وخلاً بابته واطلعهما على مقاصده وان اساهل
توافقه فقالت له ليس لي ارب بالزواج وفضلاً عن ذلك لا احب ان اعمل
علاً الا برضى امي فقال اذا رضيت انت اضطرت ان ترضى وعلى كل حال
لا بد من اتمام هذا الامر طوعاً او كرهاً والبرهان ان تسليكم لي تقوم به مصلحة
بيننا فاعلمي اني على شفير الدمار والويل معد لنا جميعاً فينتف به شرف عائلتنا
تماماً فعلى ارادتك يتوقف خلاصنا من هاربة جهنمية لان بطرس القسطنطري
وحده قادر على انقاذنا من الخطر فكيف يجب ان تصديه وانت قادرة ان
تدفعي هذه النازلة العظيمة ولست انوسل اليك لاجل مصلحتي الذاتية لاني اقدر

ان انجو من الموت برصاصة واحدة اخرق بها دماغي ولكن لاجل مصلحتك
ومصلحة اخيك وامك وحفظ الشرفكم وخوفاً على حياتكم فكيف يطاوعك قلبك
يا ملكة على ايقاع الجميع تحت هذا الخطر المين

كان يتكلم هذا الكلام بحدة واضطراب واظهار حزن شديد والفتاة تخفق
فوادها وتغير اللونها وتخبري دموعها حتى ابكت اباما فاوهما انه يبكي من شدة
قهره ثم قال لها بصوت رقيق لطيف وهو ينظر اليها نظر الحنو والخشوع ما
تقولين لان يا ابنتي الحبيبة على كلمة واحدة منك نتوقف حياتي وهلاك

فارتاعت ملكة الحديث وقالت وهي لانكاد نعي على نفسها قبلت يا ابي
قبلت فتمض طرباً وضهما الى صدره وقال نجونا نجونا مثلك فلتكن البنات . ما
اشرف نفسك ما اطيب قلبك . ما اعظم شئامك بحق لي ان افتخر بك لكن
اعلمي يا عزيزتي ان امك سريرة الناصر من لاشي فاياك ان توقنها على الحفنة
فكانت المسكينة تتحب ووعدهم بكم الامر فبادر حالاً وبشر صاحبة بطرس
فقال له ما كسب اخشى انك تخيب بهذه الطريقة فالان يجب ان اغيب نحو ستة
ايام لتنصر ملكة في مستقبلها ونهبا لاستغالي اذا رجعت فأخذ الوسائل الكافية
لاستماله قلبها الي

وكان قصده الحفني ان يغيب تلك المدة لكي لا يشهد ما يثور بين البارون
وامرانه من عواصف الخصام

ولما اجتمعوا مساء على المائدة ذكر بطرس انه يسافر في الغد ويعود بعد
ايام قليلة فدشمت البارونة وصارت تنظر تارة اليه وتارة الى زوجها وتارة الى ابنتها
وهي محزنة فلم تستتج من هيشهم نتيعة وداخل فوادها خشية غريبة
ولما قاموا عن الطعام انردت البارونة ببطرس وقالت له ما الداعي
ارجوعك يا سيدي قال بنائي على رجائي

- كيف نبي لك رجاء الم يخبرك البارون ما كان بيني وبينه

- بلى ولكن لا يزال لي امل كبير بانك متى عاشرتني معاشرة كافية

تعدلين عن الامتناع من اجابتي

— قد يكون هذا وابا لا ارى فيك شيئا يؤذن بامتناعي عن مصاهرتك

غير ان سرّاً عظيماً ستعرفه في حينه يحول دون بلوغ مرادك

— ليس في الدنيا ما يفصلني عن السيدة ملكة ما دامت قابلة بي

— لكنها لا تنبل

— وابا اوكد لك انها قبلت

— كيف . كيف . محال . محال

— على ان الامر وقع

— اواه

— افلك شيء اخر نقوليه لي

— كلا

فودعها ومضى وهي في حالة عظيمة من الهم والجزع وقد تلاشت قواها

فاسندت نفسها على جذع شجرة لئلا تسقط وقالت يا للمكر يا للدهاء العجيب ما

فعل ذاك الخبيث حتى اطاعها

ولما سكن روعها قليلاً دخلت النضر وسالت الخادم عن بنتها فعلمت

انها في مفصورتها فدخلت عليها وهي في ذاك الاضطراب وقالت اصحح يا ملكة

انك قبلت ان تزوجي هذا الرجل قالت نعم

— يا للعجب العجاب امن فيك اسمع هذه الكلمة ابلا رضاي نجيبين

الى طلب مثل هذا. الظاهر انك صرت تكرهيني

— اماه اماه ما هذا الوهم

— فكيف اذا اطعت اباك بهذا المعنى

— وجب علي ان اطاعه

— وملك يا ملكة افنعبين هذا الرجل الغريب

— قد يمكن ان احبه بعد الاقتران

— كلا كلا لا يمكن انك تحبينه وقلبك مشغوف بسواه

— ويلاه . من سواه

— لا تحاولي الانكار تحبين ربيب الذناب

فارتجفت ارتجافاً شديداً وظننت ان الجبال دكت فوقها وقالت بصوت

متلاش لا احبه هذا الحب لكى اشعر باحاساسات شكر لمعروفه

— تكذبين تكذبين

فطاطات ملكة راسها وجرت دموعها فقالت امها وهي تالتهب غيظاً افترين

انك غلبت فرفعت ملكة راسها وقالت على ان اتزوج بطرس النمسطري

— وانا لا اسلم بذلك ولو قطعوا اوصالي

— لا يكون الا برضاك يا امي

— لا يمكن ان ارضى لا يمكن ان اكون غير وفاء ففكرت وبلت يا ملكة ما

صنعوا بك اما ترين كيف تعذيني على اني ساغلب اباك واغلبك ايضا ولا

ادعك تخالفين ارادتي . وامسكت بدها وهزتها بعنف وقالت ملكة قولي لي حالا

كيف خدعوك باذا غروك حتى تغير فكرك في دقيقة واحدة الظاهر انه

خوفك من وبل عظيم . تكلمي لم هذا السكوت

— ليس لي شيء اقوله

— كيف . وبك . آه فهمت فهمت منعك ابوك ان تكلمي فاطمئنه وانا

امك ما بقيت تحسبين لي حساباً

— كيف يا اماه وانا احبك احبك من صميم فوادي

— اهذه شجرة حلك ان تعذيني وتجري دموعي سيولاً

— ليتني اموت ليتني مت

وعلا نحيبها وجرت دموعها كالماطر فصاحت امها واحضنتها وقالت

انزين كم نالامين لملكك انك صرت منكودة الحظ كيف اقدر ان احملك

وانت تكلمين عني ما كان بينك وبين ابيك

— لا استطيع لا استطيع لكن يجب ان اتزوج بهذا الرجل
 — لكن يجب. لماذا. لا ارى وجهاً للوجوب ما لم تقدم لي سبباً كافياً
 فسكنت ملكة واطرقت في الارض حريئة وصارت امها تنظر اليها نظر
 الحنو الشديد وهي متقبضة القلب وتقول في نفسها قد نفت اللعين سم مكره في
 هذا الفواد النقي لكني اصارعهُ الى التلف ولا ادعهُ ياخذ بني من بين يدي
 وقامت فدخلت غرفتها ولبست ثياب النوم لكنها لم تستطع رقاداً من
 شدة قلقها الى ان غاب عليها النعاس في اواخر الليل وكذلك كان حال ملكة
 من الفلق والبكا والنوح وهي معتقدة ان اباها صادق في ما قال لها فيجب عليها
 ان تضحي نفسها لدفع ذاك المصاب الهائل وهي على يقين ان ايامها لا تطول
 بخيبة تلك الامل الجيلة واستيلاء الحزن على نفسها

ولما كان الضحى نهضت البارونة ولبست وخرجت للقائه زوجها بدعوة
 منه فقال لها ان صديقنا سافر ولم يمكنه ان يحظى بمقابلتك لانك توقفت في
 النوم وكنتي ان ابغلك احساساتو الشكرية وسيمود بعد ثلاثة ايام

— لكنه سيجدك وحده هنا

— كيف ذاك

— عزمت ان ارحل بيني

— ومتى ترحلين

— بعد اربعة ايام

فقال في نفسه الوقت كاف للتدبير ثم قال لها واي قصد لك بهذا الرجل

— ان اخلص ابنتي من محالبك

— افترجع الى الشقاق

— هكذا انت اردت

— الان است اعرضك بشيء واغيب عنك كل هذا النهار لكي امنع

المخاض

وخرج فنالت البارونة بنفسها لعله ينسج شركاً جديداً لكنه لا يمكنه ان
يمتعي عن الرجل

ومضى اول يوم والثاني والبارون لا يضهر في الفصر الا ليلاً كان
قد اظهر لزوجته انه يقصد في هذا التجول التفرج على ذلك البر الفسيع
وحدث في اليوم الثاني ان وكيل املاك البارونة اتى ليتحدث معها بشأن
بعض قضايا متعلقة باعماله وكان النهار شديد الحر وضافت انفسا ملكة
في مقصورتها فخرجت الى الحديقة تمشي وقصدت المحدث الباني الذي جرت
لها فيه تلك الواقعة مع ربيب الذئاب فجدد التذكار احزانها وقامت وهي
تنهد ودخلت مسلكتاً ضيقاً بين الاشجار الكبيرة موءدياً الى سور الجبينة
وبعد ان تقدمت مئة خطوة وجدت اباهما منتصباً امامها فصاحت دهشاً
وقالت كيف انت هنا يا ابي قال انفاقاً بولدي احببت الرجوع من هذه
الطريق وكنت لا اعرفها قبل الآن فتعالى معي تمشي في هذه الخلوة
وتحدث بامور المستقبل فتشمت معه على غير رضى منها فجعل يحدثها
باخبار بطرس القسطنطي ويشاعلها بمواعيد مختلفة الى ان بلغا باباً صغيراً
في الحديقة فتتخذه وخرج بها وهي منمعة ووقع نظرها على مركبة واقفة على
مسافة خمسين خطوة فنالت ملكة عجباً ما شان هذه المركبة قال لتقدم
فنعلم خبرها

ولما وصلا قال ادخلي باملكة هذه المركبة فاستغربت قوله وقالت لمن
هذه ولم ادخلها قال هذه لي ومرادي ان آخذك معي الى باريس فاسودت
الدنيا في وجهها وتعاطم خفق قلبها ونزرت نفرة شديدة فقبض عليها
واصعدا المركبة جبراً وامر السائق فنهز الخيل وجرت المركبة كهبوب الربيع
وملكة تصعب وتستغيث وهو نارة بلاطفها ونارة يتهدها

وفي تلك الساعة ظهر رجل من وراء السور وكان قد شهد ذلك
المشهد الهائل فلما غابت المركبة عن عينه دخل الحديقة متجهاً الى الفصر

وكانت البارونة بعد ان فرغت من شغلها مع الوكيل دخلت منصورة ملكة فلم تجدها فسالت عنها الخدم فاخبروها انها تمشي في الحديقة فذهبت وبحجت عنها وناديتها تكررًا فلم تجدها واذا بذلك الرجل الذي ذكرناه تقدم اليها واخبرها بكل ما راي وسمع وكان هذا نفس فردريك غلام البارون فطار صواب البارونة من هذه الحادثة المريعة والفظاعة الوحشية وصاحت صيحة شديدة ثم استرخت مناصلها وشهقت شهقة المخنوق وسقطت غائبة عن الوجود فتبادر الخدم والجواري واحتملوا الى منصورتها

الفصل الثاني عشر

تدبير الطبيب

كان قد مضى على حنة ثلاث سنوات في البيت الشنوي والطبيب عاكف على معالجتها ليلاً ونهاراً وقد ذكرنا في فصل سابق انه اضر تدبيراً مر لتنام شفاهاً . فبعد رحيل يعقوب وليان وايوب بعشرة ايام انت مركبة ووقفت امام البيت الشنوي فاقبل الطبيب المذكور اخذاً بيد حنة ووراءه المرأة الموكلة عايتها حاملة خرجاً كبيراً فقال لحنة في خاطري ان نخرج على سبيل الفرج والتزهم وقال المرأة اياك ان يفونك شي من الملاحظات والاحنباطات بخصوص الصبية التي انت في هذه الايام

وكانت الصبية المذكورة غيرة مجنونة ولا عيلة لكن لداعٍ غريب الشأن ارسلت الى محلو ليخلص حالها الحاضر بالنسبة الى الماضي والظاهر ان دخولها البيت كان على غير علم من الفائد الجردى واذ كان ذلك الطبيب من الذين يحبون التحقيق واستقصاء التدقيق في احوال الامراض المستغربة عزم على فحص حال تلك المرأة من دون ان يعرف بها احد حتى يتحقق ما طرأ عليها وكيف حصلت في الحالة الحاضرة

وكان قصد الطبيب المسير بجثة اولاً الى اينال فسارت بها المركبة الى محطة الطريق الحديدية وكانت حنة تسبح بمنظر البر المختلفة ولما بلغوا المحطة قالت له عطشت ففتح الخرج واخرج قدحاً وملاًه خمرًا مزوجة بالماء ثم اطلع من فيه قنبلة صغيرة فيها سائل مصفر فصب منها في القدح بضع قطرات وناولها وبعد ان شربت بخمس دقائق كثر عليها التثاؤب والتعطى ثم استرخت جنونها ونامت نومًا ثقيلاً وكان حينئذ ساعة سير الفطار فنقلها الى استاجره وغطاها بفر وكبير

ن بلغ بها اينال استاجر مركبة وقصد ماريل وهناك تلقاها ب نسوق شديد ولهفة زائدة وشاهدا حنة وهي نائمة لان الدوا اياه الطبيب كان من خاصيته ان يوقع عليها سباتاً طويلاً مدة بين ساعة وحينئذ اطلعوها الى مقصورتها وكانت في نفس الهينة التي بها ليلة جرى على حنة ذلك الحادث العظيم فامر الطبيب ان لا يظهر احد شيئاً مخالفاً للعادة وان مرنا تفعل لها بالغد ما كانت تفعله سابقاً

وكان الكلب ايضاً المشابه لمجسور في غرفتها حتى اذا استيقظت ترى كل ما تعده في مكانه فتتوهم انها حملت حلاًماً هائلاً وقد انقضت مخاوفه بينظنها فلما كان الصباح كان الطبيب ويعقوب في غرفة يعقوب نفسه وقد ذكرنا اننا ان لها باباً يدخل منه الى مقصورة حنة فكان الطبيب ينظر من ثقب النفل ليرى كيفية استيقاظها فراها اولاً تحركت وفحمت عينيها وصارت

تفركما ثم جلست في سريرها وامرّت يدها تكررًا على جبينها كأنها في حيرة ثم
صارت تحيل نظرها في المنصورة فرأت كل شيء في مكانه كما نعهده في تلك
الليلة الماثلة . فلم يخل لها الا ان تلك الحوادث لم تكن الا في الرويا . وكان
الكلب في اثناء ذلك قد اتى السرير وهو يبص بذهبه ويمد خرطومہ الى
وجهها وينبح نباح الانس بها ثم قامت ونظرت في المرأة فتبسمت وتقدمت الى
طاولة الغسل فرأت ساعتها معلّقة في مكانها وفتحت الجرار فوجدت الدنانير
التي نهداها ومجوهراتها على حالها فغسلت وجهها ومشطت شعرها ثم عقصته وعادت
الى الكرسي الذي عليها ثيابها وهي مثل التي كانت لا بسنها تلك الليلة تمامًا وبينما
هي تلبس سمعت صوت يعقوب من غرفته يقول لها هل استيقظت يا ابنتي
فارتعش بدنها ووقفت فقال قد علمت الشمس ومرتأبهيء الغدا اما لبست ثيابك
قالت نعم يا ابني بعد قليل اخرج قال وابشرك بشارة تسرك جدًا فان ايوب
اخذ فرصة شهرين واتى ليحظى برويتك

وفي تلك الدقيقة سمع صوت ايوب في الحبيبة تحت شبّاكها يترنم باغنية
كانت قد علمته اباها فاطلت من الشباك ونظرت فالتفت وقال نعمت صباحًا
يا عزيزتي حنة لولا خوفا من تكدير صفاء رقادك لنبهتك منذ ساعتين لاني
شديد الشوق الى مقابلتك فتهددت ثم تبسمت واشرق جبينها فرحًا واذا بمجرّكة
خلفها فالتفت وكان يعقوب قد دخل فقال لها قد حضر الطعام يا حنة والى الان
ما فرغت من لبس ثيابك . هل رايت ايوب قالت نعم رايته ثم تهددت
وتغرّغت عيناها بالدموع فقال واما ايضا يا ولدي في شوق شديد اليه لان
اجتماعكما عندي هو لذة حياتي

فأتمت لبس ثيابها وحلبها ونزلت مع يعقوب الى غرفة الطعام حيث
تقدمت مرنا وجبتها حسب العادة واتى ايوب فاعتنقها مليًا ثم جلسوا على الطعام
وعند ذلك سكنت حنة وظهرت كأنها في غيبوبة فاشتغل فكر يعقوب
وابوب اشتغالا عظيما

ولما قاموا عن المائدة خرجوا يمشون في الجنبنة فاخذ ايوب بيد حنة
وادخلها تلك القبة الخضراء التي بها كان اخر اجتماع بينهما فاجلسها وجلس
امامها وقال هنا يا حبيبي جراتي على اطلاق لساني بكشف حبي لك قالت
نعم اذكر هذا يا ايوب ثم عادت الى الغيوبة فازداد قلق يعقوب وايوب وسكنما
برهة ثم تركهما يعقوب وخرج للقاء الطبيب وقد شعر بتدوم رجوعه وعلى وجهه
علامات الفرح

ثم قام الثلاثة يمشون في الجنبنة وحنة تذكر اشياء كثيرة كانت تسرها
هناك ووقفت امام شجرة وقالت كان في هذه الشجرة عش قال ايوب نعم وهن
باقي في مكانه. فهزت راسها وتبسمت وقالت لم يكن في ذاك الغصن بل بهذا
ثم تقدمت امامها الى ان وقفت بازاء شباكها فنظرت نظرة الدهول وعادت
فاخذت بيد ايوب وقالت تعال معي فسا رمعها وتبعها يعقوب ودخلت بهما
القبة الخضراء وجلست على المنعد واجلستهما على جانبيها وسكنت برهة كأنها
تأمل ثم قالت اخبراني اليقين اما كنت مجنونة فارناعا لهذا السؤال وتبلغ لسانها
فقلت لا تخفيا عني فقد عرفت اني طرحت نفسي في النهر ثم فقدت صوابي فقال
يعقوب نعم يا ابنتي ولكن لله الحمد قد عاد اليك العقل بتمامه وما عدنا نخاف
تكدير الصفا في حياتنا بوجودك فقال ومن الذي خلصني من النهر قال
اسمعي يا حنة حتى احكي لك الحكاية بتمامها : بينما انت نائمة دخل مفصورتك
رجل لص

فارتعش بدنهما ونظرت نظرة منكرة وقالت ألص الذي دخل
— لص نعم ولكن في الحال دخل على اثره رجل اخر وهو صديقنا ومنذك
الوحيد الذي اوقعت عليه التهمة الباطلة !
— ريب الذئاب

— نعم هو هو . فطرد اللص وقد كاد يقتله وانت غائبة عن الوجود ثم لما
استفتت على نفسك كنت مضطربة الافكار جداً ورايت ففرت منه مرتاعة

وبادرت الى النهر

— اهذا كل ما جرى في غرفتي . هنا فقط لاسواه

— كوني مطمئنة الببال يا حنة لم يلحقك شيء من الاذى قطعاً اقسم لك

الملك نفية

— ثم ماذا جرى

— بعد ما طرحك نفسك في النهر ادركك ربيب الذئاب وخلصك وانت

فاقده العفل

وحينئذ اقبلت مرنا وهي تلتصص وكان الطبيب ارسلها لتتفقد حال حنة
فراها يعنوب وقال نقدي يا مرنا قد زال الباس وعادت الينا حنة حبيبتنا
بعقلها وعافيتها . فعاد لنا بها سرور ايامنا فاسرعت مرنا وهي تكاد تطير من
شدة الفرح وسلمت على حنة سلام الشوق الزائد وهناتها بسلامتها فكلمتها حنة
بانسها المألوف وبشاشتها الاولى فرجعت على الفور واخبرت الطبيب فقال قد
تم ما كنت ارجو فاقدرا الان ان اظهر . واقبل الى القبة الخضراء فقال يعنوب
لحنة هذا يا وادي الطبيب الجندري الذي على يده كان شفاؤك قالت نعم عرفته
وذكرت اهتمامه وغيره

وبعد حديث قليل ذكر الطبيب لزوم سرعة عوده الى البيت الشتوي
لاعمال مهمة وثاني يوم ودعهم ورحل وهم يتنون عليه جيلاً ويصحبونه بالادعية
الفلبية

الفصل الثالث عشر

ملكة وسوسان

كانت ملكة السسبية عند ابيها في باريس كالاسيرة غمماً لا يسمع لها بالخروج الى مكان لا على سبيل التره ولا على سبيل الزبارة ولا يدعها تقابل احداً من يروونه الا بطرس الفسطري لاجل تمكين العلاقة بينها وبينه واستمالها اليه فكانت تلتقي بانس ولطف لكن لا تظهر له بشاشة خاصة . وكان ابوها ايضاً بلاطفها كثيراً وبعدها المواعيد الخمسة ويقول لها اني اخذتك من امك لا لاجل الاساءة اليك لكن لشدة اهتمامي بسعادة مستقبلك وشدة اصرارها على الامتناع من اجابتي اضطرت الى هذا العمل لكي تلنزم بعد عجزها ان تاتي اليه وتسلم بما اريد فيحتمل ان تكونين مطلقة الحرية تمضين واباها الى حيث تشاء فكانت ملكة مدعة على كره منها لارادة ابيها خوفاً من الغوائل التي تهددها بها . ولو شاءت الفرار لاستطاعت بواسطة الخادم الامين فردريك لانه كان يلتفت الى مصلحتها التفاناً خاصاً وينقاد الى اوامرها انقياداً تاماً غير انها خافت من فتنة جديدة بين ابيها وامها فلم تحاول تحريك ساكن

وفي صباح يوم دخل على بطرس الفسطري خادم يده رسالة فنصها وقراها فوجد انها من البارونة السسبية وكانت قد اتت باريس بعد سبي ابنتها باربعة ايام ونزلت على صديقها المولى الفليني وهي تطلب الى بطرس بهذه الرسالة ان

بوافيها هناك لحديث عظيم الشأن وانها لا تستطيع ان تأتي لمقابلته للاسباب
المعلومة بينها وبين زوجها فضي في الساعة التي عينتها له ودخل القاعة التي كانت
تنتظر فيها فسلم عليها وجلس بازائها فنالت له هل استصوبت يا سيدي العمل
الذي عمله زوجي قال لا لكنه معذور

— اي عذر له

— معذور بالنسبة اليّ لانه لاجل مصلحتي فعل كل هذا فاذا ارتضيت بي

عادت اليك ابتك

— لست اجنوك شخصياً وانما اقاوم عند الزواج بينك وبينها لاسباب

لا اقدر ان اذكرها ولو عرفت بعضها لعدلت عن عزمك حالاً

— ربما كنت اجهل اشياء لكبي اعرف اشياء

— وما الذي تعرفه

— اعرف ان زوجك اهانك وخذلك حتى تركت قصرك في باريس

وعشت معتزلة في القصر الوقور وعلمت ايضاً ان سيرته القبيحة جلت عليه

احقار كل الناس

— فهذا كافٍ لابتعادك عن ابنته وامت رجل شريف مشهور بكرامة

الاخلاق

— لكنهم لم تتربّ عنده بل نشأت تحت مناظرتك وتخالفت باخلاقك

ونجحت بادابك المشهورة حتى صارت كثرّاً لا تعرف له قيمة فانا انوسل اليك

ان لا ترفضني طلبتي لان بذلك نفصة ايامي

— ما مرادي تكدير عيشك لانك تستغنى كل اكرام لكبي اعلم ان بذلك

تكيد حياة ابنتي وقد علمت ان بينك وبين البارون سرّاً جعله لك عبد رق

فضلاً عما لك عليه من الدين ومخال لي انه مكر بابنتي وخدعها مخوفاً اياها من

ويلات عظيمة حتى انتادت الى رايه هذا الانقياد الغريب على اعتقادي انها

لا تميل اليك ولا تفدر ان تميل اليك لاني اعرف ما هي منظوية عليه وما رضاها

الظاهر الا على سبيل تضحية نفسها لتكون فداء عما لا اعلم من مكاييد زوجي لكئي
ما دمت موجودة لا اغض الطرف عن وقايتها دقيقة فاما استخفافك بالشرف
والانسانية وكل عزيز عليك ان تنفي عنها والا فتكون قد قتلها بيدك آه لو
كنت تعلم لو كنت تعلم شيئاً من الاسرار لاذنعت لي في الحال

وطال الجدال بينها وهي تحاول ان تقنع ان مانعاً عظيماً يحول بينه وبين
ابنتها وتلوح له بهيئة الناسف والتحرق بما ينتج من اصراره على هذا العزم من الاهوال
الشديدة والمصائب العديدة التي تأول الى تلف كل العائلة السسمية فقال لها
الظاهر ان بينك وبين البارون سرّاً عظيماً قالت نعم سرّاً هائل جداً لا يقدر
احد ان يطلع عليه

ففكر قليلاً ثم قام وودعها قائلاً ستانصر
فحالما خرج من عندها دخل المولى الفلبي وقال كيف وجدتِ قالت
كانني انغص في رماد . وبلاء ضاقت الحبل وخاب الامل
وانتفى ان سوسان ابنة المولى الفلبي مرت امام الباب وسمعت كلامها فلاح
لها خاطر ربما لا يتفق لثأره ان تنكر به ففي الحال نزلت السلم بسرعة
لندعو بطرس النمطري وقد كاد يخرج من باب النصر فنادته فالتفت وراها
منتممة اليه فانعطفت وتقدم نحوها فقالت له وقد صيغ الحياء وجهها احب سيدي
ان اجلس وياك حصه لحديث مهم . فنظر اليها متعجباً وقال السمع والطاعة
فدخلت به خدرها وقدمت له كرسيّاً فجلس وجلست تجاهه وقالت له اظن
انك لا تعرفني يا سيدي فانا سوسان ابنة المولى الفلبي قال سمعت باوصافك
لحسنه

- امل اما وعرة ابنتي المولى الموريني ذكرنا في امامك وهما لي كشيقتين
وعسى ان لا يكون قد بلغك عني شيء غير حسن
- كلا يا سيدي بل الكل متفقون على حسن صفاتك
- على ان لي بعض خفة وجسارة ليست من حقوق النساء غير ان قلبي

طبيب ومحبتي صادقة فلا تحكم علي بالظواهر . لان مفاصدي في بعض الاحيان
تضطرني الى الجسارة . فانناد لاجساسات قاي وعندي حدة مزاج فلا اطبق الصبر
على ما يناقض عواظني بخصوص اصحابي ولا تمنع خفي الظاهرة كوني في الباطن
رزينة جداً لا اسلك الا على بصيرة

فكان يسمع هذا الكلام وهو ذاهل وكان هذه الفتاة العجيبة سحرته ثم قالت
له اعلي تجاوزت الحد في وصف نفسي لكن لاجل مصلحتي دعوت بك فند بلغني
ما كان بينك وبين البارونة السمسرية وقد خرجت من عندها وهي في حالة
برئى لما من الياس القتال وكثيراً ما سمعت انا وابي يقال عنك انك رجل
شريف كامل الادب والمروءة ذو نخوة وشهامة شريف النفس حي الضمير
والافكار واذلك لا اخشى ان اخشي معك واحداثك بافكاره ولو كان احد
غيرك لساء ظنه بي فجل مرادي الان مخابرتك بشأن صديقتي ملكة فعلى ما
ارى انك تحب الاقتران بها لكي تعجب على ما علمت من صفاتك المذكورة
كيف لا انتهي عنها وانت ترى شدة مقاومة امها ربما كان لك ما تدفع به عن
نفسك لكن حذر ان يكون في غير محل فينبك وبين ملكة حاجز حصين جداً
لكنه سر غامض لا اعلمه انا ولا ابي مع انه من اعز اصحاب البارونة ويوجد
ايضاً مانع اخر اعرفه انا فاذا ذكرته لك تعدل عن عزمك بلا تردد وهو ان
ملكة تهوى سواك

فارتعش بطرس وحلق بعينه دهشاً وقال لم تخبرني بذلك امها

- لعلها لا تعرف

- افانت متخنة ذلك

- نعم سيدي وترى اني لا اخشى ان افشي سر صديقتي مع انها محافظة على

كنه كل المحافظة غير ان الضرورة لها احكام

- افيمكن ان اعرف من هذا الرجل الذي تحبه

- لعلك سمعت بذكر انسان يقال له ربيب الذئاب

- ريب الذئاب . ما هذا الاسم الغريب . ومن هذا ريب الذئاب
 - منذ ثلاث سنوات كان هذا الرجل عائشاً في احراش ماريل عيشة
 وحشية والان قد تمدن وتعلم العلوم بواسطة رجل كريم الاخلاق بذل جهده
 وماله في هذا السيل وان شئت حدثتك بقصة هذا الانسان الوحشي العجيبة
 واخذت نمرد له تلك القصة بهيئة موهنة واخبرته كيف انقذ ملكة من
 السفوط في تلك الهوة وانه عشفها وانها ايضا وجدت اليه ميلاً شديداً تمكن من
 قلبها بالتدريج حتى صار وجداً مبرحاً فخرنت على نفسها حزناً شديداً واسلمت
 على حياتها لان قلبها تملكه حب رجل وحشي وكثيراً ما حاولت سلوه فلم
 تستطع ولا يزال هذا الحب يزاد تمكناً من قلبها ولم تطلع احداً على سرها غيري
 لشدة العلاقة بيننا فكيف ترى الان ايصح ان

- اشكر فضلك يا مولائي على هذه الفائدة التي زعزعت عزمي وحرمتني
 لذة تلك الامل لكن يجب ان انصرف في هذا الامر

- كالك كمت ترجوان ملكة تحك لان نفسك نائي الافتران بفناء
 لا يكون قلبها كقلبك وشغفها بك كشغفك بها . فلا يبعد ان تجد فتاة غير
 ملكة توافقك على مشرك

فخفق فواد بطرس لهذا الكلام وبهت بها صامتاً ثم قال حسناً دافعت عن
 صديقتك باسديتي لكن اذا حاولت تحويل نظري عنها افتناعاً بكلامك على
 اني اجد في ذلك صعوبة عظيمة فهل يكون لي الحظ ان اقرب منك
 - كما ان مقامك رفيع عند المولى الموريني كذلك تكون مفتوحة لديك

ابوابي

- فبناء على ساحتك اقدر ان التمس منه الشرف بدخول بيني

- لا مانع

- فقد اتحدنا بال صداقة

- نعم وهي تدوم اذا سلكت المسلك الذي اردته بكشف هذا السر لك

— مولاني سوسان قد سلبت عني بحرية ضميرك البديعة ولذلك لا اريد ان افارقك قبل ان اكلمك بحرية ضميري ايضا على ان تختفي ان باطني ظاهري كما قلت انت عن نفسك . ذكرت لي ان بعيتي قلب صحيح الحب هو ما قلت وسكت برهة ثم قال بصوت مضطرب قلت لي ايضا سيدني اذا لم تحبك ملكة فند تجد من تحبك سواها فيمكن ان تكوني انت المحبة الصادقة

فانتشر الدم في وجه سوسان حتى صار كالقرمز ثم تبسمت وقالت ولسانها يتلجج سيدي بطرس اذا عادت ملكة الى امها وتخلصت منها تمامًا فلا امتنع عن تسليم فوادي اليك

فاشرق جبينه طرباً وقال وعدّ جليل وقام فانصرف وبعد الظهر دخل قصر البارون فلم يجد هناك خلا بملكة وشدد عليها من السؤالات واكثر من الالحاح لاجابته فعرف بالرمز انها تحب غيره من زمان طويل فخرج من عندها جازماً بتركها

وثاني يوم ارسل الى البارون رسالة فحوها انه قابل البارونة ووجد انها لا تنزل مصر على رفض طلبه فاقنضت الانسانية ان يعدل عن عزمه الاول اسفًا فترلت هذه الرسالة على راس البارون نزول الصاعقة وتيقن خيبة اماله وسقوطه في هاوية الدمار فحمد كالصنم فاقد الرشيد ثم ثارت زواجع غضبه فاخذ برغي ويزبد ويزجر ويدمدم ويبرر ويشتتم بكل شفة ولسان وشمس كالاسد المجردان وهو بقلب كل ما صادفته من اثاث غرفته ويقول اذا اطلب البارونة التزل فليكن واتشب بيننا نار حرب دونها حرب داحس والغبراء است اسلمها ابنتها ولن ادعها تراها الى الابد

ولما سكن ما جاش في صدره من الجاش جلس على طاولة وكتب ما ياتي:
« ابنتها البارونة

» قامت بيننا معركة هائلة فانصرت موقتاً لكن سلاحي يدي وقد علمت
» ان احوالي تلفت وانت غيبة فيجب ان اشاطرك المال فاطلب منك حتماً ان

« تبعني الي بامونين بعد اسبوعين فارد اليك ابتك . فاذا انقضى الاجل ولم
 « تجيبي فستعلمين ما عزميت عليه »

ثم ختم الرقعة وارسلها اليها ووصى الخدم ان يشددوا بالمحافظة على ملكة
 فقال اندريا (وهو فردريك) حسن ما اري لا ينتهي البارون من حماقة
 حتى يباشر غيرها كانه الحرياء لا يرسل الساق الا ممسكاً ساقاً واظن ان وقت
 خروجه من داره قد صار قريباً وينتهي امره دفعة واحدة

الفصل الرابع عشر

لوسيا

وفي ذات يوم كان القائد المجردي في غرفته مشغولاً في بعض مهام فدخل
 عليه الطبيب الجندري فنهض له حالاً مترجماً به وبعد تبادل التحيات قال
 له الطبيب اتاني اليوم وكيلك بسند يظهر لي ان البيت الشنوي قد صار ملكاً
 لي وفوق ذلك يعين لي راتباً سنوياً مقداره عشرة الاف فرنك قال نعم هذا ما
 وجب علي ان افعله لان اقامتك ثلاث سنوات في اهتمام زائد بمصلحتي يقتضي
 اكثر من ذلك فكيف يصح ان لا اكافئك هذه المكافاة لكي تعيش في منزل
 طالما اظهرت لي انك تحبه لموافته لاشغالك العلمية وانت رجل فاضل دابك

التبخر في العلوم والغوص على لآليها واستكشاف خباياها فيجب ان يكون
 لك مدخول يضمن راحتك وخلاء فكرك من الاشغال العالمية لنيل معاشك
 — هذا فضل زائد يا سيدي لاني لا احتاج الى كل هذه المصاريف
 — على اني علمت ما هو دون مقدرتي وكما لك باذل حيانك لمنفعة
 الناس كذلك يجب ان ابذل جزءا من مالي لمنفعتك
 — عجباً فانت على ما يظهر واسع الثروة جداً
 — نعم نعم ارى ان ثروتي جل على منكبي فاحب ان اخف ثقلها
 لانك تعلم ان داي منعة الناس ولا سيما المحتاجين يسرني جداً ان ارى المصابين
 يستريحون من همومهم

— فناء عليه يسرك ان اطلعك على شيء جديد

— نعم فما عسى ان يكون

— سمعتك منذ سنتين نتكلم عن امرأة مجنونة بحثت عنها كثيراً فلم نثف
 لها على خبر وانك لا تزال تبحث عنها فهل عثرت على اثر منها
 — لا لسوء الحظ حتى لاح اليوم ان املي بحبيب

-- وقلت لي ان المرأة انكليزية ولدت في بلاد الهند وانك نهنم بها كثيراً
 فهل لك ان تطلعني الان على ما تعلم من احوالها الماضية بالتدقيق الممكن
 وما اسمها واسم عائلتها وكيف انت فرنسا

فاضطرب الجردى وشخص في الطبيب كالمندهش وقال لماذا تسالني

هذا السؤال

— لان الجواب بمعني جداً

فاجفل الجردى واصفر وجهه وقال ما الذي تخفيها يا الطبيب وما
 منعتك من ان تعرف ان اسم تلك المسكينة لوسيا وانها ابنة وحيدة لتاجر انكليزي
 كان في بلاد الهند وانها تزوجت في بتافيا بالمركيز بولس الشمري فاتي بها الى
 فرنسا

- وإها تقول كيف ينفعني هذا اسع. منذ بضعة اشهر زارني صديق لي من اشهر الاطباء وبينما نحن نتحدث بما يتعلق بالطب وروع ذكر لي حادثة غريبة وهي انه كان من في بلاد برغونيا فرأى في قرية يقال لها سرجة امرأة جميلة عمرها بين الاربعين والخمسين وكانت على اثر اضطراب شديد في دماغها لعل سبب لها ضرباً من الجون قد نسبت كل ما مر عليها في زمانها وكانوا قد وجدوها على الطريق تجر نفسها عياءً مرتعدة من شدة البرد وقد اضناها التعب والجموع والعطش والذي وجدها كان صاحب مزرعة فاخذها الى بيتهم وذلك منذ نحو ثماني عشرة سنة فاقامت عنده تساعد عائلته في الخدمة وتدير المنزل وكانت ذات وداعة ولطف ونشاط في العمل وحذق في تدبير المنزل حتى كان كل اهل القرية يحبونها ويحترمونها

فازداد اضطراب الجردى وظهر عليه ارتعاش متكرر وكان يحب ان يتكلم ولكن خشي ان ينقطع حديث الطبيب فيقي جامداً شاخصاً فيو ثم قال الطبيب

ولم يعرفوا من هي ولا من اين انت وكانت في اول امرها تتكلم لغة لا يفهمونها وبعد سنتين صارت تتكلم بالفرنسية وتفهم ما يقال لها فسالوها اسئلة كثيرة عن اسمها ومسقط راسها ومكان قدومها وغير ذلك من احوالها فكان جوابها «ما اعرف» لانها نسبت كل ما مر عليها الى حين دخولها المزرعة وكان عمرها اذ ذاك يقارب الثلاثين وسموها مريم

فقلت لصاحبي الطبيب هذه مسألة جديدة بالبحث المدقق فاريد ان تسعى لي بهذه المرأة. فصار ثاني يوم الى برغونيا وعاد بعد ثلاثة ايام وهي بصحبته وهي الى الان مقيمة عندي في البيت الشتوي

- عجباً منذ اشهر هي عندك ولم تذكرها لي من كيف ذاك

- احببت ان انتظر الى الان

فانتصب الجردى على قدميه مضطرباً وقال اريد ان ارى هذه المرأة اليوم

— سنراها يا سيدي ولكن دعني اتم كلامي فاعلم اني بعد بحث مدقق
مستطيل علمت ان هذا النسيان نتيجة اختلال عقلها وان عقلها عاد اليها بغنة
وكأن ذلك حدث يوم دخولها المزرعة لكن كيف كان هذا وبأي سبب. على
اثر صدمة ام خوف مفاجي ام رؤية هائلة الله يعلم وهذا سر عجيب فصرت اجتهد
لاني ذاكرتها الخامدة وهو امر صعب جداً ومحير ولو كنت اعرف شيئاً من
احوالها الماضية فربما تيسر تنبيه ذاكرتها بذكر بعض اشياء وتكرارها على سمعها
وعلى ما رأيته من ملاحظتها وحركاتها وتكلمها انها ليست من عامة الناس فاعتقدت
انها تعرف القراءة والكتابة فجعلت اضع ادبها كتباً من لغات شتى فقرأت في
كتاب انكليزي ثم قدمت لها ادوات كتابة فكتبت سطرين باللغة الانكليزية
فصرت اذكرها اساء مدن انكثرا فما ظهر عليها شيء من التأثير فاحضرت
خارطة فيها رسوم الملك الانكليزية في اوروبا واسيا وبقيت مدة طويلة ابحث
معا الى ان وقع نظرها على اسم كلكتا فتغيرت الوانها وصاحت « كلكتا كلكتا »
فحينئذ ما عاد الفائدة الجردى يستطيع ان يملك نفسه فنهض حالاً وقال
كفى يا صاحبي هيا بنا الان

وللحال امر الخادم ان يهيئ المركبة ودخل فغير ثيابه وخرج فلقي في
الباب ربيب الذئاب فلحظ ما هو من الاضطراب وسأله عن حاله فقال غبطة
عظيمة ارجوها وعسى ان يتم رجائي فنشترك بها
وخرج هو والطبيب وركبا المركبة فسارت بهما كهبوب الريح فلما وصلا
سأل الطبيب عن مريم وعرفا انها في الحديقة جالسة تقرأ حيث كانت تجلس هي
وحنة فقال الجردى نقصد محلها لكن دعني دقيقة ليسكن روعي لان هياج قلبي
شديد جداً

وبعد هزيمة بلغا المكان فراها تقرأ في الكتاب وشخص فيها الجردى
شغوصاً عجيباً ونضعضعت احواله وقال بصوت مخنوق « هي هي » ثم ملك نفسه
ودنا منها هو والطبيب فناداها الطبيب باسمها فرفعت راسها واطبقت الكتاب

وانصبت على قدميها وهي مندهشة شاخصة البصر في الثائد الجردى فوقف
بازائها وجهاً لوجه وقال امعني النظر في فارنجب بدنها وانتشرت حدقناها
وفتحت فاما التكلّم فلم تقدر فدعاها الجردى باسمها لوسيا مرتين فارتجفت ايضاً
وخبط نحو خطرة وقالت نعم نعم لوسيا اسمي لوسيا فقال لها الجردى انظر في
الي يا لوسيا وحقق النظر فامرّت بدنها على جبينها وقالت آه

- نعم اسمك لوسيا وانت ابنة وحيدة لوليم الجلندي

- جلندي . جلندي

- ولما مات ابوك كان وصيك فيليب الفاري في بنافيا

- بنافيا

- وفيليب هذا كان صديق ابيك الجلندي فاحبك مثل ابنته وزوجك

- زوجي . نعم نعم تزوجت

- وكنت نحين زوجك يا لوسيا وكان هو مشغوقاً بك

- كنت احبه وبجني

- وزوجك كان من اقارب فيليب الفاري ومثل ابيه

- نعم نعم

- فتذكرني يا لوسيا اذكرني اما عرفتني صحح اني شئت لكن لا الى درجة

نحني عنك معرفة هيّتي وعن اذالك معرفة صوتي اذكرني كم مرة قلت لك

يا لوسيا زوجني احك حباً شديداً . انا هو زوجك انا المركيز بولس الشهري

فصاحت صيحة شديدة هائلة باسمه واسترخت مفاصلها وكادت تقع فتلقاها

المركيز بذراعيه وضماها الى صدره وصار يقبل جبينها

وكان الطيب ماداً ايديه مبهوتين ينظر الى السماء شاخصاً

ثم قالت لوسيا صوت متلاش بولس بولس . واه . نعم هذا انت يا حبيبي

بولس عرفك الان . قد انشع الضباب الذي كان متكاثراً حول ذاكرتي

وانتمشت نغمي بحرارة قبلاتك

- لوسيا يا حبيبي. لوسيا قد ردك الله الي. اله الحمد والشكر اعلي يا حبيبي
ان كل ما قاسيت من الاحزان والاهوال سينبدل بافراح زائدة ونعيم اعظم .
رجل ما كرا وقع عليك تلك المصائب ونورط في النظاعة حتى سلبك ولدك
حالمًا ولدته

- ولدي . افلي اذا ولد

- نعم ولدنا الحبيب

فصارت تنجب وجرت دموعها كالمنطر فمستعها المركيز بشفتيه وقال لا
تراعي يا لوسيا وجدت ولدنا وساوصاه اليك فنجدين بي وبه سرورًا ما فوقه

سرور

وفي تلك الساعة اتمامًا لتدبير الحكمة الالهية مر غراب فوق رؤوسهم
وصاح « غاق غاق » فارتجفت لوسيا ونظرت فرأته قد ابتعد فقالت غراب
البين تذكرت الان تذكرت الان . ووقعت على ركبتيها امام المركيز وهي تنجب
فانهمضها بلطف وقال ما هذا يا عزيزتي سكتي روعك قد فأت الوبل واقبل
التعيم

وحينئذ تقدم الطبيب الى المركيز وقال الاوفى ياسيدي ان ندخل البيت
فالنفت المركيز حائرًا وقال العفو ياسيدي المذرة انساني اياك فرحي الغريب
فلا تحسبي الاسكران . اي جميل لك علي كيف افدران اكافيك وحسب امرك
ندخل الان البيت . فدخلوا وفتح لها الطبيب مكتبه وقال تكونان هنا على خلوة
ونقص عليهما كل الحوادث التي جرت ولا تخش باسًا لانها تذكر ما كان حالها
قبل دخولها المزرعة ثم انصرف الطبيب فاخذ المركيز يدي امرأته وجعل يخبرها
بالانفصيل عن كل الحوادث التي جرت لها الى حين فارقتها عائداً الى بنافيا
فاشرق في عقلها نور جديد وتذكرت كل ذلك تمامًا ثم اخبرها بكيفية غرق
السفينة التي كان فيها ثم ما دبر عليها البارون السمسي من المكاييد ليستولي على
تركة اخيه وكيف بعد ان جنت جعلها اسيرة في قصر بلنكورد مدة خمس سنوات

وانها هناك ولدت ابنها فبني اسيراً ايضاً في حديقة القصر نسع سنوات لكن لم
يرد ان يقص عليها ما جرى عليه بعد ذلك ولا ما حصل لشديد الشوري
وسلى من الويل لئلا يروعهما ثم اخبرها كيف اخذوها ايلاً في مركبة والفوها على
الطريق وحيدة شريفة

. ففالت لوسيا بعد تفكر قليل يلوح لي انهم تركوني في غابة كبيرة وانني خضت
خوفاً شديداً ما اعرف سببه ثم اغي عليّ ونيت مدة طويلة كاني فاقدة الحياة
وفي اثناء هذا السبات الثقيل اعاد الله اليّ عقلي فحالما افقت على نفسي اشرق عليّ
سور الفهم وعرفت ما انا فيه لكني لم اذكر شيئاً من ماضي ايامي فكل قوى عقلي
الا الذكرة عادت كما كانت . كاني ولدت في تلك الساعة آه يا حبيبي
بولس يظهر لي اني نشرت من الثبور كنت ميتة فحييت وقد عادت الى قوادبي تلك
الحبة بتمامها واضيفت اليها محبة اخرى ما كنت اعرف قيمتها وهي المحبة الوالدية
فقل لي بجمالك اكان تعيساً في ايامه وكيف وجدته

- يكي اليوم يا لوسيا في فرصة اخرى اطالعك على سائر الاخبار

- آفم والآن كبير وجميل مثلك

- نعم ولكنه اشبه بك

- وابن هو الآن

- في باريس

- وآه . آفم بالقرب منا . بولس متى اراه

- في هذا اليوم يا عزيزي

فصاحت صيحة سرور وتنفست نفس الراحة

وحينئذ دخل الطبيب ودعاها للغداء فتزلاعه فامر المركيز احد الخدم

ن يضي مركبة الى باريس وباني بمجنار ريبب الذئاب

وبعد الغدا قاموا بتمشون في الجنة ويتحدثون مدة ساعتين واخبر المركيز

زوجته كيف ان انها رآها ثلاث مرات في شاك قصر بلنكور فقالت له انظن

انه يعرفني الان قال ان ذاكرته عجيبة ومع ذلك سمنحنه وقد آن وقت قدومه
فادخلي قاعة الاستقبال وانتظري لئلا نرى ما يكون منه اذا قابلتك

وبعد خمس دقائق من دخولها القاعة اقبلت المركبة وخرج منها ربيب
الذئاب وتقدم المركيز للقائه ودخل الطبيب مكتبه فقال له حنا ارسلت تطلبني
فما الخبر قال دعانا الطبيب للعشاء عنده فادخل الان هذه القاعة حتى امضي
واخبره بقدمك فتقدم وفتح الباب ودخل فرأى امرأة واقفة فتراجع وهو ينظر
اليها مندهشاً . فتقدمت هي نحوه خافقة القلب مكسوفة اللون لانكاد رجلاهما
تحملاها . فبقي هو ذاهلاً مضطرب الفؤاد ايضاً وعيناه شاخصتان فيها كأنه
مسمور او في رؤيا فقال بصوتها الرقيق « حنا » فاشتد خفقان قلبه وتمثلت
لديه تلك الصورة البهية الطلعة التي رآها في بافذة النصر وبقيت راسخة في ذهنه
فصاح قائلاً . واه . واهآ . هذه انت . انت . عرفتك . امي امي . فنرامت عليه
ودمعاها بجري وقالت ولدي الحبيب

ففيها مدة متعاقبين لا يسه طبع هو ان يقول الا « امي » وهي تقول « ولدي »
وكان المركيز والطبيب قد اقبلا ووقفا بالباب يشاهدان هذا المنظر
اللطيف المؤثر ثم دخل المركيز وقال بصوت رزين هادئ حنا مضت مدة طويلة
وانا انتظر الفرصة المناسبة لابتغافك على الحقيقة فهذه هي الفرصة السعيدة التي
وصلنا اليها بهمة صديقنا الطبيب فانت الان يا حنا بين ابيك وامك انا هو ابوك .
فاستعلنت في الحال كل احساسات الحنا التي كانت كامنة في صدر هذا الفتى
وصاح صيحة شديدة وطرح نفسه بين ذراعي اميه وقد كاد يفقد صوابه من شدة
الفرح وقال له انت امي . منذ امد طويل كان قلبي ينبئي لكبي لا اجسر ان
اشرح لك صدري

وكان الطبيب قد تركهم يتمنون من افراحهم وجلس المركيز على المقعد
والى جانبه المركيزة والى جانبها ابنتها فقال المركيز لحنا لم اطلعك على كل شيء
يا ولدي بل بقي ان تعرف اسم ابيك ومقامه فلا يجب ان تدعوني الا بالاسم

الذي اعرف به الان الى ان تأتي الفرصة لكن ذلك يكون امام الناس واما
 انت فيجب ان تعلم انك ابن المركيز بولس الشري
 وبعد ذلك كان الاتفاق ان تبقى المركيزة عند الطبيب الى حين اللزوم
 وانها ياتيان كل مدة لمقابلتها وثاني يوم صباحاً ركب المركيز وابنه الطريق
 لمحمد بديعة الى باريس

الفصل الخامس عشر

دعوة خاصة

يرجع الكلام الان الى ثمة سياق الحديث في ما جرى بين البارون السمسعي
 وزوجته والفائد الجردى وبطرس الفسطري وثيقة الأشخاص الذين عليهم مدار
 هذه الرواية

ذكرنا اننا ان البارون ارسل تلك الرسالة الوعيدية الى زوجته وفي
 ينتظر الجواب فبادرت البارونة في الحال الى الفائد الجردى واخبرته الخبر
 ليدها برأيه فاجابها ان الراي الوحيد ان لانجاوب البارون وان لا تحرك ساكناً
 وان التديير عليه . فلنكن مطمئنة البال من جهة ابنتها فوثقت بكلامه وانصرفت
 راضية بمواعيده

وفي تلك الساعة ركب المركيز بولس الشري مركبة وسار الى بيت بطرس
 الفسطري فترحب به الرجل كل الترحاب وقال له اخبرني المولى الفليني البارح اني

انشرف اليوم بزيارتك قال حيث لم اتشرف بعرفتك قبل الان وجب ان ابعث اليك بخبري

— اهلاً وسهلاً بيتي لك منذوح في كل آن واعد نفسي سعيدة بتشريفك والتعرف بك لاني سمعت عنك اخباراً عجيبة . وانك من اكرم الناس نفساً واكثرهم اداً ومروءةً وانك واسع الثروة وتسنعل مالك في امور مفيدة خيرية وانا ايضا كئيب المآل فياخذوا لو عرفت ان انصرف تصرفك

— العفو يا سيدي تفضلت واكرمت ولا يصعب على الانسان ان ينفق ماله في مصالح العباد الخيرية اذا اراد

— وقد بلغني بتاكيد ان الناس مجمعون على محبتك واحترامك وتحفنت الان ان من قابلك يرى فيك من الجاذب ما يستميل كل قواه

— فلي الحظ بتواصل المودة بيننا وبناء على ذلك التمس ان تصفي مودتك ايضا لصديقي الذي كنت نصيره وهو ربيب الذئاب — طبعاً يجب ان اصادقه لاجل صداقتك

— وهذا الرجل سيرجع قريباً الى مقامه الشريف الذي ابعثته عنه يد الماكربن وله ثروة جزيلة ايضا سيستولى عليها . وحينئذ يلزم ان يكون له اصدقاء من اهل الخلوص . فاحب ان تكون انت من جملتهم

— يكون لي الحظ الاوفر يا سيدي . أفلمذا السبب انيت الي

— ولاجل غيره ايضا احتاج اليك

— فانا طوع ارادتك

— فاخبرك ان ظهور ربيب الذئاب وتعريف الناس بحقيقة اصله لا يوافق

الان يكون في هذه الفاعة التي نحن فيها ولكن لكي تعرف بوقبل ذلك اليوم التمس منك ان تشرفني للغداء بعد غد قبل الظهر بساعتين لان لي كلاماً مستطيلاً يستغرق نحو ساعتين ويكون هناك الاصدقاء الاخصاء الذين عينتهم لتلك الجلسة ومن جملتهم المولى الفليني

— حبا وكرامة سيدي

— وبناء على ذلك التمس منك دعوة خاصة بعد يومين لنفس اولئك
الاصحاب وتدعو زيادة عنهم البارون السمسي فلآن هذا البارون لا يمكن
ان يدخل منزلي ولا منزل المولى الفليني اخترت ان تكون انت صاحب
الدعوة واظهار ريب الذئاب في بيتك . والبارون لا يمنع عن اجابتك لان
المناطعة بينكم لم تكن مهمة . تدعو هؤلاء الجماعة للعشاء واما انا وريب الذئاب
فنحضر بعد العشاء لنفصد سري

— واذا لم يقبل البارون دعوتي

— بحب ان يقبل ولا غنى عن حضوره . وبكفيه ان يذكر ما لك عليه
من الافضال وعلى الخصوص بغض طرفك عن اختلاسه ذلك التحويل
— عجباً كيف عرفت هذا يا سيدي

— عرفته وكفى . والتمس اليك ايضاً وان كنت تشعيب ان لا تدعوا
الاشخاص الذين تجدهم عندي والبارون فقط من سواهم
— حتماً امر يدعوا الى العجب

— لا اقدر ان ابين لك اسباب ذلك الان واما مساء السبت فسينضع
لك كل شيء على ان لا تذكرني ولا تذكر ريب الذئاب قبل وصولنا
— واما لا اخالفك

— فمكذاتم الاتفاق . فننتقل الى موضوع آخر . ما المبلغ الذي لك على

البارون

— ربما كان اكثر من نصف مليون فرنك

— مع قيمة التحويل الذي اختلاسه

— كل ذلك مفيد عندي بموجب وصولات منه

— فيجب ان هذا المبلغ يدفع اليك

— لكي لست ملجأ في طلبه

— صحيح لاني اعرف كرامة نفسك وشهامتك وانك قصدت ان تتزوج بالسيدة ملكة السمسية صونا لشرف ابيها من الثلم واقامة لثأر المالى ولكي تنهب من ثروتك حصاة وافرة للملكة واخيها راعول . فهذا منك فضل عظيم غير انك احسنت جدا بعد ذلك عن ملكة الى السيدة سوسان لانها تحبك وتستجديها قرب عينك ونسيك حب ملكة بمحاسن اخلاقها لان مثلها نادر الوجود فالدين الذي لك على البارون يجب ان ادفعه اما لاني في هذه المدة دفعت كل ما كان عليه لغبرك على سبيل التحويل . فكل املاك البارون التي كانت موهوبة صارت بيدي فاريد ان احصر كل ديونه لي فقط حتى لا يطالبه احد غيري عند الاقتضا

— اذا كانت هذه ارادتك فلا امتنع من تحويل ديني اليك

— فالان استودعك الله وانتظر نشر بنك في الوقت المعين

وكان التائد الجردى قد ارسل قبل ذلك العهد رسالتين الى ايوب ولى راعول السمسي ليكون حضورها في بيته راسا يوم الخميس بين الساعة الثانية والرابعة من النهار وهذا هو الوقت المعين لاجتماع الذين دعاهم من اصحابه فلما كانت الساعة الثانية من اليوم المذكور حضر ايوب فسلم احدها على الآخر سلام الاحياء وصار الجردى يسأله عن اخبار عرابه وخطيبته فاخبره انها في عافية طيبة ولا يزالان يذكران افضاله ثم سأله عن يوم زفاف حنة عليه فاعلمه ان المدة لا تتجاوز الشهر فوعده انه يكون من الشهود لتنام سروره بمن اهتم بهم وفي الساعة الثالثة حضر راعول السمسي فترحب به وعرفه بايوب لان ايوب كان لا يسأله عن العسكرية الرسمية وكذلك راعول وكان احدهما لا يعرف الاخر الا بالاسم ولم ير احدهما الاخر الا مرة او مرتين

فلما سمع راعول اسم ايوب اصفر واضطرب فنظر اليو ايوب نظر الكره وقد علم من اضطرايه انه هو صاحب تلك النقطة القيمة . وقال لما الجردى وقد لحظ الامر يا صاحبي ان الذين يدخلون بيتي لا يخرجون الا اصحابا اذا كانوا

لا يعرفون بعضهم بعضاً . ثم اخذ راعول على انفراد وقال له اعلم يا صاحبي ان هذا الفتى كريم النفس طيب القلب لا يواخذك بما يفضي لانك احسنت سلوكك في هذه المدة القصيرة وندمت على عمالك ولزيادة اطمئنان قلبك ابشرك ان حنة لم تمت كما كنت تظن بل هي حية . وعن قريب سينتزن بها ابوب فانتبه راعول بهذا الخبر وقال اراح الله قلبك كما ارحت ضميري لان هذا الفكر كان لي عذاباً مستمراً

ثم انعطف نحو ابوب والدفع مل عينيه وقال يا سيدي اخطأت وقد دمت ولها لك الصغ الجبيل فهل تصدني . فنهض له ابوب واخذيده اشارة الوداد وقال نسينا ما كان يا اخي واني اصغح من كل قلبي : فقال المجردى حسناً فعلمتا قد انعقدت الصداقة بينكما ولن تتغير

ثم قال لراعول هل قابلت اباك وامك قال بحسب امرك وصلت رأساً الى بيت المولى الفليني وسلمت على امي واما ابي فلم يعرف اني قدمت قال حسناً فعلت ولعل امك اطاعتك على ما جرى عليها وعلى اخذك قال نعم عرفت كل شيء قال فاحسب انك لم تعرف شيئاً وبعد الغدا تمضي الى ابيك وتقول له انك انتبت لثراه واطن انه لا يطلعك على شيء من هذه الحوادث وانت لانسائه عن شيء ولا عن امك واخذك

وحينئذ كانت الساعة الرابعة فاقبل المولى الفليني والمولى الموريني وبطرس السطري فرحب بهم وعرفهم براعول وابوب ولحم الصداقة بينهم جميعاً . ثم قال وعدتكم ايها السادة اني اقص عليكم قصة طويلة قبل الغدا وهي قصة ربيب الذئاب الحقيقية لان كل احواله الصحيحة كانت اسراراً غامضة فجلسوا جميعهم واصغوا واخذ ينقص عليهم اخباره من اولها الى آخرها اي من حين قدومه بتافيا الى حين وجدربيب الذئاب وعرفه لكن من دون ان يذكر اسم نفسه ولا اسم لوسيا زوجته ولا اسم اخيه البارون السوسي بل جعل احرقاً هوض الاسماء واما حادثة شديب الشوري وسلي فلم يذكرها لمقصده فلما انتهى من

حديثه تحركت احساسات الجميع حنقا على ذلك الاخ الرديء الخبيث الماكر
ومالت عواطفهم اشد ميل الى ربيب الذئاب (وكان الى ذلك الوقت لم
يحضر لان التركيز اوصاه ان ياتي الظهر تمامًا) ثم سأله الموريني وهل هذا الوحش
الضاري باق في قيد الحياة قال نعم سيدي

— وهل يتقم منه نصير ربيب الذئاب

— ربما فعل

— وهل تعود الى ربيب الذئاب ثروة ابيه

— هكذا املي

— ولماذا لا تبسئ باسمه الخفي وبمحكم على ذاك كما يعنفق

— سيكون هذا ان شاء الله مساء السبت في اجتماع خاص وحينئذ قال

بطرس الفسطري لوفق الامر التمس منكم ايها السادة ان تشرفوا مترلي للعشاء

مساء السبت لان الدعوة انا اكون صاحبها والمجلس يعقد في بيتي

ثم قال الموريني للتركيز قد فعلت يا سيدي كل فعل حسن ارييب الذئاب

لكن هل لك امل بوجود امه

— نعم يا سيدي

— لكنها مجنونة على ما ذكرت

— كانت نعم غير ان الله باعجوبة رده اليها عقلها واصلها الي

وعند ذلك اقبل ربيب الذئاب في تلك الهيئة الجميلة والزبي اللطيف

حتى لم يعرفه واعول ولا ايوب ايضا فسلم على الحاضرين وتقدم بلهفة الى ايوب

فقام له ايوب دهشًا واعتنقه مليًا وصار الجميع ينظرون اليه متعجبين من تقلبات

الزمان

وحينئذ اقبل الخادم وقال الى الطعام يا سادة فقاموا جميعهم ودخلوا قاعة

الاكل وجلسوا باكلون ويتحدثون. وبينما هم على المائدة سمعوا اصباحًا اشبه

بالخصام في دار المنزل فانصتوا

فخرج الغلام وعاد بعد هنيهة وقال شيخ يصبح ويلج مجتهداً ان يرى سيدى
ولوعلى المائدة مع اعز اصحابه فقال المركز وقد تحير هل ذكر اسم هذا الشيخ

— نعم قال ان اسمه العنزي

— وى وى . كيف اتى هذا الشيخ الفاني من بلاد بعيدة ليراني . له علي

فضل هذا الشيخ لانه هو الذي اطلعني على اكثر الفصة التي ذكرتها لكم . هل

تعرفه ايها المولى الفليني

— اعرفه منذ عهد مديد وكل اهل تلك النواحي يعرفونه

— فهل تأذنون ان يدخل

— بلانردد يا سيدى

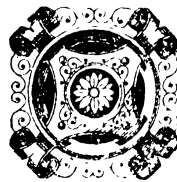
وبامر المركز خرج الغلام ودعاه فدخل وهو يسلم على اليبين واليسار
وكانت ثيابه جديدة وزيه زي فلاحى بلاد فوجة ويده عصا غليظة يتوكأ عليها
وبعد ان حدثوه قليلاً هالزين اخبرهم بسبب محبته وهو انه بعد ان كان سائلاً
اتاه الغنى الوافر حتى صار يعطي العطايا ويتصدق على المحتاجين وان كل ذلك
حصل له من فصل الفائد الجردى فأتى يتشكر فضله

وبعد ان انصرف الجماعة من منزل المركز ودعاه الشيخ العنزي على ان
يكنث بضعة ايام في باريس ليتفرج ويتنزه ويزور بعض معارفه ومن الجماعة
سوسان الفلينية لانها كانت تحسن اليه كثيراً

واما راعول السمسى فانه اخذ مركبة وقصد منزل ابيه كما كان الاتفاق
بينه وبين المركز فتلقاها ابوه بفتور زائد بل بكريم منه وقد تحير من قدومه الفجائي
فانكسر خاطره واعذر اليه بكونه لم يعلمه برسالة قبل قدومه . ودار حديث بينهما
به علم الفنى ان اباه يسمع له بان ينزل غرفته في الطينة السفلى من القصر لا
غرفته الاصلية . ثم ذكر البارون له ان امه واخيه ليسنا في القصر الوقور لانه
اعلمه ان مراده الذهاب الى هناك ليراهما (منجماً لأمهما حسب امر المركز) ثم
اترقا على ان يصرف راعول ثلاثة ايام في باريس وياكل عد اصحابه

ثم دخل الغرفة التي سمع له ابوه بها ليغير ثيابه بها وصار يقول في نفسه ما هذه الشراسة ما هذه الفظاظة ألم يكنف بتذير تلك الثروة المختلسة حتى يريد ان يستولي على ثروة ابي ايضا . وما مراده ترى ان يفعل باختي المسكينة . لكن صبرا ليس يستطيع شيئا ثم غير ثيابه وخرج وقد وجد في الفصر واهله دلائل الم وما الشيخ العتري فمضى يوم السبت بعد الظهر الى منزل المولى الفايدي على سبيل الزيارة فسأل عنه فبيل له انه غائب . وكان بطرس القسطنطيني قبل ساعة قد زار سوسان وحديثها وكشف لها حبة الشد يد واسألتها ان يخطبها الى ابيها فاجابته . فالتمس منه ان يخرجها للتزويج في بعض الحقائق وكان قصده ان يفتح له الحديث وخرجت معها البارونة في المركبة نفسها لكن كان قصدها ان تزور الفائد الجردية وتلتبس منه ان لا يمس ولديها باذى اذا اراد الانتقام من زوجها لانها علمت بالندبر الذي كان وما عزم عليه الجردية من كشف الاسرار

وان ذلك بقيت سوسان في الفصر وحدها فدخل العتري ليراها ويتحدث معها واخبرها بانه صار غنيا ولاي سبب قدم بباريس . واخبرته هي في حديث طويل عما حصل اريبب الذئاب وان البارونة السمسرية مقيمة في بيت ابيها ومملكة عند ابيها لكن لم تطلع له على الاسباب فعزم العتري ان يدخل قصر البارون لعله يرى ملكة فنالت له سوسان لا تقدر ان تقابلها قال فاني اجرب قالت فاذا رجعت تخبرني بما سيعري لك فوعدها ووضى



الفصل السادس عشر

ليلة هائلة

مساء السبت الساعة الاولى من الليل دخل البارون النمسي قاعة بطرس
القسطري وهي تاللاً بالانوار فرأى هناك ايوب والمولى الفليني والمولى الموريني
وكان يعلم ان هذين الرجلين صديقان لامرأته فتعجب واشتغل فكره وقال لعل
هنا موامرة عليّ فنهض الجماعة وسلموا عليه بفتور ثم جلس ودار بينهم الحديث
وبعد نحو ربع ساعة دخل الخادم واخبر بقوم راعول النمسي فاندش
البارون وقد ظهر له وجه الحق بان هناك موامرة والا فما محي ابنه وهو لا يعرف
بطرس القسطري فلما دخل الفتى وسلم سأله ابوه ما قدومك يا راعول . فما
امهله بطرس حتى يجيب وقال للبارون عجبت يا سيدي من محي راعول الى
دعوتي والحال اني اليوم رأيت في الفندق مع احد اصحابي فعرفني به . فحيث اني
دعوتك رأيت من الزوم ان ادعوه ايضاً . فصدق البارون كلامه لكنه بقي
في خاطره شيء من الوسوس

ثم اقبل الغلام وقال الطعام يا سادة فقاموا الى المائدة واكلوا وهم يتحدثون
باحاديث مختلفة وكان البارون قد اطمأن لانه لم ير دليلاً على ما ظن اولاً . ثم
دخلوا القاعة فمال بطرس حيث ليس بيننا نساء يمكننا ان ندخن هنا . وقدم لهم
سواكبر

وقبل الساعة الرابعة من الليل بقليل دخل الغلام واخبر بندوم المركيز الشمري . فأجفل البارون وذهل وكأن الصاعقة انقضت على رأسه ووقف متحيراً جامداً محملاً بعينيه وكذلك اخذ العجب مأخذه من الباقيين

ودخل المركيز المذكور فاذا هو ربيب الذئب فزاد ارتياح البارون ونعاضم اندهاش الباقيين واما ابوب فتقدم اليه مسلماً وهو حيران وقال ما هذه البغنة

وبعد ان خف الابهاش وعاد البارون الى صوابه التام تقدم الى ربيب الذئب وهو يتبسم تبسم التهمك وقال المعذرة ياسيدي ما فهمت اسمك . فهل تتمكرم بذكره لي فقال الفتى بهدوء تام . عجباً سيدى اما سمعت الخادم يذكر اسم المركيز الشمري

- سمعت سيدى لكتبي ما صدقت . أفانت المركيز الشمري . ان شئت فتكرم علي وعلى هؤلاء السادة بالافادة عما هي العائلة الشمرية التي تنسب اليها - لم يكن في فرنسا منذ قدم الزمان الاعائلة واحدة بهذا الاسم وهي عائلتي . كانت جدتي ارملة المركيز لويس الشمري قد تزوجت بالبارون السمسي وكان لها من زوجها الاول ولد اسمه بولس الشمري وولدت من الثاني آخر يقال له لاون السمسي وهوانت ايها البارون فانت عي اخو ابي - كذب ويهتان . ما هذا الفشار ما هذه الوقاحة . ايها السادة أنرون هذا الاعداء وهذا الاخلاص الغريب العجيب . هذا الاتحال الذي ما انزل الله به من سلطان

فصار الجماعة يتكلمون كلاماً غير مفهوم . واكهر ربيب الذئب واقبضت سميته ثم ملك نفسه وشبك يده على صدره كهيئة المنهمك فقال البارون - كل الناس يعرفون ان اخي مات غريقاً سنة ١٨٤٨ ولم يتزوج فكيف يكون له ولد شرعي فاعلموا ايها السادة ان هذا الماكر لص محال . است اعرفه من هو . من اين انى . ليخبرنا ويأت بالبراهين

وكان قد اتى وراء ربيب الذئاب رجلٌ نوتي كثيف الشعر اثبت اللحية
جلس ولم يتبها اليه . فنهض من مكانه وقال ان البارون له الحق فليس هذا
الرجل المركيز الشهري ولا يصح له هذا اللقب لان اباه باقٍ في الحياة
فصاح الجميع صيحة الدهشة واجفل البارون وزاجع مرتاعاً كأنه رأى
خيالاً مخيفاً . ثم لاح بفكره ان اخاه خفي اثره منذ خمس وعشرين سنة فعاد الى
مسأله والتفت الى الجماعة فراحم حائرين مكثبين . فدنا من النوتي وهو يتبسم
حنناً وقال . وَيَّ وَيَّ . افانت هو المركيز منكرًا بزي النوتي
— او كنت اما المركيز لعرفتني

— صحيح لكني احب ان اعرف الى اي غاية تصل انت وشريكك هذا .
ترون ايها السادة ان الامر مضحك . اجاد التمثيل هذان الشخصان ولعل الثالث
لا يقصر عنها في حذق التمثيل في هذه الرواية الغريبة بهذه الوقاحة المخارقة
المحدود . فاكراً لذكر اخي انها ما ان يجعلها هزأة
— بل حالك مضحك ايها البارون ولست الامر هما ولا لك ان تنهى عن
كشف الحق

— وبك فمن انت ايها المخائل وما تريد قل حالاً
— الذي اريد ان اسالك ايها البارون ما فعلت بتركة المركيز بولس
الشهري التي كانت ستة ملايين فاخزلستها
— وبلك ايها الافاك . الى متى . اسمعتم ايها السادة . كيف اجيبه . ما
عدت املك غضبي . فما العمل بهذين المجنونين
وكان ينتظر ان يرى له نصيراً فتمقدم الى المولى القليني ومد يده لياخذ يده
فنفر منه مشمئزاً وقال ايها البارون تهمة وقعت عليك فيجب ان تدافع عن
نفسك . ما هذه التركة المخلسة
— كذب فاحش ايها المولى . اخي مات عن ثروة حصلت لها في بنافيا وفوض
الى الاستيلاء عليها

— لكن يظهر ما سمعنا ان اخاك كان متزوجاً
 — هذا ايضاً كذب واقتراء
 — وان امرائه ولدت ذكراً
 — كذب فوق كذب . هذا خداع . وموامع فظيعة قامت عليّ لكني
 لا اخاف شيئاً

والحال ان امارات الجزع والارتياح كانت واضحة عليه . فكان يلتهب من
 شدة اضطرابه وعيناه تنفدان غضباً وفشلاً وقد جحظنا جحوظاً بيننا وعلا الزبد
 شذقيه ونحدر العرق البارد على وجهه وهو يكاد يخنق من فوران دمه . ثم
 قال اذا كان لي اعداء (ولست اعني هذين الخنائين) فليظهروا لي وجهاً لوجه
 يا سيدي بطرس النسطري . قل لي كيف دعوتني . ولاني سبب . ما هذه الحيلة
 ولماذا اتى هذان الرجلان بهذه الصفة

— حقاً يا سيدي لست اعلم شيئاً مما يجري
 — كذاب كذاب نصبت لي شركاً في وسط بيتك
 فهنا بطرس الهجوم عليه فاعترضه الفايي وقال مكانك
 — كيف وهو يشتمني
 — لا خير . دعه يفعل

فصار البارون يتلظى ويتهمل وضرب برجله الارض وقال آه افلست اذا
 انا المشتوم المهان ... وبك باراعول راعول كيف يشتم ابوك وانت حاضر
 كيف يثلم شرفي وانت لا تدافع عني وعن نفسك
 فانتصب الفتى وهو مصفر مرتجف وقال بالي انا اسبع وارى وانتظر
 — تنتظر ماذا . افليس في راسك نخوة وانت مندم فرنسوي الدم
 — اقوم بما يجب عليّ عند الاقتضا
 — افانت ايضاً ياشقي مالي عليّ
 فتقدم راعول الى البحري وقال له قد اوقعت على ابي تهمة فظيعة فاما ان

تأتي بالبرهان ولا فاستهدف النعمة

فقال البارون تريد يراعول ان هذا الخيال يتكلم افلا تعلم انه يكذب طبعاً
وقال الفليني للبحري قد جعلت ايها الرجل سيادة البارون هدفاً لمكيدة
شيطانية فيجب ان تاتينا بالدلائل والبراهين الفاطمة على وجود اخيه المركز
قال نعم اول دليل هو هذا وأشار الى ربيب الذئاب فقال البارون وهو بصير
باسنانه ويل الخيال الخبيث . ثم قال البحري فاجلسوا الآن ايها السادة لكي
اتيكم بالبينات الاخر فاني افص عليكم خبراً واقعاً ليس من باب الحكاية . فجلس
الجميع وبقي هو واقفاً وقال بصوت جهير

اعلموا ايها السادة اني كنت من جملة النوتية في السفينة التي شاع خبر
غرقها في الجرائد وزعموا ان المركز الشري كان من جملة غرقاها . فلما حلت
بنا تلك المصيبة وغرقت السفينة وتشتت ركايبها وهم يخبطون في اللجة . كنت انا
اعاني سكرات الموت بعد جهد جهيد في السباحة حتى اذا تلاشت قواي وكدت
اسقط هالكاً الى قعر اللجة سمعت ورأيت صوتاً يقول . تشجع تشجع . فانتعش
قلبي ورجوت السلامة ثم شعرت بيد قوية قبضت على ذراعي وانا متلاش وصار
الرجل يسبح بنشاط ويحرفني وراءه الى ان وقفنا الله الى وجود طوف فركبناه فصارت
الامواج تنفاذفنا حتى بلغنا ساحل العبيد من افريقية لان السفينة غرقت قرب
تلك السواحل . وحملنا تيار عظيم والانا على البر فاسترحنا قليلاً ونقدمنا
روبداً وكان نقطة الاصداق والثمار وماكل . وبقينا يومين ماكل الثمار ونشرب من
مجري المياه

فاتفق ثالث يوم اننا سمعنا ضوضاء من بعيد وبعد رهة راينا جماعة من
العبيد من امة الاشانبة تقدم نحونا بالسختها وهي تصيح في وجهنا . فكندنا نسنط من
شدة الخوف غير ان الجماعة لم يقتلونا بل ساقونا اسيرين الى بلادهم فاقبوا عديم
مدرة ورفيتي يظهر لهم من طلاقة الوجه وعلامات الشهامة والمروءة وعزة النفس
ما امال اليه قلوبهم فاحبوه واعجبوا به واحترموه وكانوا يصرون عن امره .

وبلغ خبرنا الملك فاستند منا وجعلنا في بايو ثم جعل رفيقي مستشاراً له لما رأى فيه من الذكاء والفتنة وكنت أنا مع رفيقي ككناهم أسرارهم وقد تمكنت بيننا المودة واقمنا عند ذلك الملك ست سنوات ونحن رجوان بظلفنا يوماً لكنه كان حريصاً علينا جداً وهكذا مضت علينا عشرون سنة في خدمته ثم مات وقد رقى لنا وأوصى ابنه أن يطلق سبيلنا ففعل فمضينا إلى أن انتهينا إلى ساحل البحر واستدلنا على أملاك الانكليز ووصلنا سالمين فرحب بنا الانكليز والبسونا اللبس الموافق وأركبونا سفينة إلى انكلترا

وكان رفيقي في أثناء الطريق قد أخبرني بقصته من حين دخوله بتافيا للتجارة إلى تلك الساعة فعلمت أنه سليل عائلة من اشرف عمال فرنسا وأن اسمه المركيز بولس الشمري. وأخبرته أنا عن خمول عائلتي وأن ليس لي غير أم أرجو أن التاها بعد رجوعنا وكنت قبل ذلك قد علمت أن اسي اندريا ثم ركبنا من انكلترا سفينة إلى فرنسا وكان في تلك السفينة رجل يقال له ابن حسان كان المركيز يعرفه بالاسم فنعرف به وذلك ابن حسان من زوجته وتعب غاية العجب ثم جلسا يتحدثان باللغة الهولندية وكنت أرى المركيز يضطرب أحياناً وأحياناً يكتم أو تجري دموعه. فلم أفهم أولاً ما تلك الأخبار التي أثرت فيه هذا التأثير الشديد

ولما بلغوا فرنسا نفدت والذي فوجئت أنها توفيت منذ خمس سنوات فخلا بي المركيز وأخبرني بما جرى على المركيزة وولدها كما علم من كلام ابن حسان وطلب إلي أن أبقى مصاحباً له ما دمت في قيد الحياة فسررت جداً بصحته وأجبتني أنني لو على سبيلك دي. لكنه أمرني أن لا ادعوه من تلك الساعة باسمه الحقيقي بل باسم ذكره لي قائلاً أن مراده أن يسعى سعيًا خفيًا ليقف على المحفاتي التي يطالبها ولم يزل الحال بيننا مكتوماً إلى اليوم. فقد انفتح لكم أيها السادة ان المركيز بولس الشمري باذن الله حياً فقال البارون وهو بمخدم غيظاً. ويلك ما احذفك في التلغيق والنفشار

بكفي دليلاً ما ذكرت ونحن نعلم انك منافق فان كان هذا المركيز الذي تذكره
 باقياً في قيد الحياة فلماذا يجني نفسه . ليظهر لنا ونفحق باعيننا . ابن هو الان
 ليحضر

وما اثم البارون كلامه حتى فقع في جانب القاعة باب طلق المصراعين
 وظهر المركيز قائلاً بصوت رنان . ها انا ذا

فشخصت اليه الابصار وذهل الجميع وقد عرفوا انه نفس القائد
 الجردى فوقفوا لكنهم بنوا جامدين في امكنتهم كأن ارجلهم مسمومة في
 الارض

فتقدم المركيز نحو البارون يهدو فصاح صيحة شديدة بصوت اجش
 ونكص مرتاعاً وهو منقبض السحنة ممتنع اللون شارد النظر كالمجهول ترتعد
 فرائضه وتصلطك اسنانه . وقد هالته هذه الروبة وفحت لديه هاوية الهلاك
 المبين

وكان المركيز يظهر السكينة لكن النار تنفد في عينيهِ فوقف بازاء البارون ووضع
 يده على صدره وقال ايها البارون السمسعي تنتظر حضوري ها قد حشرت لكن
 ما ارى بوجهك لواضع السرور التي تظهر في الاخ عند مقابلة اخيه بعد غياب
 طويل ام نسبت اخاك بواس الثمري ايها البارون . ارفع راسك وانظر الي .
 ارني وجهك وافهم كلامي . منذ خمس وعشرين سنة فارقتك وقد ابقيت بين
 يدك وديعة هي اعز شيء عندي في الدنيا . زوجتي المركيزة . فوعدتني انك
 نرعاها حق الرعاية وتعني بولدها الذي كان قريب العهد بالولادة . فانيت
 الان اطلبها منك . ايها البارون ما فعلت بثروتي . ايها البارون ما فعلت
 بثروتي . ايها البارون ما فعلت بامراني وولدي . ياقاتل شديد الشوري غدرآ
 يا فاقين ما صنعت باخيك

فصاح البارون بصوت مخنوق وسر وجهه يديه وظن ان الارض تخسف به
 وودّ لو فحت فاها وابتلعته وانذكت عليه شواخ الجبال

فوضع المركيز يده على كتف اخيه وقال انظر انظر ايها الذئب الكاسر الى فريستيك انظر اليها ايها البارون فخيّل له انه يراها من خلال ضباب من الدم فبلغ به الهول غايته وصار كالاموات. وظن الناس انه سيغنى عليه لو يقع مترايماً على اقدام اخيه غير ان الامر كان بالعكس فقوى قلبه واستجمع حواسه ونهض كالنمر وفرّ من الباب . فارادوا ان يدركوه فقال المركيز دعوه يصنع الله به ما يشاء . ثم نهض راعول وهو مبيض البشرة كالابرص من شدة غيظه وعينه تدحان شرراً وقال تحمل النعمة محلها ويوحّد بشار المظلومين . وخرج على اثر ابيه وهو لا يلوي على شيء

وحينئذٍ مدت الادي الى المركيز بالتهاني والودود فقال لهم قد رايتم ايها السادة ما فعل بي اخي لكي اكراماً لمقام زوجته وولديه اكنفي بما فعلت . لست اطلع المحكومة على شيء من امره . والله وحده ياخذ لي بشاري . وقد استأمتكم ايها السادة والاصحاب الصادقون على اسرار هذه العائلة فالتمس اليكم ان تبني مكتومة في صدوركم

فوعده وعداً جميلاً وقام المولى اللبني وقال انتهز هذه الفرصة باسادي لاخبركم ان السيد بطرس القسطنطيني قد خطب ابنتي سوسان واجبته فادعوكم من الان ان تشرفوا منزلي يوم الزفاف فتقدم حنا (ربيب الذئب) وهنأه فقال له وعسى الله ان ينيلك مرامك عن قريب ويبرد غلتك . وقال المولى الموريني للمركيز بولس اما ملكة فهل تعود لامها . قال نعم في هذه الليلة نفسها والتفت الى غلامه الامين اندريا وكان قد نزع عنه ذلك الزي المستعار وقال لم تنته خطنك الى الان في بيت البارون فامض وتم ما عليك الى ان ياتي الوقت

وفي الجماعة مدة يغدثون بهذه الاخبار العجيبة ثم انصرف كل منهم لشأنه

الفصل السابع عشر

—•••••—

النار ولا العار

كان البارون قد ذهب معتنفًا كالمدحور فصادف عجلة فركبها الى قصره ودخل غرفته وجلس على كرسي وهو في حالة شديدة جدًا واما راعول فلم يدركه في الطريق. فمضى الى القصر وصعد الى غرفة ابيه فوجده في تلك الحالة المكربة فالتفت البارون وقال ما اقدمك يا راعول قال تبعتك لانك ابي

• - وما تريد مني

- ان اعلم ماذا نعمل وعلى ماذا عزمنا

- ما ادري

- بل يجب ان تدري في هذه الدقيقة . لاهلة ساعة . سقطت حرمتنا جميعاً انحط شرفنا صرنا مرذولين مخذولين . النار ولا العار . قد فتمت لديك يا ابي وهذه الهلاك وتلظت بالعار . سبأوه على جبينك لا يحموها الا الموت . لم يبق لك شي حتى الثياب التي عليك والطالب الوحيد لك في كل ديتوك هو المركز الشمري . ابن المفر . ابن المهرب . ابن اللجأ . بكلمة واحدة منه يفضي عليك . لا تقدر ان ترجو ذرة من مال امراتك ولا ولدك . كل املاكنا تخص من هو احق منا بها تعويضاً عما سلبته من النعم . فانت يا ابي لا محالة هالك هالك طبعاً

- هالك نعم هالك
 - يا ابي العمل الذي بجلته ليس افضع منه
 - وكيف عرفت يا راعول
 - عرفت ولا اقدر ان الومك لاني انا ايضا ارتكبت ذنباً قبيحاً
 - انت راعول وكيف ذلك
 - لا يعينك ان تعرف وجل المراد ان تعلم ما نحن فيه من العار ليس احد
 من عائلتنا بري الا ابي واخي فيجب ان يبنى شرفها محفوظاً ويخمد غضب الله
 علينا لللا يلحق البري بالسقيم
 - وما معنك
 - معناي . انه يجب ان نموت
 - نموت . ولماذا
 - لاننا لا نفدر ان نعيش
 - وبلاه كيف نموت . راعول ماذا اصابك
 - يجب ان نموت . هل خلوت من الحماسة وفقدت الشئمة
 - لا . لا .
 - فالموت وحده يفسل العار الذي نلطفنا به . كيف نعيش والناس
 ترشقنا بالاحداق وتشير الينا بالبنان ولم يبق لنا خليل
 وكان البارون حينئذ يرعد ارتعاشاً شديداً وهو طائر الصواب فتقدم
 راعول الى خزانة كان يمد بها غدارتين ففتحها واخرجها وقال خذ واحدة
 يا ابي وانا واحدة في اول دقيقة من نصف الليل اي بعد اربعين دقيقة
 يجب ان نطلقها معاً في دماغنا . أفاق على نفسك واعلم ان الموت باب نجاتك
 من العار
 - نعم نعم . يجب ان اموت . حسب قولك افعل . يجب ان اموت . في
 اول دقيقة من نصف الليل افرغها في دماغي

وللحال نزل راعول الى غرفته واذا برجل كان مستترا بجانب الباب نزل على اثره (وهو اندريا غلام البارون وكان قد لبس لبس الخدمة كما امره المريكز وترصد ما يجري) فرأى راعول دخل غرفته في الدار السفلى واغلق الباب واقفلة فوقف محمرا وعزم اذا حانت الدقيقة ان يفرع الباب ويناديه وبينما هو يفكر مضطربا اذ انفتح الباب وخرج راعول . فاستتر اندريا في ناحية وكان الظلام حالكا فرأى راعول يصعد السلم وشعر ان الغدارة ليست بيده . فدخل الغرفة ورأى الغدارة على الطاولة فاخرج منها الرصاص والبارود وابتى الكبسونة وخرج لسان اخر

وكان راعول قد قصد مقصورة اخته فلما دخل وجدها مطروحة على الارض مغنى عليها فصاح صيحة الاسف وانفضها واضجعها على منعد ورش وجهها بماء بارد فاستفاقت بعد قليل ورائه فتنهدت وضمت الى صدرها فقال لها مالك يا اختي يا حبيبتي ماذا جرى عليك فاجابت بصوت ضعيف مضطرب سمعت يا راعول وعرفت ما عزمتم علي ولا ان قد صرت في قبضي فلا ادعك . . . — بل يجب يا اختي ان اكفر عن ذنبي هكذا قضى الله علي لست استطيع البقاء تلظنا بالعار انا وابي فلا بد من الموت — كلا كلا . لا ادعك تموت واما ابي فلماذا قلت له انه على علم فظيما

فما الذي عمله

— لا يحسن ان اخبرك يا اخناه لان الخبر مريع جدا — بل يجب ان اعرف . لا تكتم عني يا اخي يجب ان اطلع على كل شيء . فاخبرها بوجيز العبارة عما فعله ابوه من المنكرات وكان بدنها يرتجف وقلبا يتصدع ودموعها تجري ثم قال لها افعلت اذ ان الموت واجب . قالت نعم نعم . لا خير في الحياة بعد هذه الكبائر . ولهذا السبب قال لي فردريك (اندريا) بعد ان خرج ابي اني استطيع الفرار من دهليز سري . لكن الله الهني لا يكشف الاسرار واعلم ما يجري

- فاخرجي الان يا ملكة امك في انتظارك على نار
- كلا كلا . لا اقدر يجب ان ابقي هنا
- لاي سبب ما مرادك
- ما ادري يجب ان ابقي . راعول لا يصح ان الانسان الشريف يهرب

الموت

- فتريد ان امضي عنك
 - نعم . امضي لشانك ودعني لشاني
 - وما تصنعين اخبريني
 - امضي لشانك . دنا الوقت استودعك الله
- فتعاننا ونشاكيا ملبثا ثم خرج راعول ونزل الى غرفته وهو مصمم على قتل نفسه فاخذ الغدادة وصوبها الى راسه ووقف ينتظر الدقيقة المعينة
- واما البارون فكان بعد خروج راعول من عنده قد بقي جامداً على كرسيه كالصنم ورأسه يتقد من تناغم الدم واضطراب الدماغ واستمر في هذه الحالة نحو ربع ساعة كانه في غيبوبة . ثم ظهر في عينيه لهب حاد وطفرة كالمدعور و اح صيحة كخوار الثور ووقف شعر راسه وتنبض وجهه وتشبعت عروقه وشعر ان غفلة يخل وقد شرد ففكر ولم يستطع امساكه . فجعل يدور في غرفته ويداه متنبضتان على صدغيه ثم وقف ونظر الى الساعة فصاح بصوت اجش قائلاً .
- يوه يوه . الجنون . لا اريد ان اجن . وارثش ارثعاشاً شديداً وضحك ضحكة حادة غريبة وقال . انا اموت . انا اقتل نفسي . هكذا يزعم الاغبياء . لا . بل يجب ان احبي . يجب ان اذافع عن نفسي الى اخر حياتي .. قه قه . ما اقل عقولهم . ليرتجفوا امامي ويرجعوا خاسرين . قه قه قه . يجب ان اهرب . انا البارون السوسي كل الناس تعرفني . سأجد لي اصحاباً . نعم يجب ان اهرب وانا قادر عندي ذهب كثير
- وتقدم الى خزائنه وفتحها واخرج رزمة من محاول المصروف واربع صرر

دنابير ووضع الجميع في جيبه . ثم صاح كما يزار الاسد وشرد بصره وكأنه نسي ما عزم عليه . ثم ذكر الهرب ودنا من الباب وقال لا . من هنا بل من الدهليز السري وعطف الى باب اخر يودي الى الدهليز وفحه واذا شيخ اسود منتصب امامه . وكان هذا اندريا لانه اشار على ملكة بالهرب من ذلك الدهليز كما اشرنا وقال لها انه ينتظرها على الباب ثم استبطاها وبعد انتظار طويل دخل القصر ليشتد الاحوال

فلما راه البارون وهو في شروود عقلو ظنه واحداً من الدرك وان وراءه جماعة اتوا للقبض عليه بامر المركيز وان كل منافذ القصر عليها حرس من الجنود . فالذي كان باقياً له من العقل طار في تلك الدقيقة . ونكص مرئعاً واعوى كالذئب الجائع ثم اقبل الباب . وصارت عيناه تدوران في محجرتها وهما كبرك الدم . وحينئذ سمع صوتاً قرب غرفته وهذا كان صوت راعول حين ودع اخته . ثم سمع حركة على السلم وقال اتوا اتوا وقبضوا علي . لاسلمهم نفسي اخساً يا مخشيت . انا البارون السمي . انخذلوا . اتوا . وصلوا . خلوا الباب . قبضوا علي خفتوني اشرار خباء ملاعين اليكم عني وصار يضرب الهواء يديه ويرفس برجليه ويقول اتركوني دعوني لصوص اشقياء لا ادخل الحبس لا تاخذوني وانا حي

وللحال تناول الغدادة وافرغها في صدغه . فارتج القصر من انفجار البارود وسقط اللعين والدم يتدفق من راسه

فلما سمع راعول الرجة وهو واقف والغدادة بيده قال انت نوبني وكبس على الزنبرة فانفجرت الكبسونة ولم يصبه شيء . فتحير وانفذ الغدادة فاذا هي فارغة فشم صاحب هذا العمل ثم اجال نظره في الغرفة فرأى سيفه معالقاً فنار اليه واذا بالباب قد افتتح وظهر اندريا قائلاً على رسلك . فالتفت مندهشاً وقال انت الذي فعلت هذا الفعل قال نعم بامر مولاي

— وبك ما نقول بامر مولاك
 — نعم بامر مولاي المركيز الشمرى لاني انا غلامه اندريا وفي هذا النصر
 اسمي فردريك غلام البارون
 — كيف اعيش ملحقاً بالعار
 — لا عار عليك واما صاحب العار ابوك فعد انصبت عليه نعمة الله
 — اولست انا ابنة وفد اشتهر خبرنا وافتضحت
 — لم يعرف احد الا الاشخاص الذين كانوا مجتمعين هذه الليلة وهؤلاء اصحاب
 بحافضون على كتم السر بموجب وصية المركيز ويجب ان تطيعه انت لانه عمك
 ومنقذك ونصيرك وانت بريء فتنهض في مقام الشرف الذي استقطه ابوك.
 وتعتز بك امك واخلك

— آه ذكرتي . اخي اخي . هلم ننظر ما حل بها
 والمحال بادر الاثنان الى غرفتها فلم يجدوها في راعول يبحث عنها ونزل
 اندريا لعلها يجدها خارج الدهليز فلما توسطه راي نوراً وراءه ثلاثة اشخاص
 وكان هؤلاء المركيز بولس وابنة حنا والمحادم امامها . لان المركيز خرج
 من عند بطرس النمسطري وركب مركبة هو وابنة وزوجته وقصدوا منزل الفليني
 ابني اجهوا البارونة وفي ظنهم ان ملكة هناك . فلما لم يجدوها تخبروا جلاً وسار
 المركيز وابنة في الحال الى قصر البارون ليعلم ما سبب تاخرها . ولما راي
 اندريا في الدهليز قال لهُ المركيز ما الخبر . ما هذه العاقبة . فاخبره بما جرى
 وان ملكة مفقودة فقامت عيناه في ام راسه وقال وبلى جديد
 فدخل غرفة اخيه فرأى دمه جارياً وهو جثة بلا روح فانقبض فواده
 ثم قال هذه آخرة الاشقياء الخائنين . ليرحمك الله بعض الرحمة . وانت يا راعول
 عليك الموعول فالماضي قد انطمس وستكون في حياة جديدة . وانت يا ولدي
 حنا تجلد فلا بد ان نجد ملكة . كن رجلاً
 ثم سال راعول كيف كانت حالة اخيه قبل اطلاق القنطرة فاخبره بما كان

بينه وبينها وإن قلبه ينبئه أنها ليست من الحياة وما عرف ما فعلت
 وللحال أقبل اندريا فقال يا سيدي المركيز السهدة ملكة خرجت من
 القصر بعد اطلاق الغدادة لان الجارية راتها نازلة السلم فلاضطرابها من صوت
 الانفجار لم تبال بها والى الباب ايضا عندما سمع الصوت ظن انه من الطريق ففتح
 الباب وخرج والظاهر ان ملكة خرجت على اثره . وسترها الظلام . ويغلب
 على ظني انها قصدت النهر

فاضطرب المركيز وظهر الجزع على حنا وراعول ثم قال المركيز هكذا
 اظن انا ايضا فاذا صبح ظننا فان الوقت لم يفت بعد . بادروا حالا وابتحوا عنها
 فخرج الثلاثة في الحال وسار كل منهم في جهة واما المركيز فعاد الى مركبه
 وامر السائق ان يصل به الى مكان كان قد ذكر انه سينتظروهم فيه فياتوه بالخبر

الفصل الثامن عشر

—•••••—

ملكة والشبح العتري

وكان ما ظنه اندريا في محله فان ملكة حالما سمعت انفجار البارود ارتفعت
 وتضعضت وكاد عقلها يختل وصاحت صيحه شديدة وقالت هلكنا تاننا بادت
 حياتنا لاخير في البقاء . وبادرت كالسهم الطيار فتزلت السلم وخرجت من الباب
 الذي فتحة الباب واخذت في طريق النهر

وبقي الجماعة يجثون في الشوارع وعلى ضفتي النهر الى الصباح فلم يقنوا
لها على اثر فسالوا الحراس العسس في كل مكان والذين كانوا على النهر من
اصحاب سفن وصيادين وغيرهم فلم يقل احدا انه رآها ولا شعر بسقوط جسم في
الماء فاطان المركيز بعض الاطمئنان وقد ظن ان ملكة اقدم معرفتها طرقات
باريس بمجنون ان تكون قد ضلت . فقال للجماعة هيا بنا لا نجد سعينا نفعاً
فظهرت على وجه حنا علامات جزع شديد وبأس قتال فقال له ابوه
لاتنس يا ولدي ان الله نصير الابرياء بينهم من كل ضرر فتعال وتجلد وركب
واياه مركبة الى متله وعاد اندريا ورا عول الى النصر السمسي

ولما كان الضحى ذهب الى متل القلبي وكانت المركيزة وسوسان نائمتين
على اثر سهر طويل كل واحدة في غرفة والبارونة كانت باقية في مقصورتها .
واما القلبي فكان قد هب من الرقاد منذ اكثر من ساعتين فاطلعه المركيز
على ما جرى وتشاورا ففر الراي ان يذهب المركيز الى مقدم الدرك لبيت اصحابه
في المدينة وبالعوا في الاستنصاء .

وبعد ربع ساعة دخل الخادم واخبر المولى القلبي ان شيئاً يريد مقابلة
السيدة سوسان وهي الآن نائمة قال فادعه الى القاعة وانا اقباله
ونزل الى القاعة في الدار السفلى فوجدانه الشيع العتري فحياه ببشاشة
وقال ما الخبر قال اريد ان اقابل السيدة سوسان
— هي الآن نائمة على اثر سهر طويل فهل لك ان نقول لي شيئاً بلغها اياه
بعد نومها

— لابل انتظر لان حديثي يتعلق بها وحدها
— لكني لا احب ان يكون بينك وبين ابنتي سر ولا اطلع عليه ويظهر لي
من حيرتك ما يجعلني على سوء الظن
— ياسيدي انا اخبرتك واحبك لكني لا استطيع ان اخبرك
— وبك ما هذا العناد التبع . افنحني علي ما يتعلق بابنتي

- كلا كلا . بل ستعرف فيما بعد

وحينئذ اقبلت الجارية وقالت مولاتي سوسان تنتظر الشيخ العنزي .
فطرب الشيخ وقال عن اذنك سيدي ودخل وراء الجارية حتى دخل الى
الغرفة التي فيها سوسان فحياها بانسه المألوف فرحبت به وقالت ما الخبر
باشيخ

- وعدتك ان اخبرك بما يكون من امري مع السيدة ملكة

- نعم . واني على يقين انك لم تفدر ان تصل اليها

- بلى فقد رايتها لكن لاني قصر ابيها بل في طريق النهر

- وبي ما نقول

- في الليل الماضي حدثت امور هائلة في بيت البارون فانه قتل نفسه

ولحق وابنة

- او اه . كيف ذاك

- وملكة طار صوابها من شدة الخوف فهربت من القصر فاصدة النهر

- آه . وهل غرقت نفسها

- كادت تفعل لو لم امنعها

- عافاك الله . وابن هي الآن

- في منزلي من الفندق النوجي

- فانا امضي واراها الآن

وللمحال صاحبت بالجارية فحضرت وظهر وراها ابو سوسان وقد اشتغل

باله فامرت الجارية ان تقول للسانتي ان يهيء المركبة بأسرع ما يكون .

فقال ابوها ما جرى يا ابنتي

- امر هائل على ما اخبرني الشيخ . البارون وابنة قتلا

- البارون نعم واما راعول فتمنع

- الحمد لله الحمد لله . وملكة هربت من القصر

— عرفت ذلك وقد بحث عنها المركز وابنة وراعول فلم يجدوها وهم الآن
في حيرة شديدة

— لكني انا اعرف ابن هي

— وي . انت تعرفين . كيف وابن

— هي عند الشيخ العتري في منزله

فالتفت اليه دهشاً وقال اهذا ايها الشيخ السري الكتوم ما اردت ان
تخفيه عني قال لا بل لي شيء اخر اقوله للسيدة سوسان
— فافعل وانا اصعد الى غرفتي لابشر المسكين

— من تعني يا ابني

— حنا الشمري فهو الآن في ياس شديد

فلما خرج قالت سوسان قل يا شيخ ما في خاطرك ان تخبرني قال اخبرك
كيف وجدت ملكة وكيف هي الآن . اعلمني اني كنت اليوم كل النهار انجول
في انحاء باريس وانفج على عجائبها ولما كان المساء اخذني بعض اصحابي لانهش
معه فمضيت وبقينا نتسامر الى قرب نصف الليل فخرجت انمشي الى منزلي
لان الليل شائق والانوار في كل مكان فما زلت امشي حتى مررت امام النصر
الشمسي فلم اسمع صوتاً ولا حركة ثم طالبت نفسي الراحة برهة فجلست على مقعد
من الخشب . ولما كان نصف الليل وانا جالس رايت امرأة قادمة نحوي
كالمدعورة ومرت ولم ترني غير اني عرفتها على نور القناديل فدهشت وسرت
على اثرها

وكنت اخشى ان تفوتني لانها اخف مني لكن لحسن الحظ رايتها وقفت
وهي تلثفت يمينا ويساراً متعبرة فاسرعت وادركتها وكلمتها . فالتفت الي ذاهلة
فرايت على وجهها علامات الاخلال فامسكت يدها وقلت ما تعملين هنا
قالت ابن طريق المهر . وفي حديث قصير علمت انها قاصدة تغريق نفسها
فارتعدت فرائصي خوفاً على صباها وجمالها والزمنها ان تجلس بجانبني على منع

هناك واخذت ارشدها وانماها عن هذا العمل الفظيع وان كلامي مؤثراً فيها فانعظت وعلمت انها عدلت عن عزمها

وحينئذٍ قمت بها على ان امضي الى قصر ابيها فامتنعت وهي ترنesh فقلت نضي الى امك لاني اعرف مقرها فما ارادت فتخبرت وخفت ان تكون على وشك الجنون فقلت اتخمين ان امضي بك الى منزلي فبعد تردد قليل قالت نعم امضي معك

فممشينا قليلاً وهي متكئة على يدي فشعرت انها لا تستطيع قطع المسافة واذا بعجلة اجرة مارة ليس فيها احد فاستأجرتها ولما دخلت غرفتي اجلستها على متعد وقدمت لها مشروباً منعشاً فشربت وجلست امامها احدها واساها عن حالها فاخبرني انها مصهمة على دخول الدبر فصرت انها باساليب مختلفة واذكر لها شوق امها اليها وحزنها على فقدها فلم يؤثر فيها كلامي شيئاً وقالت لا احب ان يعلم بخبري احد في الدنيا وانت امين سرّي هذا فاربذ ان تخلف لي انك لا تخبر احداً بخبري . واما امي فمتى دخلت الدبر ارسل اليها رسالة اخبرها بها اني حية معافاة . فبقيت اشافها بالحديث وانا منقبض الفواد من اسني عليها حتى غلب عليها العاس فنامت ونمت انا على كرسي الى ان طلع النهار فاتتهت وتفتدتها فوجدتها مستغرقة في النوم فادرت في الحال واغلنت باي واقفلتة ووضعت المفتاح في جيبى وقلت من الراي الصواب ان اطلع السيدة سوسان على هذه الاحوال . فما رايتك الآن

- حساً فعلت ايها الشيخ الفطن وقد سررتني جداً بنصرفك فاعطني مفتاح

غرفتك وابق هنا فعلي التدبير

وحينئذٍ دخلت الجارية وقالت المركبة حاضرة فقامت سوسان واخذت المفتاح من الشيخ العتري وخرجت فوجدت اباهما وحنا الشيري في الدار فالتس اليها حنا ان يصحبها فاذنت له وقالت لابيها انتظرانت قدوم المركب وركبت في وحنا وسارت بها المركبة الى ان بلغت المنزل النوحى فتزلا

الفصل التاسع عشر

اجتماع الشمل

ولم يكن احد في الفندق قد علم ان الشيخ العنزي رجع في اواخر الليل
و بصحبته فتاة فقالت سوسان للمرأة هل لك يا خالتي ان توصلينا الى غرفة
الشيخ العنزي

— ليس هنا والظاهر انه سها عن ابقاء المفتاح

— المفتاح معي ها هو

— عجباً كيف اتصل اليك

— لاني قاصدة دخول غرفته فتكرهني بان ندلينا عليها

— لا بأس فانا امضي امامكما

-- لانهب ان تزعي نفسك بالمضي معنا

— فالامر صعب ايها السيدة لاننا مطالبون بالحفاضة

— لكننا لسنا من اهل الشبهة كما تريد

— العفو يا مولاتي ما هذا مرادي لكن ما ادري ما اقول . شاب وصيبة .

— ايها المرأة لا تخاف فكري ربية من هذا الفيل ولكي تكوني مطمئنة

اخبرك ان الشيخ اتى بفتاة الى منزله في الليل الماضي وهي صديقتي وقرية

هذا المركيز فأتينا انراها

- المعذرة المعذرة باسديني ما علمت هذا . لا يواخذني سيد بي المركيز .
الغرفة هي الثالثة من الطبقة الثانية

فصعد الاثنان بسرعة وتقدمت سوسان الى الباب وانصنت فلم تسع شيئاً وكانت قد اتفقت مع حنا ان تدخل أولاً حتى اذا رأت الفرصة موافقة تدعوه ففتحت الباب بلطف ودخلت . وكانت ملكة لم ترل نائمة فوقفت سوسان نائماً لها وهي في حالة من النعير يرثي لها ثم ركعت امامها وقلبت جيئها فحركت لكن لم تنفع عينيها فدعتها باسمها مرتين فانتبهت ورائها فاعنتها بشوق وقالت ابن نحن حبيتي . نعم نعم ذكرت . وجرت دموعها فجعلت تمسح دموعها وتلاطمها . فقالت لها ملكة بصوت حزين . آه لو تعلمين يا سوسان لو تعلمين

- علمت يا حبيتي

- امر هائل غريب كنت احلم الآن اني مت

- دعينا يا حبيتي من هذه المحاقة . لا تذكر الموت مضت ابام الاحزان ودخل زمن الافراح والهنا

- ابن مني الهنا يا سوسان وقد حل علي غضب الله . والظاهر ان الشيخ العنزي خاني فاخبرك ما قلت له

- لا بل سعي في مصلحتك وقد ذكر لي انك عدت الى جنونك الاول من جهة الترهيب

- يا سوسان لا سبيل لي الى الظهور بين الناس فنجوت من الموت لكن احب ان اعزل البشر واخفي نفسي عن كل عين

- هذا خطأ فاحسن ان تريد ان تهلكي امك يا ملكة اما كفها ما جرى عليها الى الآن

- وهل عرفت اني هنا . آه ويلاه . ماذا المصاب

- لم نعلم شيئاً حتى الآن
 - وانت هل علمت بما حدث
 - علمت ان البارون قتل نفسه . وهو الواجب لان خذله كان اشد عليه
 من الملاك فلا تأسفي عليه لان اعماله تدعو كل احبائه الى متابعه
 - واما اخي يا سوسان . اخي ما حل به
 - اخوك حي معافى . كانوا بمحرسونه فلم يدعوه يقتل نفسه . فعودي الى
 نفسك يا ملكة لا يذهب الابرياء بجزيرة الاشقياء كما قال عمك المركب . قد
 انتفع باب الامل بالخير والصناء . افنكري بامك واخيك ولا تنسي حبيبك ربيب
 الذئاب

- آه يا سوسان . اسكني اسكني . ارحمني
 - كيف اسكت ألسنتي تحيين ابن عمك
 - بلى احبه من كل قلبي . ولذلك احب ان اخفي نفسي
 - عجباً ما هذا المجنون
 - أولاً كنت انجمل من حبه والان صرت اخاف لان ابي اضطهده .
 فكيف كيف يليق ان اقباله أليس الموت افضل لي
 وحينئذ هم عليها حنا فصاحت ملكة مندھشة فحنا امامها على ركبتيه وقال
 ملكة حبيبي الموت لمن اسنوجه . الا تذكرين فضلك علي وعلى ابي . الا تذكرين
 انك انتشلني من وهدة الخمول الى ذروة العز انسبت ذلك انت سبب تهذيب
 اخلاقي وارتنائي سلم المدن ولولاهبك ولطفك لبقيت في حائتي الوحشية وملكنت
 غير ما سوف علي . ألسنت التي احببني عقلاً وجسداً . كيف لا تذكرين
 هذا الفضل العظيم . انت لي بركة من السماء . نعم ان اباك اضطهده في لكنتك
 انت انتدتي وكفرت تكفيراً جسماً عن جبروت . فلتناس الماضي ونظر الى
 المستقبل . هذه ارادة ابي وامي
 - امك . ماذا . ابن امك

— ابي المظلومة الاخرى بساعي ابيك المكرية قد وجدت حية وردها
الله الى زوجها كما ردّ اليه ابنة سنرينها باملكة وهي سايمة القلب حسنة الاخلاق
نظير امك وهي تحبك لحبتي اياك وتعلم ما صنعت لاجلي من الخير. ملكة انت
حبيبي الوحيدة انت ركن آمالي انت قوام حياتي. ما الطف عبارات الهوى
التي يا ملكة فؤادي كم فاسبت الآما مدة فراقنا. لكن هكذا حكم القضاء
فسلمت الى مشيئته تعالى. والآن تضاعفت الافراح طغى السرور على فؤادي
بوجودك. زالت كل الموانع التي كانت تحول دون لقائنا وتمتعنا بالسعادة. اجبك
وتحبيني باملكة هذه الغبطة بعينها ستكونين لي يا حياتي ولا يفرق بيننا إلا الموت
— أوّاه كيف اكون لك وذكر تلك الحوادث لا يبرح من بالي

— دفن ذكرها مع الذي قام بها. دعينا من هذا يا ملكة فاث ما فاث
ونفذ القدر فلا نبالي منذ الآن الا بالمستقبل البهيج قد غفراي لايبك وكفى
وعند ذلك سمع في الخارج صوت مشي فسكت حنا واصفقت مملكة
وسوسان وبعد دقيقة ففتح الباب ودخل المركز والمركيزة وراعول ونظروا
لاولئك الثلاثة الاحياء بابتهاج فوقوا لهم مبهوتين فقال المركز لملكة. هذه امرأة
عمك المركيزة انت معي ومع اخيك راعول لناخذك الى امك
وقدمت المركيزة وقالت لها ايضاً باحبيبي ملكة بلغني خلوصك ووفائك
وعرفت ما فعلت من الخير لولدي وعن قريب ستكونين ابنة لي تعالى يا ولدي
تعالى اعانك

فانتم ملكة نفسها على صدر المركيزة وهي تبكي
فهست سوسان في اذن حنا قائلة لم يبق في عزمها دخول الدبر هيناً
لكما السعد القريب

وبعد ان شفيت الاشواق باجتماع الشمل الهج مضوا جميعهم واجتمعت ملكة
بامها ايضاً فكانت لهؤلاء الاحياء ساعة شديدة التأثير لكثرة ما اجروا من
دموع الافراح

وثاني يوم وصلت البارونة وابنتها الى القصر الوقور وشيع راعول وعمه وبقيت
 الاصحاب وجماعة قليلة من الناس جنازة البارون السمي وفي نفس اليوم
 بعد الدفن هجر قصره وكتب على باب « برسم البيع »
 وما مضى شهر حتى كان اقتران حنا الشري بملكة السمية
 وبطرس الفسطري بسوسان الفلينية وايوب بجنة واجتمع
 الكل في باريس واقامت البارونة مع ابنتها
 وصهرها في قصر بديع بناه المركز كان
 يضرب به المثل في الزخرفة الخارجية
 والزينة الداخلية وتوالت الولائم
 الحافلة وليالي الافراح الصافية
 الى ما شاء الله

